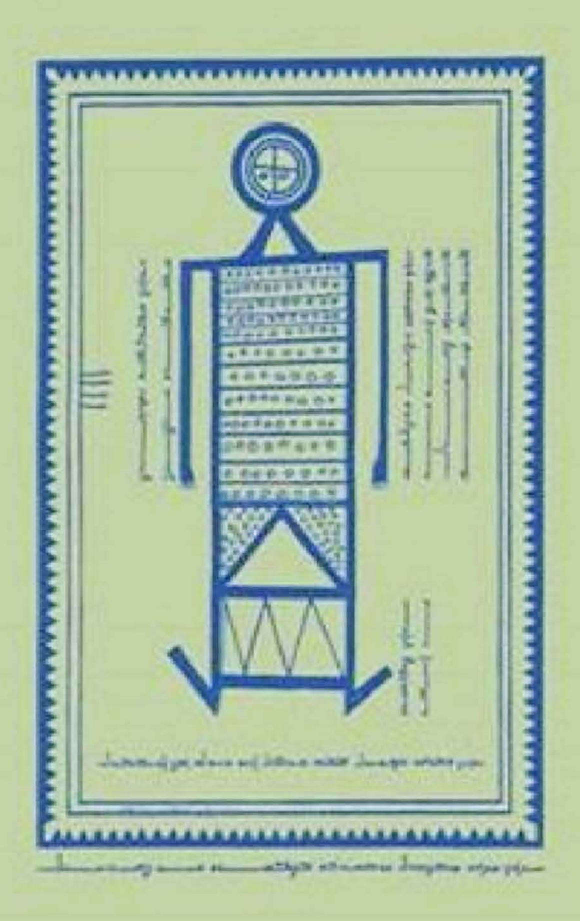
أصول الناصورائية المندائية في أريدو وسومر



د. خزعل الماجدي





أصول الناصورائية المندائية

في أريدو وسومر



لوحة الغلاف

الملاك بثاهيل على عرشه الذهبيّ، من مخطوطة ديوان أباثر

المرجع : **Drower, Divan Abatur p. 6f**

أعاد رسمه: ماجد فندي المباركي

الدكتور خزعل الماجدي

أصول الناصورائية المندائية

في أريدو وسومر



فهرس المحتويات

المقــدمة

في مساء 1997/2/7 ألقيتُ محاضرةً في نادي التعارف (الخاص بالمندائيين في بغداد) بعنوان (الأصول السومرية للديانة المندائية) وقد حضرها عدد كبير من أهل الديانة المندائية وفي مقدمتهم رئيس وأعضاء المجلس الروحاني الأعلى للطائفة في العراق ورجال دينها وشيوخها وجمعٌ كبيرٌ من المثقفين العراقيين، واستمرت المحاضرة، عرضاً ونقاشاً، خمس ساعات متواصلة أثارت خلالها عاصفةً من ردود الأفعال بين رفضٍ وقبول.

واستمرت ردود الأفعال بعد المحاضرة بطريقة تشوبها الحدّة والاختلاف الصارخ في الرأي مما اضطر المجلس الروحاني الأعلى للطائفة الصابئية المندائية في العراق إلى إصدار بيانٍ مفصّل يرد فيه على مضمون المحاضرة ويجيب على أسئلة الجدل الدائر بين المندائيين، وهو الأمر الذي استدعى إدارة نادي التعارف لعقد محاضرة ثانيةٍ لي أجيب فيها عن أسئلة المتسائلين وأوضح ما التبس في المحاضرة الأولى، وقد عقدت هذه المحاضرة بحشد أكبر من السابقة وبجدلٍ واسعٍ وعريض دام لساعات طوال خلالها.

كان المؤيدون لوجهة نظري يرون في المحاضرتين تدعيماً للأصل الرافديني للمندائيين حيث جذورهم التي تمتد لسومر (التي هي أقدم حضارةٍ عراقية وإنسانيةٍ)، وكان الرافضون لها يعترضون على إرجاعي جذور الديانة المندائية الموحّدة إلى ديانةٍ (وثنيةٍ) متعددة الآلهة.

وحقيقة الأمر أني لم أجد في السومرية جذراً إثنياً للديانة المندائية بل قمت بمقارنة علمية بين ديانتين متزامنتين ومترابطتين بإرثٍ حضاريٍّ واحد ومكان

واحد رغم مسار كلٍّ منهما الخاص في التكوين والنمو والنهاية، ومع أني أكّدتُ على المتشابه بينهما لكني لم أهمل المختلف بينهما أيضاً.

انطلقتُ من وجهة نظرٍ، ما زلت متمسكاً بها، وهي أن المندائيين ورثة الديانة الناصورائية التي ولدت في حضارة أريدو وترعرعت مع السومريين أولاً ثم مع البابليين، وحين حلّت الحضارة الآرامية في وادي الرافدين، وخصوصاً بعد سقوط بابل في **539** ق.م، أعيد تشكيل الديانة الناصورائية وفق الثقافة واللغة الآرامية المندائية التي كانت الثقافة واللغة المهيمنتين على الشرق الأدنى القديم بأكمله.

وحين توسعت مداركي في فهم حضارات وادي الرافدين وفهم دور الغنوصية، عموماً، في احتضان التوحيد العرفاني ظهرت الديانة المندائية كأكمل ديانة غنوصية قامت بهذا الدور.

واليوم.. وجدت أنّ من المناسب إعادة كتابة تلك المحاضرة بصيغة جديدة وإضافة ما يلزم لفهم المندائية والتراث المندائي وتقديمها في هذا الكتاب بصورةٍ أنضج وأفضل، خصوصاً بعد اكتشافي للدور الكبير الذي لعبته (أريدو) قبل سومر في نشأة هذه الديانة.

وهكذا تكونت لديّ ملامح وجهة نظر خاصةٍ غير مسبوقةٍ حول تاريخ هذه الديانة الممتد من (أريدو) و(سومر) وما تلاهما من حضارات وديانات وادي الرافدين مروراً بالآرامية ووصولاً إلى العصر الهلنستي في وادي الرافدين والذي أعطى الصياغة النهائية لما نعرفه اليوم بـ(الديانة المندائية).

وجهة النظرِ هذه ميزتها أنها اختلفت عن وجهات النظر المعروفة التي تجعل من الديانة المندائية فرقةً غنوصية تدور في الفلك اليهودي أو المسيحي للعصر

الهلنستي وامتداده الروماني (332ق.م - 332م)، وهو ما لايصدقه المندائيون أنفسهم لأنهم يعتقدون أن ديانتهم هي (ديانة آدم)؟؟.

وهكذا اقتربت وجهة نظري من وجهة نظرهم رغم أنهم يؤمنون بالأمر دينياً أما اكتشافي هذا فقد جاء عبر وسائل البحث العلمي في الأديان وتاريخ الأديان.

إن ما يقف معترضاً على القِدم البعيد للمندائية الممتد لأبعد نقطةٍ في التاريخ وما قبل التاريخ هو عدم وجود نصوص ولقىً آثاريةٍ تؤيد ذلك القِدم، أما ما قمت به من استنتاجات نظرية حاولت سدّ هذا النقص فإنه لم يكن كافياً، بطبيعة الحال، لكنه محاولة للتقصي والاستنتاج بمنهج علميّ.

التاريخ الذي وضعته للديانة المندائية منذ أريدو وحتى العصر الحديث يلملم ما تبعثر من تاريخ هذه الديانة العريقة في نسقٍ منطقيّ ويرمّم صورتها التي عبثت بها أهوال الزمان وما تعرض له هؤلاء المنادون بديانة المحبة والسلام والنور والروح والتي لم تسعَ يوماً إلى حربٍ أو دولةٍ أو مالٍ أو جاهٍ، وكانت تدافعُ عن نفسها، دائما، بالصمت والتخفّي بسبب غلاظة التعصب وعقلية التفتيش والتحري والشكوك في معتقداتها عند فقهاء ومتعصبي الأديان الأخرى المحيطين بها.

الديانة المندائية نبعٌ صافٍ من ينابيع الأغوار الروحية للبشرية وتطلّعٌ مخلصٌ لعبادة إله واحدٍ لا يسكن السماء فحسب بل في عالم أبعد من السماء هو (عالم النور) وكذلك أهلها الطيبون الصامتون على قهرهم وجروحهم والرافعون راية النور والمعرفة بوجه من يتعرض لهم بالجهل والظلام والتكفير.

يبدأ الكتاب بفصلٍ تعريفيّ بجذورها الناصورائية وبتكوينها المندائي وباسمها الصابئيّ الذي عرفها به المسلمون، ثم طرحنا النظريات التي بحثت في أصل هذه الديانة بدءاً من وجهة نظرهم هم بتاريخهم ومروراً بآراء الفقهاء والمؤرخين المسلمين ووصولاً إلى النظريات الغربية في دوائر البحث العلمي

الحديث، ثم طرحنا وجهة نظرنا في تاريخها الممتد من أريدو حتى العصر الحديث.

أما الفصل الثاني فعقد مقارنةً بين المعتقدات الناصورائية والسومرية من خلال عوالم الوجود واللاهوت في الديانتين (الماء، النور، الظلام) ثم يناقش الأفكار الدينية الكبرى التي تدور حول الله والآلهة والأنبياء والوحي والموت والعالم الآخر والمؤسسة الدينية من أماكن عبادة ورجال دين.

في الفصل الثالث عقدنا مقارنة بين الأساطير الناصورائية والسومرية من خلال البحث في مثولوجيا التكوين، بصفة خاصة، والتي تشمل الثيوغونيا (خلق الآلهة والكائنات الإلهية) والكوزموغونيا (خلق الكون) والأنثروبوغونيا (خلق الإنسان) والبحث المقارن في شخصيات آدم وحواء والأفعى. ثم بحثنا في عقائد الموت والآخرة (الإسكاتولوجيا).

الفصل الرابع حفل بمقارنات بين الطقوس الناصورائية المندائية والسومرية حيث تناولنا طقوس العبادة التقليدية من صلاةٍ وصومٍ ثم طقوس الأضاحي والتعميد والأعياد والاسم الديني.

وفي الفصل الخامس تناولنا التراث الديني المندائي في مقدمةٍ وافيةٍ عن الغنوصية والمندائية ثم تصنيف هذا التراث وفق مكونات الدين الرئيسية أولاً ومكونات أخرى قريبة، وقمنا بالتركيز على الكتاب المقدّس للمندائيين (كنزا ربّا) وعرض محتوياته وتاريخ كتابته وعلاقته بالتراث الروحي الرافديني.

كان منهجنا في البحث هو المنهج المقارن فيما يخص العلاقة بين الدينين المندائي الناصورائي والسومري، ووصلنا إلى نتائج نتمنى أن تعزز نظرية الأصل الرافديني الشامل التي قمنا بعرضها في بداية الكتاب، وقد تسنح لنا فرصة قادمة لبحث المراحل التالية لهذه الديانة في كتب مستقلةٍ أملاً في وضع موسوعة مندائية تبحث في تفاصيل هذه الديانة العريقة.

هذا الكتاب لم يعد نسخةً جديدة من كتابنا الأول (جذور الديانة المندائية) ولم يعد امتداداً له بل هو كتاب جديد يتضمن بعض مادته ويضيف لها الكثير ويتخطى منطلقاته نحو أفقٍ أكثر سعةً وغزارة، وسيتعزز هذا الأفق في كتب علميةٍ قادمةٍ سنعمل على إصدارها تباعاً.

الدكتور خزعل الماجدي

المملكة الهولندية

2013/5/14

a_khazal@hotmail.com

الفصل الأول

الناصورائيون، المندائيون، الصابئة ونظريات أصلهم

أولاً: التعريف بالديانة المندائية

الديانة المندائية ديانة قديمة يصنفها علماء الأديان كديانة غنوصية (عرفانية) لكنهم يضعونها في الدائرة الروحية للعصر الهلنستي ويهملون جذورها العريقة في وادي الرافدين باعتبار أن الغنوصية، بشكل عام، نشأت في حدود القرن الميلادي الأول وهو ما يخالف نشأة المندائية القديمة.

المندائية دين توحيدي عرفاني جاء قبل الأديان التوحيدية المعروفة (اليهودية والمسيحية والإسلام) واختلف عنها في كونه الدين الذي يعرف الله من خلال المعرفة التي تحتويها الروح أساساً باعتبارها صادرة عن الخالق وتتضمن المعرفة به، فهي ديانة تنظر للوحي نظرةً أخرى كونه متضمناً في الروح (نشمثا، مانا) ويمكننا الوصول إلى معرفة الله ذاتياً عندما نعرف روحنا وأصلها القادم من الله ومن عالم النور.

المندائية والأديان الغنوصية الأخرى شكّلت الحلقة المفقودة بين الأديان المتعددة الآلهة والأديان التوحيدية وهي التي نقلت البشرية إلى التوحيد العرفاني الذي كان الخطوة الأولى في التوحيد وجاء بعده التوحيد الظاهري الذي يعتمد على الوحي السماوي.

ولأن المندائية ديانة غنوصية فهي قد اعتنت بحل مشكلتي الشر والخطيئة، فالشر يكمن في المادة التي هي من مكونات عالم الظلام ويمثل الجسد ونزواته ورغباته نموذجاً مهماً لهذا الشر، أما أصل الخطيئة فتراه بأنه نشأ منذ أزمان سحيقة جداً على يد ثلاثة من الملائكة الكبار على التوالي (يوشامن، أباثر، بثاهيل) الذين كانوا من عالم النور لكنهم خرجوا على هذا العالم وخرجوا على طاعة الله وتطلعوا لصنع عالم مادي خارج عالم النور واقتربوا من عالم الظلام، وكان من نتائج هذه الخطيئة صنع الكواكب والأبراج والأرض التي

كانت مادية شريرة، ثم خلق الإنسان الذي له جسد مادي ظلامي شرير وروح نورانية خيّرة، ومن هنا نشأ صراع الإنسان مع نفسه. لكن المندائية لم توصم الملاك الصانع (بثاهيل) بالشر الأبديّ لترفعه مع الاثنين الآخرين إلى عالم النور بعد نهاية العالم والإنسان.

لم تكن الديانة المندائية وليدة العصر الهيلنستي، كما يقال دائماً، بل هي ذات جذور أبعد من هذا العصر فهي ترتبطُ بوشائج عميقة مع ديانة الأسرار السومرية خصوصاً بعد أن اختفت الديانة السومرية، وقد بحثنا في كتابنا (جذور الديانة المندائية) عن الأصول السومرية للديانة المندائية.

لقد ظهرت بدايات هذ الديانة في أريدو ثم من بقايا الديانة السومرية وعناصرها المعروفة (الهواء والماء، النور والظلام، عالم ما بعد الموت)....إلخ، لكنها تعرضت لضغط الكثير من العقائد الدينية التي ظهرت في العراق القديم مثل الديانة البابلية والآشورية وقبلهما الأكدية ونرى أن إعادة صياغة شاملة لها تمت بعد سقوط بابل بوجود عناصر كلدانية وآرامية وعلى أساس العرفانية النبونائيدية التي ظهرت منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد وكانت تسمى بـ(الناصورائية). ولأنّ هذه الصياغة تمت باللغة الآرامية وبإحدى لهاجاتها التي هي (المندائية) فقد أطلق على هذه الديانة المندائية، وربما كانت العقيدة الدينية هي السبب في إطلاق تسمية المندائية لأنّ كلمة (مندا، مندع) باللغة الآرامية تعني (العارف)؛ ولذلك يكون المندائيون هم العارفين أي العرفانيين على وجه الدقة.

وها نحنُ نجد مصطلحاً آرامياً عربياً دقيقاً للغنوصية ظهر قبل ظهور مصطلح الغنوصية اليوناني وهو مصطلح (المندائية).

إنّ المندائية هي الغنوصية المبكرة وهي العرفانية بأدق وأكمل أشكالها وإنّ من حسن حظّ الأديان والثقافات البشرية أنّ هذه الطائفة العريقة ما زالت حتى يومنا هذا تمارس عقائدها وطقوسها وتعاليمها في جنوب العراق وفي الأحواز بشكل خاص.

المندائية تحتوي، في طياتها، على أقدم عقائد الغنوصية ممثلةً بالنبض السومري فيها وعلى الصياغة الغنوصية النوعية لنبونائيد ممثلة بالمندائية الآرامية.. ولذلك فهي دين عرفاني خالص يمكن مشاهدته حيّاً اليوم ودراسته عن كثب والخروج منه بنتائج في غاية الأهمية عن أصل التوحيد وعن الديانات العراقية القديمة وعن المذاهب الهيلنستية التي خاض بحورها حتى عبر، بعدها، لجج الأديان الموحدة وصولاً إلى العصر الحديث.

للمندائية لاهوت وأساطير وطقوس، كلّها، ذات طبيعة غنوصية وكلّها نضال ضد الشر وتوجه نحو الخير والنور وكلها توجه نحو خلاص النفس البشرية قبل وبعد الموت من عالم الظلام (آلمي دهشوخا) باتجاه الالتحاق بعالم النور (آلمي دنهورا).

1. المندائية والغنوصية

قلنا، في أكثر من مكان، أن المندائية هي أصل الغنوصية وهي شكلها الأول قبل أن تتحول إلى فلسفة وتيارات فكرية غلّفت العصر الهيلنستي ثم أنبتت بذرة التوحيد الذي أصبح وعاءً لليهودية والمسيحية فيما بعد.

بعد سقوط بابل **539** ق.م استمرت الديانة البابلية الكلدانية ديانةً لشعوب وادي الرافدين لكنها اختلطت بعقيدتين وفدت رياحهما قبيل وبُعيد سقوط بابل. لقد أتت الديانة اليهوذية مع أسرى السبي الأول والثاني لأهل يهوذا وكانت ديانة تفريدية وليست توحيدية، عمل في بابل الكاتب عزرا على إعادة صياغتها مع الكثير من الأحبار والكهنة الكبار المسبيين، ثم ولدت اليهودية في بابل بعد أن كانت ديانة يهوذا واحدة من تنويعات الديانة الكنعانية.

أما العقيدة الوافدة الثانية فهي الديانة الزرادشتية التي كانت، آنذاك، آخر حلقات الديانات الثنوية الفارسية والتي أصبحت ديانة الغزاة الفرس الأخمينيين لوادي الرافدين والشرق الأدنى، وكانت هذه الديانة تؤمن بعالمي النور والظلام

وبوجود إله وإلهة على رأس كلٍّ منهما، وبالصراع الدائر بينهما لكنها لم تكن ديانة غنوصية بالمعنى المعروف للغنوصية.

كانت الديانة البابلية الكلدانية قد تحوّلت إلى ديانة كوكبية بدت وكأنها تخرج من العالم الأسفل المظلم حتى إنَّ (مردوخ) كان يرمز إلى كوكب (المشتري) وابنه (نبو) إلى (عطارد) وابنته (عشتار) إلى (الزهرة)..إلخ. وهكذا وصمت الديانة البابلية من قبل المندائية بكونها ابنة الظلام، أما الديانتان الوافدتان فقد ظهرتا وكأنهما تمثلان المضاد الأكبر للديانة البابلية. فاليهودية تبنت أدوناي ويهوا ووصف الأول بأنه إله الشمس والثاني بأنه إله العاصفة والطقس. والزرادشتية تبنت أهورا مزدا إله الشمس والخير وأناهيت زوجته ربّة الخصوبة ثم ظهرا لاحقاً مثرا وكأنه ابنهما.

وهكذا بدأت تتقوض أركان الديانة البابلية من جهة وتتبلور الزرادشتية واليهودية من جهة أخرى. ولكن نبتاً سرياً خصباً كان ينمو تحت كل هذه الأنقاض والأديان المعلنة، وهو (المندائية) التي هي الخميرة المعتّقة الأصلية لعقائد وادي الرافدين إذ إنّها تجمع في نسيجها مادة الديانتين الجديدتين فعالما النور والظلام فيها وجذور التوحيد فيها لكنها لا تكشف عن نفسها لأنّها إذا أعلنت تعاليمها وأسرارها فستموت: هكذا قرر كهنتها وعرَفانيوها الكبار آنذاك.

عندما أتى الاسكندر المقدوني برياح الهيلينية إلى وادي الرافدين تخصّبت عقائد وادي الرافدين بالثقافة الكلاسيكية الإغريقية ولكنها لم تفقد خصوصيتها الروحية. فإذا كان قد طُوبق بين (زوس) الإغريق و(مردوخ) البابلي وبين (أفروديت) الإغريقية و(عشتار) البابلية وهكذا بقية الآلهة، فإنَّ بقية الأديان أثارت فضول الإغريق كالزرادشتية واليهودية، أمّا المندائية فقد كان إغواؤها كبيراً وسحرها أخاذاً لأنها لم تكن مألوفة أبداً في الثقافة الإغريقية أو محيطها.. وهكذا صعدت من القيعان السرية لها رائحة الدهشة، وتعرفوا لأول مرة على شيء اسمه المندائية الذي ترجموه إلى الغنوصية، وكان يعني في

الحالين (العرفان) أو (المعرفة الإلهية).. ونقلوا أفكار هذه الديانة إلى فلاسفتهم الذين نظروا إليها كديانةٍ خلاصية وناظروها مع عقائد الخصب السريّة والخلاصية كالأورفية والإليوزيسية والفيثاغورية، لكن المندائية كانت تنفرد بغنوصيتها العميقة فأصبحت الفلسفة الغنوصية، بعد حوالي قرنين، واحدة من أكبر التيارات الفلسفية الهيلنستية وتمّت دراستها وإشاعتها في الإسكندرية والرها وحرّان. أما هي (المندائية) فكانت تتناسل ذاتياً في الكرخة وميسان والطيب.

من النقوش السريانية المكتشفة في المناطق المجاورة للرها نتعرف على أنَّ صور وأشكال العبادة البابلية المتأثرة بعقيدة العرفان (الغنوصية) بدأت تتخذ بالتدريج أشكالاً أكثر تجديداً. ومن الأهمية بمكان اكتشاف الحركة التوفيقية السريانية – الإغريقية فيها، إذ إنّ التمازج بين المصطلحات الفنية واستعارة بعضها من الإغريقية ممتع ومفيد، فهنا نجد كلماتٍ مستعارة مثل: **Bolos** أي البرد و**Hula** أي المسألة، وناموسا **Namosa** أي الشريعة أو القانون، ومثل هذه التعابير قد ازدادت أهميتها في الفترة اللاحقة.(نغرين د. ت 23).

فوجئ الأغريق أن آلهتهم ضعيفة جداً قياساً إلى آلهة الشرق الغنية المكتنزة، ولم تعد محدودية المساحة التي كانت هذه الآلهة تغطيها مغريةً قياساً إلى التوسع الشامل لهم وتكوينهم لإمبراطورية عالمية فكانوا بحاجة لآلهةٍ أكثر تجريداً وأكثر عالمية، فوجدوا ضالتهم في آلهة شرقية عريقة مثل (مردوخ وآمون وأهورا مزدا والإلهة السورية ديا).

كما أن الشرق تفاعل بجدية مع الفكر الإغريقي الفلسفي بشكل خاص والعلوم الإغريقية المنظمة والواقعية وبذلك بدأت الأفكار اللاهوتية السميكة المحيطة بالفلسفة والعلم في الشرق تتقشر تدريجياً وتُعاد صياغتها. فالتنجيم البابلي أصبح يتجه أكثر فأكثر نحو علم الفلك، أما شحنته الفلسفية والدينية

فكانت توضع في عالم الظلام المزدكي أو المندائي وتزداد من جهة أخرى المفاهيم الفكرية والذهنية للثنويات المتضادة كالخير والشر والمادة والنور والملائكة والشياطين.. إلخ.

وهكذا نشأت الحركة التلفيقية أو التوفيقية **Syncretism** التي كانت سمة العصر الهيلنستي المهمة، فكانت عقائد الشرق والغرب تُقصُّ وتقطّع وتُمنتج وهي تختلط مع بعضها حتى يُصار إلى ظهور عقائد جديدة كانت في بدايتها واضحة الخلط، لكنها سرعان ما تبلورت عن عقائد نوعية مثل الغنوصية والأفلوطينية والأبيقورية والرواقية.

لا يمكننا معرفة المندائيين على حقيقتهم ما لم نميِّز بين ثلاثة مصطلحات تكاد تسبب، فرط ترابطها وتداخلها، التباساً كبيراً. والمصطلحات هي (الناصورائيون، المندائيون، الصابئة) وقد تعمدنا وضعها بهذا الترتيب بسبب من تسلسل ظهورها التاريخي.

2. الناصورائيون

الناصورائيون هي الاسم الأول الأقدم للمندائيين، لكن مصطلح "(الناصورائيون) ومفردها ناصورائي تطلق اليوم على المتمكن من أمور الدين والعالم بأسراره الخفية سواء أكانت له صفة كهنوتية أم لم تكن. (عليان1976 71).

فالناصورائي، اليوم، لا يشير إلى مرتبة دينية، بل إلى علم ديني متعمق بالأمور الدينية لهم. فقد يكون كاهناً أو لا يكون ويبقى شرطه الأول تعمقهُ في الأمور الدينية رغم أنَّ هذا لا يحصل، غالباً، إلاّ مع من انخرط في سلك الكهانة.

كان الناصورائيون، في الماضي البعيد، هم الجذور الأولى للمندائيين، فلم تكن هذه الديانة معروفة باسم المندائية، بل هي ديانة الناصورائية (ناصوراثا)

التي ترد كثيراً في كتبهم المقدسة وتعني حرفياً في اللغة المندائية الآرامية (مهنة الكهانة).

وقد اجتهد الكثير من العلماء في تفسير هذه الكلمة وردّها أغلبهم إلى أحد الفرق التي نوّه عنهما إبيفانوس أسقف سلامينا (قبرص) أبيفانوس في حدود 367 م في كتابه، وهو يغادر فلسطين، وقال بأن هناك أربع فرق تعيش بين شرق الأردن والبحر الميت، هي: الساميسايين وهم موحّدون ومعمّدون ومعلمهم هو الحسح، والأوسيون الذين كانوا يهوداً وأصبحوا فرقةً خاصة، والنزاريون وهم فرقة مسيحية تمارس الختان وتلتزم براحة السبت وترفض القضاء والقدر والفلك وأكل اللحم والأضاحي الحيوانية ولكنهم لا يعمّدون بالماء. أما الناصورائيون فهم الفرقة الرابعة التي كانت يهودية ثم أصبحت مسيحية. ويرى ماكوخ أن بعضهم هاجر من شرق الأردن، بسبب التعصب اليهودي، وسكن جنوب وادي الرافدين أيام حكم الملك الفرثي ارتبانوس الثالث قبل تدمير أورشليم عام 70 م على يد الرومان، وقد طوّروا أبجديتهم عن النبطية ثم كتبوا بها كتبهم. ويرى الكثير من الباحثين أن هؤلاء هم الذين كوّنوا الناصورائية التي أصبحت تسمى لاحقاً بالمندائية (Yamauchi 1970: 60-62)

وقد توسع البحث كثيراً عن أصول الديانة الناصورائية/ المندائية في الدوائر الهرطقية اليهودية المسيحية وتعدى هذه الفرق الأربع إلى فرق كثيرة ضمن ما يسمى بنظريات الأصل الغربي للديانة المندائية.

ولا نريد أن نقدّم هنا عرضاً مسهباً لهذه النظريات هنا، لكننا نودّ القول أن هناك الكثير من القسر والعبور على الحقائق التاريخية في تفاصيلها.

وقد كنّا نرى دائماً أن أجداد المندائيين الأوائل (وهم الناصورائيون) ظهروا في وادي الرافدين في أزمان مبكرة تصل إلى ظهور حضارة أريدو قبل سومر، وفصّلنا ذلك في كتابنا حول (جذور الديانة المندائية). وبإمكاننا اليوم تقرير ما هو أبعد من ذلك فقد قادتنا فرضيتنا إلى استنتاج جديد وهو أن الناصورائيين هم

أحد شعوب وادي الرافدين الذين ظهروا في السهل الرسوبي الجنوبي بين دجلة والفرات وكانوا يؤمنون بعقائد الخصب القديمة التي أصبحت تدور حول الإله الذكر الأب وليس حول الإلهة الأم (سيدة عقائد عصر النيوليت الشمالي)، فعندما حصل الانقلاب الذكوري في وادي الرافدين في العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت) ظهرت حضارة (حلف) الشمالية أولاً ثم ظهرت أول حضارة جنوبية وهي حضارة (أريدو) التي هي أول مدينة في التاريخ والتي شهدت لأول مرة (في الألف الخامس قبل الميلاد) ولادة المدينة والسلطة الذكورية والديانة الذكورية التي مجّدت الخصب الذكوري المتمثل في الماء الجاري الذي كان السومريون يسمونه (إنكي)، لكنّ الناصورائيين سمّوه (إيا) (باعتبارهم من الأقوام السامية في وادي الرافدين والذين سمّوا هذا الإله باللفظ السامي إيا) وهو الاسم الذي أصبح لاحقاً مرادفاً لإنكي السومري من جهة ومعبراً عن إله الماء البابلي/ الأموري من جهة أُخرى.

لم يعد هذا الإله معبراً عن الماء والخلق فحسب بل أصبح معبراً عن عالم النور الذي كان يقف بمواجهة العالم الأسفل المظلم الذي تناسلت فيه الكواكب. وهكذا أصبح (إيا) الذي تحوّل مع الزمن إلى (أي) ثم (هيّ) الدال على النور والحياة خصوصاً أن اسمه ترادف مع (آي) أو (آيا) إلهة الشمس. وهكذا جمع الحياة والنور تماماً. ورأى الناصورائيون أن يحولوه إلى صيغة الجمع ربما لكي يشيروا إلى أنه إله الأحياء كلّها فتحول من (هيّ) إلى (هيّي) التي تعني جمع حيّ (أحياء أو حيّون).

لقد ارتفع الإله (هيّي) عن وظائفه الخصبية المباشرة وأصبح مصدر نور الكون كلّه، ومنه ينتج الماء الحي الذي يمنح الحياة في العوالم كلّها. ربما تولّت حيوات بعده (أخذت صفة التأنيث) لتعيد التوازن إلى ارتفاعه الذكوري، أخذت هذه الحيوات مهمة الإلهة الأم القديمة وهكذا احتوى الدين الناصورائي على توازن فريد بين الأب الذكري النوراني والأم الأنثى الخصيبة بشكلها

النورانيّ.. لكن التوازن احتفظ دائماً بأرجحية أبوية، فيما نُفيت الإلهة الأم القديمة التي كانت تمثل الأرض (أر) كسيدة لعالم الظلام تحت اسم (روها) التي تلد ولداً يسمى (أور) الذي يذكّر هو الآخر باسم الأرض.

ونرى أن الناصورائيين هم شعبٌ سكنَ في بداية عصر الكالكوليت (العصر الحجري النحاسي) في حدود الألف الخامسة قبل الميلاد في السهل الرسوبي بين دجلة والفرات، وربما كانوا هم من أسس أول مدينة في التاريخ وهي مدينة (أريدو) التي كانت عند فم الفرات وهو يصب منفرداً في الخليج العربي. وهناك ظهر أول معبد في التاريخ وعُبد فيه إله الماء (إيا)، الذي كان السومريون يسمونه (إنكي). ونرجّح أن الـ(ناصورا) أو (نسّار) هم الشعب الذي أسس حضارة أريدو وأسس لديانة الماء الأولى.

يرى ليدزبارسكي أن كلمة (ناصور) تنتسب لكلمة (يلاحظ)، ومن هذا يستنتج بأن الناصورائيين كانوا (ملاحظين). ويفترض مستشرق آخر أنها قد تكون مشابهة لأصل كلمة (نصر) السريانية ومعناها (الزقزقة والتغريد كالطيور والنطق بأصوات مبهمة كالساحر والتغني وترتيل الأدعية) وكلا هذين الفرضين، في أصل المعنى يتفقان ورأي الصابئين، فالناصورائي عندهم كان مراقباً للنجوم والبروج والعلامات (دراور 1987: 44).

ونود أن نضيف رأياً آخر لرأيي ليدزبارسكي والسيدة دراور ونقول أن كلمة (ناصور) هي في أصلها (نصّر) التي تقترب كثيراً من الجذر العربي (نَظَر)، وبهذا يكون معنى الناصورائيين هو (الناظرين)، وهذا يقترب كثيراً من رأي ليدزبارسكي حول معناها الذي هو (يلاحظ). فالملاحظة والنظر هما شيء واحد، ولكن المعنى الحرفي للكلمة هو نظر وليس لاحظ. وبذلك يمكن القول أن الناصورائيين هم الناظرون في السماء (وهم بذلك الفلكيون)، أو الناظرون

في أمور الدنيا (وهم بذلك المتبحّرون) وهذا يطابق تماماً المعنى الاصطلاحي للناصورائيين اليوم.

(الناصوراثا) هي حرفة الكهانة الموروثة أباً عن جد والتي لها شروط صارمة يتقيد بها رجال الدين، رغم أن الناصورائية اليوم قد تطلق على رجل الدين أو الرجل الذي يعرف عن الدين المندائي كل شيء. ويُشار في المخطوطات المتأخرة إلى الناصورائيين بوصفهم أعلى من طبقة العامة فيقال بمهارته في الرقية، فيقال (يا له من ناصورائي حقيقي)(دراور 1987 43).

3. المندائيون

أما كلمة مندائي ومندائيون فمشتقة من اللفظ الآرامي (مدعا) أو (مندع) أو (مندا) الذي يعني الـ(عارف)، وبتقريب لفظة (مدعا) نستطيع القول أنها تشير إلى الـ(مدّعي) والـ(الداعية) والـ(دعوة) وهو الذي يعرف شيئاً ويدعو إليه. ومثلها كلمة (مندا) التي تشير إلى الـ(منادي) والـ(نداء) وهي الدعوة إلى شيء يعرفه أيضاً.

وعندما بدأت كلمة (مندا) بالظهور لم تحلّ بديلاً عن كلمة (ناصورا) بل أصبحت كلمة (ناصورائي) تشير إلى الطبقة العارفة المتبحرة في العلوم والمطلعة على الأسرار والناظرة في الشؤون الروحية التي تعرف القراءة والكتابة باللغات القديمة، أما كلمة (مندائي) فأصبحت تشير إلى طبقة دعاة هذا الدين والمنادين به، وهي طبقة العامة التي تمارس الطقوس دون أن يكون لها التبحر في أسرار هذه الطقوس وأسرار هذا الدين، وهي التي تتلقى معرفة الدين المندائي بصورة شفاهية لأنها، في الغالب، تجهل القراءة والكتابة باللغة الآرامية تحديداً والتي أصبح التراث الروحي لهذا الدين، كلّه، مكتوباً بها.

ورغم أن هناك نظريات كثيرة وضعت حول الأصل الغربي (فلسطين والأردن) للمندائيين قبل وبعد القرن الميلادي الأول، لكننا نجدها غير مقنعة. فأغلبها

يرى أنَّ الديانة المندائية كانت، في بدايتها، فرقة هرطقية خرجت من اليهودية أو المسيحية أو من كليهما، والحقيقة أن المندائيين، ورثة الناصورائيين، أعرق من ذلك بكثير فهم سكان وادي الرافدين القدماء كما أوضحنا.

لقد أجرى الباحث الأمريكي المتخصص في الدراسات المندائية (ياموجي) استقراءً واسعاً لما يتيسر من مصادر ومن شواهد أركيولوجية وغيرها سواء كانت آرامية أو إغريقية أو فارسية أو يهودية، بشأن المعتقدات الدينية للآراميين حين كانوا يستوطنون في جنوب ما بين النهرين وجنوب غربي إيران في الفترتين السلوقية (الإغريقية) والفرثية (وهي فترة الحكم الفارسي القديم الثانية والتي تزامنت مع بداية المندائية) وخلص إلى القول: إنّه ربما نفترض أنهم ورثة تقاليد ما بين النهرين وإيران، وأنهم كانوا على تماس بالأغريق والفرثيين واليهود، لكنّ المصادر الفعلية للمقارنة هي شحيحة حقاً. إذ ليس هناك سوى القليل جداً من المصادر المتيسرة فقط، بل وإن ما تيسر منها يكاد لا يمس القضية التي نحنُ بصددها. (عزيز سباهي، موقع اتحاد الجمعيات)

إننا نرى أن بعض الشواهد التي ترد في التراث الروحي للمندائية، مشيرةً إلى اليهودية أو المسيحية أو بعض الأسماء والمفردات والأعلام، لا تذهب بنا، بالضرورة، إلى فلسطين أو الأردن بل إن احتكاك المندائيين باليهود والمسيحيين قد حصل على أرض وادي الرافدين في أزمان متفاوتة، فالمندائيون عرفوا اليهود بعد السبي البابلي في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وخصوصاً عند انتشار اليهودية بعد سقوط بابل في جنوب العراق ووسطه. وكذلك عرفوا المسيحية منذ القرن الميلادي الأول حين قدم المبشرون إلى وادي النهرين وبشروا بها. وأصبح هذان الدينان منافسين مزعجين لها، ومن هنا الإشارات الغاضبة ضدهما، ومن هنا، كذلك، تسربت بعض المفاهيم والأساطير والعادات والطقوس المشتركة بين هذه الأديان الثلاثة.

4. الصابئة

أما مصطلح "صابئة" و"صابئون" فلم يعرف على نطاق واسع إلاّ بعد الإسلام وكان متداولاً قبل الإسلام بشكل محدود جداً، فالعربُ كانوا يسمون من يخرج من دينٍ إلى دين آخر بأنه (صابئي) وهم يقسّمون الأديان الموحّدة (غير الوثنية) إلى اثنين هما الصابئة والأحناف. والصابئة أقدم من الأحناف لأنهم أتباع آدم وشيت وهرمس ونوح (أنبياء ما قبل الطوفان)، أمّا الأحناف فهم أتباع إبراهيم الخليل الذين نشروا دينهم بصعوبة وسط الصابئة الذين انحرفوا عن أنبياء ما قبل الطوفان. ومن الطبيعي أن وجهة النظر هذه مهلهلة ولا قيمة لها أمام معطيات البحث العلمي، وإن صحّ أن عرب الجاهلية اعتقدوا بهذا فهو أمر طبيعي أمام محدودية الأفق الجغرافي والعلمي بحيث إنّهم لا يعرفون شيئاً دقيقاً عن أديان العالم آنذاك.

ما يهمنا هو القول أن مصطلح (صابئة) العربي الإسلامي هو خاطئ من أساسه ولا يشير أبداً إلى مجموعة دينية معينة بل هو مصطلح عام يشير مرةً إلى الأديان القديمة ومرةً إلى الخارجين عن تلك الأديان.

ونحنُ نجزمُ تماماً أنَّ هناك حادثة مغيبة في التاريخ هي التي أدرجت المندائيين في عداد الصابئة، بل إنَّ كلمة (الصابئة) لم تعد تدل إلاّ عليهم بمرور الزمن. لكنّ هذه الحادثة لا يذكرها أحد لا المندائيون ولا المسلمون. إنها تشبه حادثة المأمون مع ما يسمى بصابئة حرّان، ولكنها حدثت في بداية الفتح الإسلامي للعراق!!

إنَّ المصادر الإسلامية المبكرة وصفت الصابئة بطريقةٍ مناسبة لعرض القرآن الكريم حيث هم مع الموحدين، من يهود ومسيحيين ومجوس، وقد ركزوا على أن أماكنهم هي الموصل وواسط بشكل خاص. لكن المصادر الإسلامية بعد الربع الأخير من القرن التاسع للميلاد، أي بعد وفاة المأمون صاحب الحادثة الشهيرة في لقائه مع الوثنيين الحرّانيين ومطالبته لهم بأن يجدوا اسماً لدينهم

يعترف به القرآن أو أن يدخلوا الإسلام فما كان منهم إلا ادعاءهم بأنهم صابئة وهكذا أطلق عليهم خطأ صابئة حرّان وهم فرقة وثنية تعبد الكواكب. ومنذ هذه الحادثة خرج العلماء المسلمون عن التفسير الحرفي للقرآن ووصلوا، فيما بعد، إلى أن مصطلح الصابئة يشمل كل الوثنيين من عبدة الأصنام والكواكب أي أديان الحضارات القديمة كلّها.

المعنى العربي لكلمة (صبأ)، وهو الخروج على الجماعة، ليس دقيقاً في تسليط الضوء على معنى الصابئين كجماعة دينية؛ لأنَّ هذا المعنى العربي يخص المعنى اللغوي العربي وليس المعنى الاصطلاحي، خصوصاً أنها تعني جماعة لم تكن تتكلم العربية. أما المعاني غير العربية (الآرامية بشكل خاص)، لشرح كلمة (صبأ) العربية فأغلبها دقيقٌ؛ لأنها تُجمع على أن (صبأ) هي الاغتسال بالماء والتعميد، ولا بدّ من الاستئناس باللغات القريبة منها خصوصاً اللهجات الآرامية كالسريانية والمندائية والنبطية ولغات متزامنة معها كالعبرية.

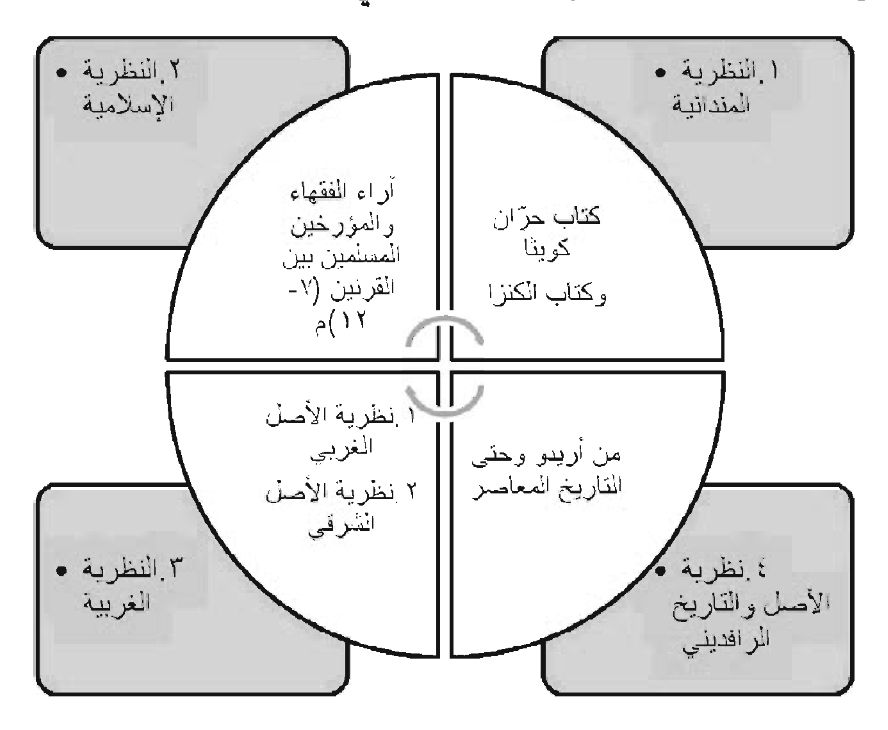
لا يذكر الكتاب المقدس للمندائيين (كنزا ربّا) كلمة صابئة مطلقاً وكذلك (كتاب يحيى) وبقية الكتب الدينية. ولذلك نرى أنَّ كلمة (صابئة) أطلقت عليهم من خارجهم حسب تصنيفات خاطئة وفهم خاطئ. ربما ساعدهم هذا الاسم على التعايش مع الدين الإسلامي والمسلمين بشكل خاص؛ لأنه ذُكر في القرآن وانطبق عليهم، لكنّه مصطلح غير دقيق أبداً فهم الناصورائيون المندائيون وليس الصابئة المندائيين!!.

ثانياً: نظريات أصل المندائيين

اختلف الباحثون حول أصل وتاريخ المندائيين والديانة المندائية، وقد ناقشت الكتب الدينية المندائية أصلهم وتاريخهم، من خلال المخطوطات المندائية، وقدمت نظرية مندائية دينية حول التاريخ المندائي محايثا لما ذكره التوراتيون عن تاريخهم وهو ما سننقده ونبيت خطله، والإسلاميون يسمون المندائيين بالصابئة لكنهم ينقلون عن بعضهم دون قراءة واقع المندائيين الذين يعيشون معهم ثم يعمّمون مصطلح الصابئة (الذي أراه خاطئاً) وبذلك تفتقر كتبهم للدقة العلمية تماماً ويغلب عليها الطابع الفقهي المختلف الأوجه، أمّا ما حفلت به كتب وبحوث العلماء الغربيين من آراء متفاوتة حول أصل وتاريخ المندائيين وانقسامهم بين نظريتين عامتين: أولاهما تقول بالأصل الغربي اليهودي المسيحي في الأردن وفلسطين، وثانيتهما تقول بالأصل الشرقي الرافديني والإيراني في جنوب العراق وإيران.

لكننا حاولنا إنشاء نظرية رابعة في تتبع أصل وتاريخ المندائيين باعتبارهم شعباً سحيق القدم من شعوب وادي الرافدين طرأت على ديانته تبدلات وتطورات متعاقبة.

ويمكننا إجمال هذه النظريات بالمخطط الآتي:



1. النظرية المندائية: كيف يرى المندائيون تاريخهم؟

ترك المندائيون ما يقرب من الثلاثين مخطوطة وملفوفة تمثل، في مجملها، التراث الروحي لهم. وهو تراث عظيم نرى أنه يشكل آخر كنوز وادي الرافدين بعد كنوز الرقم الطينية لحضاراته القديمة. وتتعدى أهمية هذا التراث المجال الرافديني لتقفز وتكون حاسمةً في التراث الروحي للإنسان وفي تاريخ الأديان وهو ما يفسر إقبال العلماء المتزايد لدراسته والبحث فيه.

هناك القليل من هذا التراث يشير إلى تاريخ المندائيين، ويمكننا اعتبار مخطوطة (حرّان كويثا) أوسعها ثم تأتي الكتب الأخرى مثل (كنزا ربا، دراشة إد يهيا، القلستا) وسنحاول أن نسلط الضوء على هذا التاريخ الذي نعدّه

أسطورياً بسبب ما يحتويه من خلط بين التاريخ والأسطورة. فهو ليس بالتاريخ الحقيقي، بل هو أشبه بسيرة جماعية تشوبها الأساطير والتناقضات والمعجزات وغير ذلك. ولكننا يجب أن نعرف من هذا التاريخ الأسطوري كيف سارت أحداث هذه الجماعة العريقة. ويمكن تقسيم تاريخهم الأسطوري هذا، كما يرونه هم، إلى المراحل الآتية:

أ- البشرية الأولى: يعتقد المندائيون أن الملاك الخاطيء (بثاهيل) هو الذي خلق الأرض ثم خلق جسد الإنسان على غراره بالتعاون مع أم الظلام (روها) والكواكب السبعة، أما روح الإنسان فقد هبطت من عالم النور. وبذلك دبت الحياة في آدم، وبنفس الطريقة خُلقت حواء، ثم أنجبا ثلاثة أبناء هم (هيبل وشيتل وأنوش). وهناك ما يشير إلى أن الأرض التي خُلق فيها آدم وحواء هي سرنديب (التي يرى البعض أنها سيلان). وبعد ألف عام انتقلت روح آدم إلى عالم النور ثم روح حواء. وأصبح رأس السلالة هو هيبل الذي شهد بعد 216 ألف سنة الكارثة الأولى التي أعدتها الـ(روها) للقضاء على البشر عن طريق الحرب والسيف، وكان الناس في هذه البشرية على دين آدم وفي زمن شيتل انتقل نسل آدم إلى مدينة (الطيب) في العمارة الحالية في العراق.

ب- البشرية الثانية: لم يبق من البشرية الأولى سوى (رام) و(رود) وكان شيتل بن آدم راعياً لهذا العصر وقد تناسل البشر من جديد حتى وصلوا إلى نهاية هذا العصر بكارثة النار والحريق الذي أعدّته قوى الظلام للقضاء على البشرية الثانية التي طال أمدها 156 ألف سنة. وفي هذه البشرية ظهرت الناصورائية.

ج- البشرية الثالثة: بقي من البشرية الثانية (شرباي) و(شرهبيل) وكان أنوش بن آدم راعياً لهذا العصر، وعاد البشر للتكاثر من جديد وكانت الناصورائية هي دينهم. لكن قوى الظلام دبرت الكارثة الثالثة لهم عن طريق الطوفان فأنقذ (نوح) الذي كان قد أنجب سام من (نهوريثا) الحياة على سفينته. وكان عمر هذه البشرية 100 ألف سنة.

د- البشرية الرابعة: أصبح نوح ونهوريثا رأس هذه البشرية وأصبح سام الجدّ الأعلى للمندائيين فيما ولد (حام ويام ويافث) من نوح وامرأة الظلام – روها- وهم أجداد البشر الآخرين من غير المندائيين. وتخبرنا الكتب المندائية أنَّ هذه البشرية ستفنى هي الأخرى بالعاصفة والريح وستفنى معها الأرض بسبب الخطايا وعدم وجود مرشد نوراني لهذا العصر يعيش مع البشر. لكنّ الكتب المندائية تشرح ما حصل في هذه البشرية منذ نوح إلى ما بعد ظهور الإسلام بقليل وكما يلي في نقاط موجزة (مشروحة بشيء من التفصيل في كتابنا: المثولوجيا المندائية):

1. من نوح إلى بهرام
2. من مصر إلى حرّان
3. من حرّان إلى أورشليم
4. من أورشليم إلى حرّان
5. من حران إلى بابل
6. من الفرس إلى العرب

وهناك تفاصيل في كتاب (حران كويثا) متتبعاً هذه المراحل المتأثرة بسفري التكوين والخروج في التوراة.

2. النظرية الإسلامية: كيف نظر لهم الفقهاء والمؤرخون المسلمون؟

(صبأ) في اللغة العربية، تعني خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم، أي تخرج مطالعها كما يقول ابن منظور. وكانت العرب تسمي النبي (ص) الصابئ، لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام، أي أنهم استخدموا المعنى اللغوي للكلمة حيث لم يتبلور، بعد، المعنى الاصطلاحي لها.

وبعد قرونٍ حين سيتبلور المعنى الاصطلاحي للكلمة فإنَّ مصطلح (صابئة) لن يدلّ على طائفة دينية معينة بل سيشير إلى عدة طوائف لكلّ واحدةٍ ما يميزها من العقائد والطقوس، وتشترك مع غيرها بمجموعة صفات. فالصابئة اسم اصطلاحي عام لا يدل على دينٍ أو على طائفةٍ أو مذهب معين بل تقع تحته عدة أديان وطوائف كما سنرى.

ويمكننا تتبع مادة التراث العربي الإسلامي التي تناولت الصابئة تاريخياً حسب القرون الميلادية:

ونودّ وضع خلاصة عامة لما عرضناه من أفكار ظهرت في تلك القرون الخمسة:

1. كان من عادة العلماء العرب المسلمين العودة دائماً إلى الأصل اللغوي للكلمة واعتبار معناها موجهاً اصطلاحياً في أحيانٍ كثيرة فمفردة (صبأ) التي كانت تعني (الخروج من دين إلى آخر) في المعجم العربي هيمنت بظلالها على المعنى الاصطلاحي لكلمة (صابئة) ولم يذهبوا إلى أصلها في لغة قوم ذلك الدين (الآرامية المندائية) حيث تعني اغتسل وتعمد بالماء (صبأ، صبغ، سبح).

2. في القرن السابع الميلادي ألزم القرآن الكريم جميع المسلمين باحترام الصابئة لأنهم دين كتابي فتقيدوا بذلك ولم يخرج عن هذا الموقف أحدٌ من العلماء أو العامة إلاّ القليل.

3. في القرن الثامن الميلادي ظهرت آراء المدارس الفقهية حيث بدأت المغالطة الأولى فأبو حنيفة يرى أنَّ كتابهم هو الزبور ومالك ينفي وجود كتاب مقدس لهم، والشافعي رأى أنهم من ضمن أهل الكتاب، وابن حنبل رأى أنهم جنسٌ من النصارى.

4. في القرن التاسع الميلادي وتحديداً بعد عام 833م حصلت حادثة المأمون مع الحرانيين الذين اعتبروا أنفسهم صابئة تخلصاً من تهديد المأمون، وبدأت المغالطة الثانية التي جرّت على الصابئة اعتبارهم عبدة هياكل ونجوم وخلطت،

عند العلماء المسلمين، دينهم بالمعتقدات الحرّانية الوثنية. دون أن يُتعب هؤلاء العلماء أنفسهم في تقصي الحقيقة.

5. في القرن العاشر الميلادي، سار المؤرخون وراء المغالطتين الأولى والثانية واستشرى، بذلك، فهم مشوش عن الصابئة لم يسلم منه كبار المؤرخين مثل الطبري وابن الطيب والرازي، وسرعان ما انزلق المسعودي في تعميم مصطلح الصابئة على كلّ أديان العالم القديم الوثنية قبل ظهور التوحيد، فكانت المغالطة الثالثة وظهرت بوادر العنف والاضطهاد في ما أفتاه الاصطخري وما أراد أن ينفذه الخليفة القاهر ضد الصابئة.

6. في القرن الحادي عشر الميلادي، حاول البيروني تصحيح المغالطة الثانية لكنه أبقى على المغالطة الثالثة، وأدخل ابن حزم القرطبي مغالطة رابعة عندما اعتبر الصابئة هم شعب إبراهيم الذي انحرف عن طريقه القديم وأن دينه الحنفي جاء ليصحح ذلك.

7. في القرن الثاني عشر الميلادي كرّس الشهرستاني ملاحظة القرطبي ووسعها. دون أن يعالج شيئاً من هذه المغالطات.

وهكذا نجد أنَّ العلماء المسلمين افتقروا إلى الحدّ الأدنى من مستلزمات تقصّي حقيقة الصابئة، بل إنهم لم يذكروا مصطلح المندائية مطلقاً، وربما اكتفوا بمصطلحات أخرى كالمغتسلة وصابئة البطائح، وتناولوهم بعقل نظري شمولي شوّه صورتهم وأبعدها عن الحقيقة. فقد حلّقوا في خيالٍ عجيب عندما اعتبروا أديان العالم القديم الوثني، كلّها، صابئية. ولم يتعب أحد نفسه في قراءة ودراسة كتبهم أو التقرب من عبادتهم ومعرفتها عن كثب، خصوصاً أنَّ اللغة الآرامية (والمندائية إحدى لهجاتها) كانت معروفة جداً للعلماء آنذاك.

3. النظرية الغربية: المندائية في دوائر البحث العلمي

منذ حوالي أربعة قرون وحتى الآن، نشأت في دوائر البحث العلمي الغربي نظريتان أساسيتان حول أصل المندائيين والديانة المندائية وعلاقتها بالأديان التي حولها. النظرية الأولى هي نظرية الأصل الغربي والمقصود به الأردن وفلسطين، وتنقسم إلى فرضية الأصل اليهودي وفرضية الأصل المسيحي. أما النظرية الثانية فهي نظرية الأصل الشرقي والمقصود به وادي الرافدين وإيران وتنقسم إلى فرضية الأصل الرافديني وفرضية الأصل المانوي. وقد خضعت كلّ هذه النظريات والفرضيات إلى تمحيص وتدقيق وتعديل من خلال علوم وتاريخ الأديان واللغة والآثار والأنثروبولوجيا.

أ. نظرية الأصول الغربية (اليهودي، المسيحي، الغنوصي الغربي)

هذه النظرية هي النظرية الأكثر اتساعاً والتي جذبت إليها أغلب علماء الآثار والاستشراق واللغات القديمة، وقد دارت في فلك الدوائر الهرطقية اليهودية والمسيحية التي نشأت قبل وبعد القرن الميلادي الأول في فلسطين والأردن، وأرجعت نشوء الديانة المندائية إليها. وقد بدأت بواكير هذه النظرية بالظهور منذ أن كتب مبشرو أو رموز (الجيزويت) وهم من المبشرين البرتغاليين تقريرهم عام 1555 بعد زيارتهم لمناطق الخليج العربي، ولكنه لم ينضج إلاّ بعد حوالي ثلاثة قرون ونصف على يدي الألماني مارك ليدزبارسكي في العقود الأولى من القرن العشرين وسار على نهجه كثيرون من أمثال كورت رودولف وماكوخ والليدي دراور (السيدة إيثيل ستيفانا دراور). وخلاصة هذه النظرية ترى أنّ منشأهم (الصابئة) كان في الغرب، بين طوائف البحر الميت أو في شرقي الأردن حيث كان التعميد يمارس هناك على نطاقٍ واسع قبيل ظهور المسيحية وبعد ظهورها وأثناء انتشار الحركات الغنوصية هناك.

رأى ليدزبارسكي أنّ وطن المندائيين الأول «كان يقع في الأصل غرباً، وأكثر من هذا حاولتُ أنْ أحدّد موطنهم على نطاق ضيق: عبر المناطق الأردنية غير بعيد عن جبل حوران» (كوندوز 1996 47).

وقد نفى أن يكون المندائيون تابعين ليوحنا المعمدان لكنّهم ربما تعرفوا عليه هناك أمّا هجرتهم إلى الشرق فقد بدأت في القرن الميلادي الأول قبل تدمير المملكة اليهودية عام 70م. وفي ما بين النهرين تأثروا بعبادتي الكواكب البابلية وآلهة الأمومة السورية، وأن سجالهم مع اليهود ذو جذور قديمة تمتد إلى وطنهم الأصلي أما سجالهم مع المسيحية فمتأخر ويمتد إلى صراعهم ضد التبشير المسيحي.

هذه هي خلاصة نظرية ليدزبارسكي التي أصبحت أساس نظرية الأصل الغربي برغم الإضافات والحذوفات المتنوعة عليها، فقد رأت الليدي دراور، مثلاً، أن نشوء المندائية يرتبط بالفرق اليهودية المنشقة ما قبل المسيحية كالنصرائيين Nasaraeans وقالت أنّ الناصيروتا Nasiruta المبكرة (أو المندائية البكر(Ur-Mandiasmus في الألمانية) كانت طائفة ازدهرت في يهوذا والسامرة ثم في توطد اليهودية البارثية في الأردن القديم، وتأثرت هجينياً بقوة بالمجوسية واليهودية الغنوصية، ورأت أنه بعد تدمير القدس من قبل الرومان واستيطان قسم كبير من اليهود المسيحيين شرقي الأردن قام اليهود واليهود المسيحيون بتهديد الناصوريتا وهاجر هؤلاء إلى ملجأ لهم في المحيط البارثي الصديق وتلال ميديا. كما رأت الليدي دراور أنّ هناك علاقةً أو اتصالاً بين المندائيين والكسائيين ووثنيي حرّان القروسطويين (صابئة حرّان). (كوندوز 1996 57- 58).

وهناك من رأى أنَّ المندائية ظهرت من الجوّ العام الذي أشاعته الغنوصية أثناء انتشار الثقافة الهيلنستية في إطار ما يعرف بالحركات التلفيقية أو التوفيقية (Syncretism) التي ظلت تعيد إنتاج الأديان الشرقية القديمة في صيغة

عالمية هيلنستية، وقد كان موضوع (الخلاص) والبحث عن (مخلّص) هو غاية هذه الحركات، ولا شكّ أن المندائية واليهودية والمسيحية ازدادت غنىً في جوّ هذا الجدل الخصيب. ولعل المندائية بجوهرها الغنوصي الفريد شكّلت الحافز الأول لظهور هذا الجدل من ناحية، واستطاعت أن تحافظ على خصوصيتها من الاندماج في الغنوصيات اليهودية والمسيحية.

يرى جين دورسيه، أنّ الناصورائيين المندائيين الذين وجدوا في فلسطين هم من أتباع الغنوصي المعروف ساتورنيل (Saturninus) أحد ممثلي الأشكال الأولى للغنوصية وتلميذ (ميناندر) الذي كان بدوره تلميذاً لسيمون الذي يُنسب إليه وضع أولى الأفكار الغنوصية، طبقاً للمصادر المسيحية الأولى، عاش ساتورنيل ودعا إلى أفكاره في أنطاكيا، أيام الامبراطور الروماني هدريان. فطبقاً لما يرويه إيرناووس وكتّاب المسيحية الأوائل كان ساتورنيل يبشّر بأسطورة للخلق تتماثل كثيراً مع الرواية المندائية في السماء والأرض، ويصوّر فيها آدم على غرار ما تصوره الرواية المندائية حتى تسعفه (شرارة) الحياة من إله السماء، وأنّ هذه الشرارة تعود لتصعد إلى السماء لتنضم إلى الكائنات الروحية التي تنتسب إليها. لكنّ المؤرخين يذكرون إلى جانب ذلك أن تلاميذ ساتورنيل كانوا يتمسّكون بالعزوبة مستندين إلى أنه كان يشدّد على أنّ الزواج والإنجاب إنما هو شرٌّ، وفي هذا ما يختلف تماماً مع المندائية التي ترفض العزوبة. (كوندوز 1996: 34).

ب. نظريّة الأصول الشرقية (الرافديني، الإيراني):

تعتبر هذه النظرية أقل حماساً بالنسبة للعلماء الغربيين رغم أنّ الزمن يجري لصالحها ويتزايد اليوم أعداد مناصريها. فهي تؤكد على أنّ المندائيين من سكان وادي الرافدين القدماء وأنّ تراثهم الرافديني والبابلي، بشكل خاص، تفاعل مع التراث الفارسي بعد سقوط بابل، وخصوصاً المعتقدات الزرادشتية

والفرثية ومع الجماعات اليهودية والمسيحية الموجودة في وادي الرافدين. وقد بدأت هذه النظرية بالظهور مع الباحث سايمون عام **1685** الذي أشار للعلاقة مع المانوية ومع تايشن عام **1784** الذي أشار لأصلهم الكلداني. ولكنها لم تنضج إلاّ على يدي المستشرق الروسي (الأوكرايني) دانيل خوالسون (D. Chwolsohn) في منتصف القرن التاسع عشر **1856** معتمداً على المصادر السريانية والعربية.

يرى الباحثون في هذا الإطار أن البيئة الهيلنستية في وادي الرافدين متمثلة ببقايا الدين البابلي والزرادشتي والغنوصية والهيلنستية هي التي تغري بالتطلع إلى بدايات المندائية في هذا المناخ «ومع أنَّ فكرة البحث عن أصول هؤلاء المندائيين بين من بقي من هؤلاء البابليين، أو بين من اندمج معهم من الجماعات الآرامية تظلّ تغري المرء، فإنَّ الافتقار إلى البيّنات المادية، لا يسمح للمرء بأن يقطع بشيء، كما لاحظ ياموجي عن حق".(سباهي**1996** : **172**).

وقد ذهب باركي إلى أنَّ المندائية فرقة غنوصية نشأت من الأوفاتية **Ophites** وهي فرقة غنوصية تعتبر الشيطان تجسيداً لحكمةٍ إلهية.

وقال براندت أنَّ الطبقة القديمة للمندائية تحتوي عناصر الشرك من البيئة الدينية الساميّة والفلسفة الكلدانية أما مفاهيم الغنوصية واليهودية والفارسية فهي الطبقة الثانية التوحيدية التي تمت صياغتها في حدود **300**- **600** م. (كوندوز **1996** : **61**).

4. نظريتنا (نظرية الأصل والتاريخ الرافديني): منذ أريدو إلى التاريخ المعاصر

سنقدم هنا خلاصة شديدة لوجهة نظرنا حول أصل وتاريخ المندائيين، وهي وجهة نظر لم تتكون بين ليلةٍ وضحاها، بل عملنا على بنائها وتطويرها منذ أكثر من ربع قرن بعد دراستنا الأكاديمية لحضارات العالم القديم وبعد

اطلاعنا على أصل وتاريخ المندائيين في التراث المندائي والتراث الإسلامي والتراث العلمي المعاصر.

ومنذ أن صدر كتابنا (جذور الديانة المندائية) وحتى يومنا هذا ونحنُ نحاول تطوير نظرية خاصة حول أصل وتاريخ المندائيين، وقد توصلنا إلى نتائج جيدة عسانا نستطيع إخراجها في كتاب مستقل، وسنقدّم هنا خلاصة شديدة لها.

نرى أن أصل المندائيين متجذرٌ في وادي الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ وهم أحد شعوب هذا الوادي التي نزحت من شماله إلى جنوبه في العصر الحجري النحاسي، ولا نعتقد أنهم هاجروا من مكان آخر أو إلى مكان آخر، فهم خميرة الطبقات الحضارية التي مرت به، ولكن هذا لم يحُلْ دون اتصالهم وتفاعلهم مع شعوب وادي الرافدين الأخرى أو مع الشعوب المهاجرة إليه أو المجاورة له. ونرى أنّ تاريخهم ينقسم إلى المراحل الآتية:

1. عصور ما قبل التاريخ:

أ. عصر أريدو

في الألف السادس قبل الميلاد أصبح السهل الرسوبي المحصور بين دجلة والفرات في وادي الرافدين الجنوبي مهيّأً لاستقبال هجرات الأقوام النيوليتية (الحجرية الحديثة) التي ازداد حجمها في حقبة عصر النيوليت شمال وادي الرافدين. وحين هاجرت هذه الأقوام المتعطشة لأرض زراعية خصبة، انقسمت إلى أربعة فروع كبرى أصبح الفرع الوسطي منها يسمى (سونارتو) وهو الذي حلّ في أغلب الأراضي المحصورة بين دجلة والفرات ولكنّه استقر أولاً في أرض قريبة من حافات الخليج العربي العليا (والتي كانت تقترب من جنوب الناصرية حالياً) على نهر الفرات، وبنى هناك أول مدينة في التاريخ أسماها (أريدو) ويعني اسمها (الأرض)، وكان هذا الشعب الكالكوليتي النزعة (الحجري النحاسي) قد شهد بدايات الانقلاب الذكوري وإزاحة المرأة من مركز المجتمع وتحويلها إلى

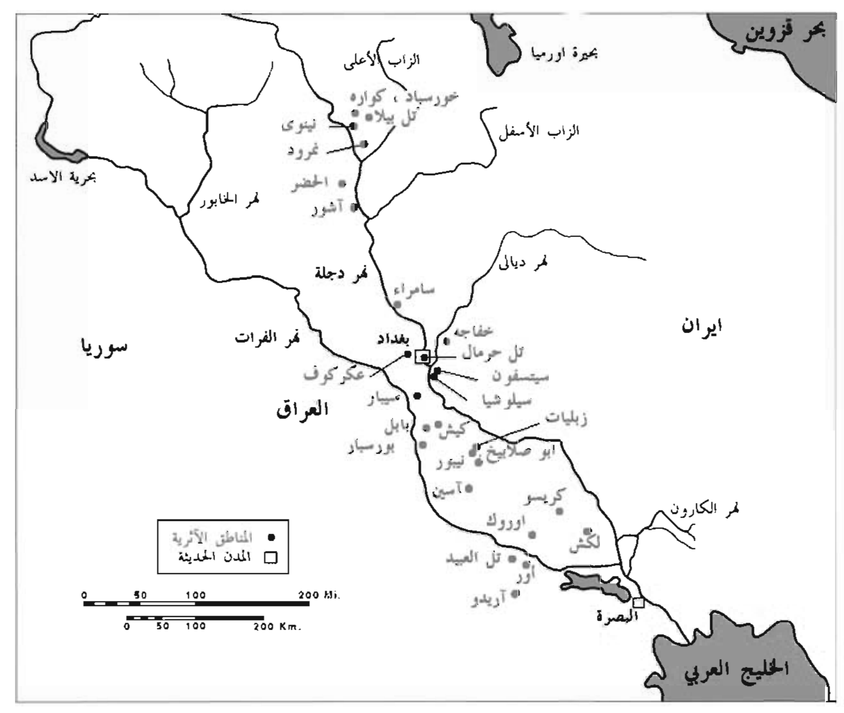
الهامش وإحلال الرجل والعبادة الذكورية مكان عبادة **الإلهة الأم** الأنثوية **الشمالية الأصل. فهو لم يعد يعتقد بأن خصب الحياة يأتي من المرأة والأرض** بل كوّن له عقيدةً دينية جديدة، ظلت تحمل رواسب العقيدة القديمة، وتقضي هذه العقيدة بأنّ **الماء** هو أساس الخصب **ولولاه** ما حصلت الزراعة وما عاش الإنسان والحيوان والنبات وأنّ هذا الماء الصالح للشرب والزراعة هو ماء الأنهار الذي أصبح يمثله **الإله** (إيا) ومعناه (حي) فهو أصل الحياة كلّها. ولذلك أصبح الفرات **الذي أقاموا عليه مدينتهم الأولى (أريدو) نهراً مقدّساً لأنه يضمّ (إيا)، وكان** اسم الفرات **آنذاك** (بارنو) أي (نهر الشمس)، **لكنّهم** أعطوه **اسماً** آخر يتناسب مع اسم مدينتهم (**أريدو**) **فأسموه** (أردو) **أو** (يردو) الذي تطوّر إلى (**يردنا**) ومعناه **(نهر الأرض).**



إله أريدو - إيا (إنكي) إله الماء والعرفان الذي نصفه سمكيٌ

كهنة إيا الذين يرتدون اللباس السمكيٌ وهم العرفانيون **الأوائل** (أبكالو) أي الحكماء وعددهم سبعة

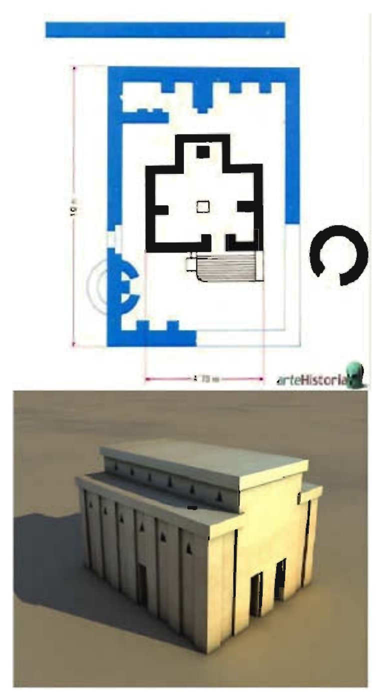
كانت شعوب (سونارتو) المهاجرة إلى السهل الخصيب تضمّ شعوباً متباينة ونحنُ نرى أنَّ هناك ما تبقى من اسم هذه الشعوب (سونارتو) في مفردة ظلت في بعض المرويات التاريخية والدينية كالتوارة عن وادي السهل الخصيب الذي يسمى (شنعار)، وشنعار هي تصحيف لكلمة بائدة قديمة جداً هي (سونارتو) التي نرى أنها تحولت إلى (شنعارتو) ثم (شنعار)، وهكذا نكون قد وضعنا يدنا على سرّ اسم شنعار الذي ورد في التوراة وظنَّ كل الباحثين أنّه اسم عبري محور لكلمة (سومر) لكنه في الحقيقة اسم (سونار) وهم شعب مدينة وحضارة أريدو التي اندثرت تحت حضارتي العبيد وسومر اللتين أتيتا بعدها، ونرجح أن حضارة (سونار) ظهرت في حدود 5000 ق.م وانتهت في حدود 4500 ق.م عندما ظهرت حضارة (العبيد) التي أسسها الأموريون كما نرى.



خارطة بعض مدن العراق القديم ويظهر فيها موقع أريدو في الأسفل

http://www.iraqnaa.com/aniraq/

كان من ضمن شعوب سونارتو الشعب الذي بنى (أريدو) وهو (نسار) أو (ناسار) أو (ناصور) أو (ناصر) الذي بقي مقطع (نصّر) في الكثير من أسماء ملوك وادي الرافدين يشير إليه مثل نبوخذنصّر، شليمانصّر.. إلخ. ونرى أنه شعب الناصورائيين الذي هو الاسم القديم للشعب المندائي، وقد طوّر هذا الشعب الكثير من فنون وعلوم الحضارة قبل ظهور حضارة العبيد وحضارة سومر وفي حدود الألفي سنة قبل ظهور السومريين حضارياً وسياسياً. ويمكننا أن نسمي الناصورائيين شعب أريدو أو (الأريدويون) أو مناصرو الإله (أيا) (ناصور أيا) أي (ناصورايا).



http://tienda.artehistoria.net/tienda/banco/cuadros/7490.htm

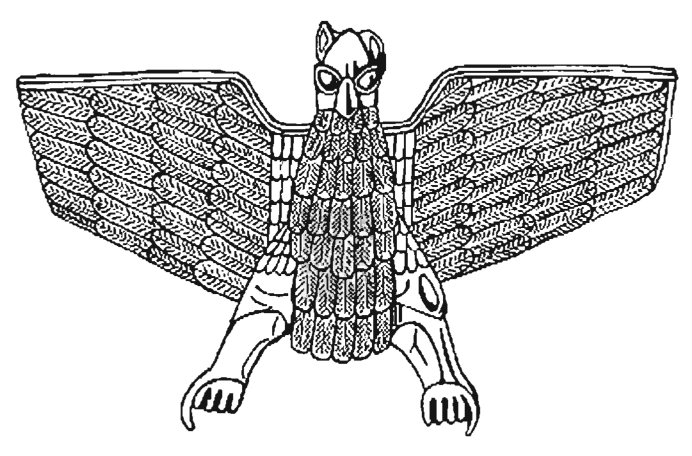
معبد أريدو : معبد انكي

ب. عصر العُبيد

جاور الناصورائيين، في أريدو وفي مدنٍ أخرى، شعبٌ آخر هو الشعب الأموري الذي **رأينا** في كتابنا (**المعتقدات الأمورية**) بأنه هو الشعب الذي أسس حضارة (**تل** العبيد) التي سبقت **الحضارة** السومرية وبدأت بالظهور في حدود **4500** ق.م.

وقد ظهر الشعب السومري لاحقاً بحضارته الفريدة في حدود 3500 ق.م، ونقل هذا الشعب عصور ما قبل **التاريخ** إلى العصور التاريخية في **حدود 3200** ق.م.

لم يكن الشعب الناصورائي قد توصل إلى اكتشاف الكتابة كما هو حال الشعب الأموري صاحب الحضارة العريقة المعروفة بحضارة تلّ العبيد. لكن الشعب الناصورائي طوّر العجلة والسفينة الشراعية وله منجزات أخرى.



Emblem of the Anzu (Imdugud) symbolizing genetic heritage. Babylonian.

إله الريح الذي عبد أولاً في العبيد ثم في سومر باسم (امدوجد) و(آنزو) أو (زو)

http://www.bibliotecapleyades.net/vida_alien/secret_darkstars/secret_darkstars01.htm



انتشار حضارة العبيد وخضوع أريدو لها

http://drakenberg.weebly.com/mesopotamia.html

2. العصر السومري:

وفي كتابنا (جذور الديانة المندائية) توصلنا إلى وجود علاقة واضحة بين الديانتين السومرية والمندائية يبدو أن سببها هو هذا التجاور بين السومريين والناصورائيين وقد رأينا أن اشتراك الديانتين بالبيئة المائية ووجود عالمي النور والظلام وظهور الكثير من الآلهة وأسماء الكائنات النورانية والظلامية وتشابه الطقوس وبعض الأساطير هو ما دفعنا إلى القول بأن الديانة السومرية هي لبّ الديانة المندائية، واليوم نضعُ صياغة دقيقة لهذا الاستنتاج ونقول أن العلاقة

المشتركة بين الديانتين السومرية والمندائية تكمن في الديانة الناصورائية لشعب حضارة أريدو الذي دارت ديانته حول عبادة الماء الحي وكان الإله (إيا) أو (حي) هو جوهر هذه الديانة وأساسها.



إنكي :إله الماء السومري
http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Enki

وبطبيعة الحال لم تكن الديانة الأريدوية (الناصورائية) آنذاك كما هي الديانة المندائية الآن، فقد كانت ديانة شفاهية ولها نظام كهنوتي وأسطوري معين، لكن طقوسها كانت صارمة وقد حفظت، هذه الطقوس، الناصورائية أكثر من أي شيء آخر. ومن البديهي القول أنه لا يوجد نصّ واحد ناصورائي كتب بالمسمارية أو على ألواح الطين وهو ما يشكّل النقطة الأضعف في نظريتنا وما يجعلها أقرب إلى الفرضية طالما غابت تلك النصوص الكتابية التي نفترض

أن يكون لها بعض الحضور بعد استقرار الكتابة والتعامل بها، لكنّ الحفريات لا تقول كل الحقيقة دائماً بل بعضها.



المدن السومرية المهمة

http://3.bp.blogspot.com/_n9UpCli9Waw/SjtrmjDPBVI/AAAAAAAAGkM/wJpx1uMLVoU/s1600-h/ERIDU+EN+BAS+SOUS+URUK.png

3. العصر الأكدي:

كان الأكديون قد أضافوا إلى الديانات العراقية القديمة عنصراً حاسماً وقوياً هو عبادة الإله الشمس المتمثل بالإله (شماش) الذي أصبح مع مجموعته الكوكبية بمواجهة آلهة الحياة والمياه والخصب. وكان هذا التطور دافعاً لنشوء عقيدتين متنازعتين هما العقيدة الشمسية الأكدية والعقيدة الخصبية التموزية. وتُظهر أساطير عشتار وتموز الصراع العنيف بينهما حيث تمثل إنانا (عشتار)

عبادة الكواكب، ويُظهر تموز عبادة الخصب (الأرض والمياه) وبموت تموز وانبعاثه الدوري تكون العبادة الشمسية قد بدأت بالسيادة على الأديان الرافدينية.

وكان من آثار هذه النقلة الروحية على الديانة الناصورية أنها جمعت النور والحياة في عالم واحد بمواجهة الظلام الذي يضمّ الكواكب المشعة التي لا تُضاء إلاّ بأشعة عالم النور الخارج عنها. وكان هذا الحلّ التوفيقي كفيلاً بنمو خصوصية نادرة لهذه الديانة المستترة المنزوية والتي بدأت تخشى جلجلة الأباطرة والملوك الكبار الذي يستشون إلى ديانات تلجأ إلى القوة والدمار في كثير من الأحيان.



الإله شمش

http://www.crystalinks.com/sumergods1.html

4. العصر البابلي (القديم والحديث):

كان ظهور الديانة البابلية القديمة (الأمورية الجوهر) استمراراً لسيادة العقائد الشمسية بصيغة توفيقية هي الأخرى، فالإله مردوخ الذي هو الإله **القومي للبابليين هو إله شمسي (يمثل المشتري) وكان يسمى (ثوير الشمس) حل محل شامش الأكدي وأضاف له عناصر خصب تموزية وعناصر عرفانية من ابنه** (نبو).



الإله البابلي مردوخ
http://www.crystalinks.com/sumergods1.html

تمسك الناصورائيون بما توصلوا إليه من فصل حاد بين عالم النور والحياة وعالم الظلام وظهرت أساطير خليقتهم وتراتيله. وظلّوا في ذلك المكان المائي الرحيب في جنوب العراق بعيداً عن جعجعة الصراعات السياسية في وسطه

وشماله، وربما نشير هنا، بشيء من الحذر، إلى السلالة البابلية الثانية التي كان اسمها (سلالة القطر البحري) التي حكمت بعد السلالة الأمورية وكانت منطلقةً من تلك البيئة المائية ومن المدن السومرية القديمة.

أما العصر البابلي الحديث (الكلداني) فهو عصر انتصار الآرامية ثقافة ولغةً وديناً، وقد حافظت الآرامية على الجهاز الروحي البابلي القديم لكنها أجرت تعديلات حاسمة فيه لا مجال لذكرها هنا، لكننا نذكّر، مرة أخرى، بالمحاولة الجريئة والكبيرة التي حاولها آخر ملك بابلي وهو (نبونائيد) لجعل التوحيد عقيدة للديانة البابلية تقوم على أساس تفريد سين (القمر).

شعر المندائيون أن الكلدانيين يتجهون بقوة نحو تعظيم الكواكب حتى في دعواتهم التوحيدية فتمسكوا هم بعقيدتهم المضادّة للكواكب والممجِّدة لعالم النور والحياة من خلال النور الحي والماء الحي اللذين أصبح يمثلهما الإله (هيّي ربّا) أو (الحي العظيم) سليل (إيا) العريق. لقد وقفوا في كل تلك العصور متمسكين بعقيدتهم هذه أمام صعود وسقوط العقائد والأديان والآلهة. لكننا يجب أن نؤكد على أن عناصر ذكورية كثيرة جداً دخلت إلى عقائدهم المائية التي كانت، ذات يوم، تميل نحو شكل أنثوي خصبي. لقد أُهينت الأنوثة وأصبحت نجاسةً ومثّلت الروها (أم الظلام) أكثر أشكال العهر والانحراف والرذيلة.

نزّه المندائيون في المرحلة البابلية الحي العظيم وميزوه عن الإله (إيا) الذي يتشابه معه في كونه إله الماء، وذلك عن طريق تجنبهم تجسيده في تماثيل وأصنام ورفضهم لرموزه البابلية (الموضحة في الرسم أدناه) وهي الرموز التي ترفقه مع أشكال حيوانية كالسلحفاة والماعز والخروف، وهذه خطوة مهمة جداً نحو وضعه في إطار توحيدي خالص.

وفي هذه الفترة، ومنذ مجيء اليهود أسرى إلى بابل بعد أن سباهم نبوخذنصر أصبح التنافسُ قائماً بين ديانتين تدّعيان التوحيد. لكن الديانة المندائية الغائصة تحت سطوح الماء وفي عتمات الباطن مثّلت بامتياز مصدر الغنوصيات المشرقية البكر التي لم تمسّها بعد لفحات أفلاطون أو الهيلنسيات القادمة. لقد كانت المندائية أم الغنوصيات وأصلها، وقد خرجت هذه الغنوصية من شرنقة دينية بكر، ولم تخرج من مدارس فلسفية دنيوية وأكاديمية.

كان لكهنة العرافة (بارو) وكهنة التعزيم (أشيبو) في الديانة البابلية الأثر الكبير في تطوير الطقوس المندائية منذ العصر البابلي القديم وسيتطابق مفهوم (بارو) مع (ناصور) من خلال نظرهما الوئيد في صفحة النجوم واستطلاع القادم.

لقد أعطت اللغة الآرامية غطاءً لغوياً جديداً للناصورائيين، فقد تحولت الآرامية إلى لغة تخاطب العالم القديم في الشرق الأدنى كله، وكان أن تبنى الناصورائيون هذه اللغة فتحولوا إلى ما نسميهم بـ(المندائيين) وأصبح اسم ديانتهم (المندائية) حسب اسم هذه اللهجة الآرامية التي سبقت اللهجة السريانية (وهي آرامية) بقرون كثيرة. وربما بدأ تدوين تراثهم الروحي في هذه المرحلة باللغة المندائية على الأطباق أو لفائف الجلد والورق لكنها لم تصل إلينا من هذا العصر.

5. العصر الفارسي الأخميني:

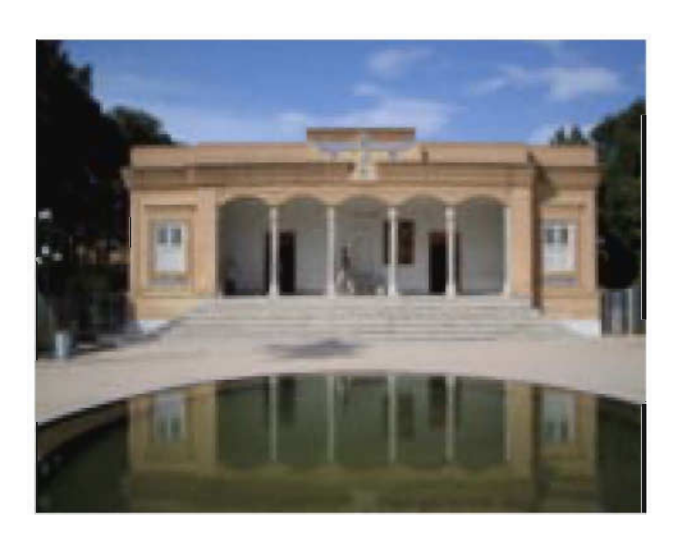
كان دخول الفرس الأخمينين إلى وادي الرافدين يعني دخول العقائد الثنوية الإيرانية (المؤمنة بعالمي النور والظلام كالزرادشتية وغيرها) وتفاعلها مع الديانة البابلية المهزومة بل وتأثيرها على الأديان الرافدينية آنذاك، من يهودية ومندائية وغير ذلك، كان ذلك يعني بداية عصر جديد يبدو لا سامياً في أقل حدوده ويبدو بنكهة أخرى ستعمل على إحداث تغييرات نوعية في الأنظمة الروحية لهذه البلاد.

تشجّع المندائيون على إظهار أدبهم الديني القريب من الأدب الديني الفارسي ولكن بحذر شديد فقد كان الكتمان سبيلهم الأول في حفظ دينهم.

ولا نستبعد مطلقاً وجود مؤثرات متبادلة بين الديانتين المندائية والزرادشتية في هذه المرحلة وتبلور الجانب المفاهيمي واللاهوتي على حساب الجانب الأسطوري الذي كان سمة الأديان القديمة متعددة الآلهة. وهذا يعني تبلور المثولوجيا الغنوصية وتحولها من الأساطير المجسدة إلى الأساطير الرمزية التي ستصوغها الفلسفة، فيما بعد، بشكلها النهائي. ولكننا يجب أن نشدّد على الفرق الشاسع بين الديانتين فبينما كانت الديانة المندائية ترى في الماء جوهراً أول لها ومعه النور، كانت الزرادشتية ترى في النار وضوء الشمس جوهراً لها وهو تعارض مهم لا يحجبه اعتقاد الاثنين بعالمي النور والظلام والصراع بينهما.

وكان مما يسهل التلاقح بين الديانتين أنهما كُتبت نصوصهما بالخط الآرامي وإن اختلفت اللغتان الفارسية والمندائية.



صورة متخيلة لزرادشت والنار المقدسة وأحد معابد النار الزرادشتية

6. العصر الهيلنستي:

بعد غزو الاسكندر المقدوني لبابل وسقوط الامبراطورية الفارسية بيده جاء السلوقيون إلى وادي الرافدين وتعرّف الإغريق عن كثب على تراث بابل الذي كانوا يحملون شوقاً هائلاً له وكان من ضمن ما تعرّفوا عليه ذلك الدين السريّ والغامض (المندائية) والقابع عند فروع الأنهار السفلى لدجلة والفرات، وترجموا كلمة مندائية بـ(غنوصية) أي العرفان. وهكذا عرف فلاسفتهم الغنوصية وبدأوا بالتنظير لها وعادت الغنوصية بلبوس إغريقي إلى الشرق قبيل القرن الميلادي الأول وكأنها استمرار سرّي لفلسفة أفلاطون وتلاميذه.. لكنها في حقيقة الأمر (المندائية) النائمة في صدور الرافدينيين القدامى، بل إنهم أرجعوها إلى نواة هرمسية مدغمة بأساطيرهم، وهكذا أعلنت المندائية عن نفسها في العصر الهيلنستي بالصيغة الغنوصية.

ولعل من أكثر الأمور حسماً في نهاية هذا العصر هو تأسيس مدينة (ميشان) أو (دست ميشان) في مكان كان المندائيون يزدحمون فيه، وربما جاء اسمها من المندائية، حيث (مي) تعني ماء و(شان) تعني القصيّ أو البهيّ، وبذلك تصبح المياه القصية أو البهية وهو اسم يعطيها دقةً في الموقع الجغرافي حيث توجد في أقصى الجنوب بين المياه، وفي المستوى الروحي حيث الماء والبهاء والعمق (الأسرار) وهي صفات مندائية.

وميسان هي منطقة الهيلنستية الرافدينية بامتياز؛ لأنَّ فيها تمّ خلط عقائد الإغريق مع العقائد المندائية والرافدينية القديمة وهو ما أثّر إيجاباً على الإغريق الذين عرفوا الغنوصية لأول مرة، وعلى المندائيين الذين تعرفوا إلى حضارة جديدة نوعية ومختلفة. وفي هذه المدينة ظهر الأنباط الرافدينيون ومنحوا المندائيين خط الكتابة مثلما كان قد منحهم الآراميون لغة جديدة، وهنا بدأ التدوين المندائي واستقرت الأبجدية المندائية.

كان اليهود شديدي العداوة للمندائيين في وادي الرافدين، وكان هناك احتكاك سلبي بينهما كما تذكر الكتب المندائية، ويسجل لنا كتاب حران كويثا ما يلي: وحران كويثا استقبلتهم تلك المدينة التي كان يوجد فيها (الناصورائيون)، ولا سبيل إليهم من قبل حكام اليهود، كان على رأسهم الملك أردبان. وترك ستون ألفاً من الناصورائيين علامة السبع المهينة ودخلوا مرتفعات ميديا، حيث أصبحوا أحراراً من تسلط الآخرين وبنوا بيوت الدين (بيمندي)" (حران كويثا : 1). حران كويثا، ترجمة نعيم بدوي ،د.ت.

وواضح أنَّ هناك اضطهاد يهودي للمندائيين أجبرهم على الهجرة من أماكن سكنهم إلى منطقة حران كويثا، التي لا يعرف مكانها بالضبط، لكنها بالتأكيد ليست مدينة حران لأنَّ وجود كلمة كويثا (السفلى) وذكر مرتفعات ميديا يجعلنا نظنُّ أن مكانها في منطقة اسمها حران شرق الكوت.

7. العصر الفرثي:

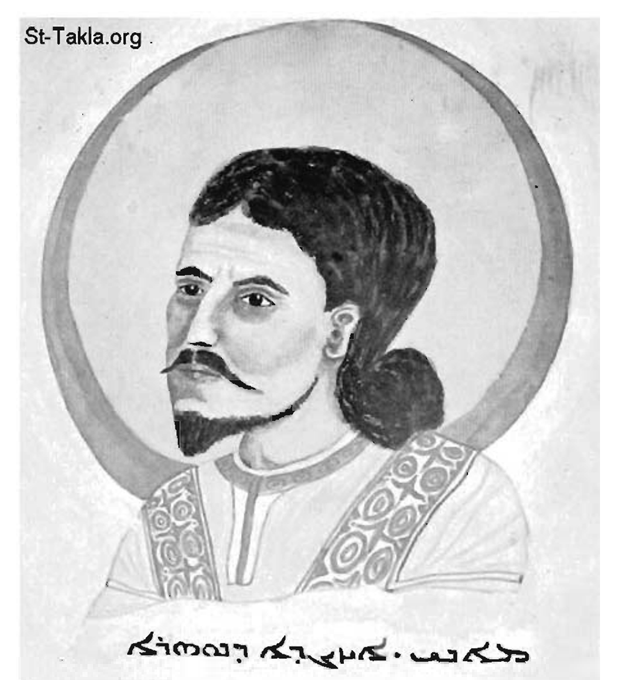
كان الفرس الفرثيون قد انتزعوا وادي الرافدين من السلوقيين في حدود 150 ق.م لكنّ الثقافة الهيلنستية استمرت طويلاً بعد هذا الحدث لدرجة أنَّ الملك الفرثي (أردبان الثالث) في بداية القرن الميلادي الأول كان يتكلم الإغريقية بطلاقة، وهو الذي كان من أكبر مناصري المندائيين والديانة المندائية للدرجة التي اعتبروه ناصورائياً مخلّصاً لهم من اضطهاد اليهود الناشطين في جنوب وادي الرافدين. وأن مدينة (أرتميسيا) في أسفل بلاد الرافدين مع مدينة (ميشان) واصلتا النمو بالتقاليد الهيلنستية اقتصادياً وثقافياً.

وحين وفدت المسيحية إلى وادي الرافدين، بلغة وكتابة سريانية آرامية تمّ تطويرها في شمال وادي الرافدين، ازداد الصراع ضراوة بين اليهودية والمسيحية والمندائية والزروانية الفارسية والغنوصية الوافدة من الإغريق ومن الإسكندرية.

كان هذا المناخ المحتدم كفيلاً ببلورة نتائج جديدة أثر على كل هذه الأديان والمعتقدات التي كانت تعيش كلّها تحت ثمار اللغة الآرامية. لقد أكمل اليهود كتابة التلمود البابلي، وظهر الغنوصيان المسيحيان الكبيران (بار ديصان) و(مرقيون) في وادي الرافدين ثم ظهر النبي ماني ليعبّر عن خلطة بابلية مندائية مسيحية زرادشتية محكمة وليتحول إلى أكبر الغنوصيين المشرقيين منحدراً من أب مندائي وبيئة مندائية وليهاجر تلميذه (توما) إلى بلاد مصر حاملاً كلّ هذا الجمال الروحي إلى هناك، وهو ما كشفت عنه آثار نجع حمادي في مصر.

ولنتأمل في الكتب المانوية التي كتبت بالآرامية المندائية:

- **(1) إنجيل ماني "الإنجيل المتوافق": استخدم ماني الأناجيل الأربعة الصحيحة إلى جانب دياتسرون تاتيان والأناجيل الأبوكريفية مثل إنجيل فيليب وكتاب طفولة الرب وجمعها في مجلد واحد، متوافق، شبيه بدياتسرون تاتيان.**
- **(2)** إنجيل ماني "الإنجيل الحي كتب ماني كتاباً أسماه "الإنجيل الحي وأيضاً "إنجيل الحي و"الإنجيل العظيم وادّعى أنه نزل عليه من السماء.
- **(3) مزامير توماس: كان لأتباع ماني (المانيين) كتاب مزامير وتسابيح وترانيم.**
- **(4) كنز الأحياء: سكان عالم النور وإغواء الأراكنة.**
- **(5)** براجماتيا: الأخلاق العملية.
- **(6)** سفر الأسرار: ضد أتباع ديصان.
- **(7)** سفر الجبابرة: إينوخ قاتل التنين.
- **(8)** رسائل ماني: بالقبطية.





صورة متخيلة لماني والثانية له وهو محاط بحوارييه الإثني عشر في مخطوطة قديمة

أما الفرثيون والمندائيون فقد تبادلوا تأثيراً أشد وأقوى، فقد ظهر الملك أردبان (أو أرتبانوس الثالث) الفرثي وكأنه المؤسس الجديد للمندائية، وقد وقع كتاب (حران كويثا) في شرك سحره لدرجة أنه أعاده إلى زمن موسى ومضى به إلى حرّان في القرون الميلادية الأولى، وهو يقود المندائيين ويخلّصهم من مصائبهم الكبرى وهو وهمٌ جاء من تقليد سفري التكوين والخروج في التوراة من قبل مؤرخ مندائي مبتدئ هو مؤلف هذا الكتاب الذي سبب كل هذا اللبس في التاريخ المندائي.



عملة ذهبية لملك فرثي
http://imageshack.us/photo/my-images/29/200pxhormizdi.jpg/

أما التراث الفرثي الديني فقد أثر بقوة في بعض العقائد المندائية وساهم في إعادة صياغتها وخصوصاً الديانة الزروانية الفرثية الطابع والتي تعد الزمن (زوروان) أباً للنور والظلام. ومثل ذلك فقد أثرت المندائية في الديانة الزروانية وأعطتها بعداً غنوصياً جديداً عمقت فيها فكرة الخلاص. ونعتقد أنّ هذه الفترة شهدت انتشاراً للمندائيين في مدن إيران الجنوبية كالأحواز والمحمرة وعبادان والبسيتين وغيرها.

وهناك إشارات أخرى إلى اضطهاد مسيحي للمندائيين باعتبارهم ديانة غنوصية.

8. العصر النبطي:

بسطت الآرامية ثقافة ولغة نفوذها في وادي الرافدين منذ زمن بعيد يرقى إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وفي القرن السادس قبل الميلاد أصبحت الآرامية لغة وكتابة وثقافة الشرق الأدنى بأكمله، وكانت هي اللغة والكتابة العالمية التي تتفاهم فيها الشعوب آنذاك في هذا الجزء الحيوي من العالم، وظهرت شعوب المنطقة وكأنها تعيد صياغة تراثها الروحي والأدبي بهذه اللغة، فقد ظهرت الكتب المقدسة لكل الأديان الموحّدة بهذه اللغة (الأفستا الزرادشتي، الكنزا المندائي، التوراة اليهودي، الإنجيل المسيحي، الإنجيل الحي المانوي، ثم القرآن الذي صاغ من لهجة قريش ذات الجذور الآرامية النبطية لغة العرب) وفي هذه المرحلة القريبة من القرون الميلادية الأولى قام المندائيون بصياغة وربما بترجمة كتبهم وصحفهم إلى المندائية التي هي لهجة آرامية، ويعدّ وجودهم الواضح في مناطق ميسان والكرخة مكانا مناسباً لهذا العمل رغم أنه استغرق زمناً طويلا وتأصل من ظهور النفوذ الساساني في المنطقة.

كان شكل الآرامية في هذه المرحلة هو النبطية التي تعد ورثة الآرامية وحلقة الصلة بينها وبين العربية.

ويظهر اسم (شلاما بن قدرا) كأول شخص مندائي في حدود 200 م وهي امرأة بمرتبة دينية قامت بنسخ النصوص المندائية وخصوصا كتاب الكنزا ربا، وهو ما ذكرته هوامش النسخ.

وتحفل هذه المرحلة بظهور الناسخ الأكبر للنصوص المندائية وهو (زازاي دي كوشطا) 270 م الذي تذكره هوامش المخطوطات المندائية على أنّه الرجل الأكثر الذي قام بنسخها للآرامية عن نصوص أقدم.

وكانت الكثرة من أهل المدائن (طيسفون) عاصمة الفرس الساسانيين الشتوية من الآراميين والمندائيين وفيها لهم معابد عديدة، وازدادت أعدادهم في الفترة الساسانية خصوصاً شرق دجلة وضفاف الكرخة والكارون فاستوطنوا ديزفول (عاصمة بلاد عيلام) والأهواز والخفاجية والبسيتين والمحمرة وكان أغلب سكان شوشتر من المندائيين، كما أصبحت الطيب (طيب ماثا) أهم حاضرة لهم. وتفوقوا في صناعة الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي كانت تجلب من مملكة آراتا في المرتفعات الإيرانية. أمّا القسم الأكبر منهم فقد امتهن الفلاحة وزراعة الأرض واستوطنوا الأهوار وضفاف الأنهار وقاموا بتنظيم قنوات الري في أرض السواد، وأسسوا لهم حواضر مهمة مثل كوثا وسورا، وقد أطلق عليهم العرب تسمية أنباط أو (نبط) كونهم ينبطون الأرض. وقد ذكرهم الإمام علي (ع) بقوله نحن من قريش وقريش من النبط والنبط من كوثى (صباح مال الله- الصابئة المندائيون في العراق القديم، موقع اتحاد الجمعيات المندائية

http://www.mandaeanunion.com/ar/history/item/269-mandaeans-in-ancient-i.



أوعية السحر والطرلقة المندائية (الأحراز)

9. العصر الساساني:

تراجع الاهتمام الفارسي بالمندائية في هذا العصر بسبب التحوّل العقائدي **(دوغما) في الزرادشتية وتحوّل كهّانها المجوس إلى حرّاس عقائديين لا** مفكرين، وكانت تعوزهم الثقافة بمعرفة الأديان الأخرى. لكنّ هذا العصر، من ناحية أخرى، يعتبر العصر الذهبي لتدوين المخطوطات المندائية والأقداح الفخارية المندائية ذات الطابع السحري والعراقي.

هناك ما يشير إلى قيام الملك الساساني بهرام الأول عام 273 م بحملة اضطهاد شملت المانويين والمندائيين بعد صلب ماني من قبله.

لقد ظهر قبل القرن الميلادي السابع واحدٌ من أعظم مدوني المخطوطات المندائية وهو (زازي د- كواستا) الذي يبدا وكأنه قد نسخ ودوّن كل التراث **المندائي لكن ما عرفناه من مدوناته هي مخطوطات (قلستا، آمه ريشايا ربّا،** آمه ريشايا زوطا، ديوان تفسير بغرا، ديوان ترسر ألف شياله، ديوان مصبتًا ديهبل زيوا) ويمكن أن يكون قد دوّن الكتب الروحية الأخرى.

واستمر في هذا العصر انتشار المندائيين في المدن الإيرانية الجنوبية المحاذية لمدنهم في وادي الرافدين.



عملتان ساسانيتان عليهما موقد النار المجوسي

10. العصر العربي الإسلامي:

ظهر الكاتب المندائي (مرّة) كاتباً لخالد بن الوليد وكمترجم بين الفارسية والمندائية والعربية في بداية دخول الإسلام إلى العراق. كما عرفنا أن الريشما (آنوش بن دنقا) 639 ـ 640 ميلادية ترأس وفد الصابئة المندائيين، وحمل كتابهم المقدس كنزا ربا (الكنز الكبير) للقائد العربي الإسلامي آنذاك، وربما كان سعد بن أبي وقاص فأصبحوا يعدون من أهل الكتاب مثل غيرهم من الأديان الموحِّدة، من أهل الذمة (حسب الشريعة الإسلامية) وجرت معاملتهم برفقٍ مرةً وبعنفٍ مرة أخرى رغم أننا نرجح وجود عمليات اضطهاد جماعية أو فردية قام بها المسلمون نحوهم وإجبارهم على الدخول في الإسلام، حيث دخل بعضهم الإسلام خوفاً أو هرباً من الجزية. وعندما كان يتولى حكام متزمتون ولاية المدن التي يسكنونها كانوا يقعون أحياناً تحت تأثير مزاجهم المتعنت. لكن، الصورة العامة للمندائيين (الذين أصبحوا يعرفون بالصابئة) كانت جيدة وخصوصاً في العصر العباسي وعندما أصبح منهم ومن صابئة حران أقطابٌ في (بيت الحكمة) في عصر المأمون وبعده.

لقد عرضنا صورة موجزة عن آراء الفقهاء والعلماء والمؤرخين بالصابئة وقسّمناهم إلى مرحلتين قبل وبعد حادثة المأمون مع صابئة حران. لكننا بحاجةٍ جدية للتحري عن تاريخهم الحقيقي خلال هذه الفترة وعن تجمعاتهم وأقطابهم الروحيين وتطور طقوسهم وعقائدهم ومخطوطاتهم.

11. العصر الحديث:

وهو الذي يبدأ من عصر النهضة مروراً بالقرون اللاحقة. في هذه الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر حتى القرن العشرين، حيث لم تتغير حياة المندائيين عما كانت عليه بل ربما ازدادت عزلة.

تعرض المندائيون إلى مذبحة من قبل بعض الأعراب في مدينة العمارة حيث تذكر الليدي دراور في كتابها (الصابئة المندائيون في العراق وإيران) ما يلي "ومهما كان الأمر فإنَّ الصابئين في القرون الوسطى يظهرون وقد قهرهم الاضطهاد، فقد تركت أحد الكوارث في القرن الرابع عشر طابعها في ذكرياتهم حتى هذه الأيام وقد عثرت على تسجيل لهذه المذبحه في نهاية أحد الأحراز الطلسمية التي تفحصتها أخيراً. كما وجدت نفس الشيء مسجلاً في (التاريخ) وهو مخطوط يمتلكه الشيخ دخيل. يحكي المخطوط عن مذبحة رهيبة تعرض لها الصابئون في الجزيرة حين كان السلطان محسن بن مهدي حاكماً على العمارة وكان ابنه فياض حاكما على شوشتر، حيث تعرض بعض الأعراب إلى امرأة صابئية ونشب القتال وأعلنت الحرب على الصابئيين فذبح الكهان والرجال والنساء والأطفال وبقيت الطائفة مهيضة وبلا كهان لعدة سنين" (دراور 1978: 56- 57).

كذلك يذكر جون مورغان في كتابه (بعثة علمية في بلاد فارس) كيف تعرض المندائيون إلى مذبحة عام 1782 في جنوب بلاد فارس على يد المسلمين عندما أراد هؤلاء الحصول على المخطوطات المندائية، لكن رجال الدين المندائيين رفضوا إعطاءها فتعرضوا للتعذيب والقتل والمطاردة

De Morgan, Jean. Mission scientifique en Perse, tome V (études linguistiques), deuxième partie: textes mandaïtes. Paris: Imprimerie Nationale, 1904

وفي عام **1870** تعرض المندائيون في مدينة شوشتر (القريبة من الشوش الإيرانية) إلى مذبحة جماعية على يد الحاكم الإيراني ناصر الدين شاه (**1831- 1896**) ذكرتها العديد من المصادر المندائية والفارسية والأجنبية.

http://mandaean_world.blogspot.nl/2004/06/inner-harran.html

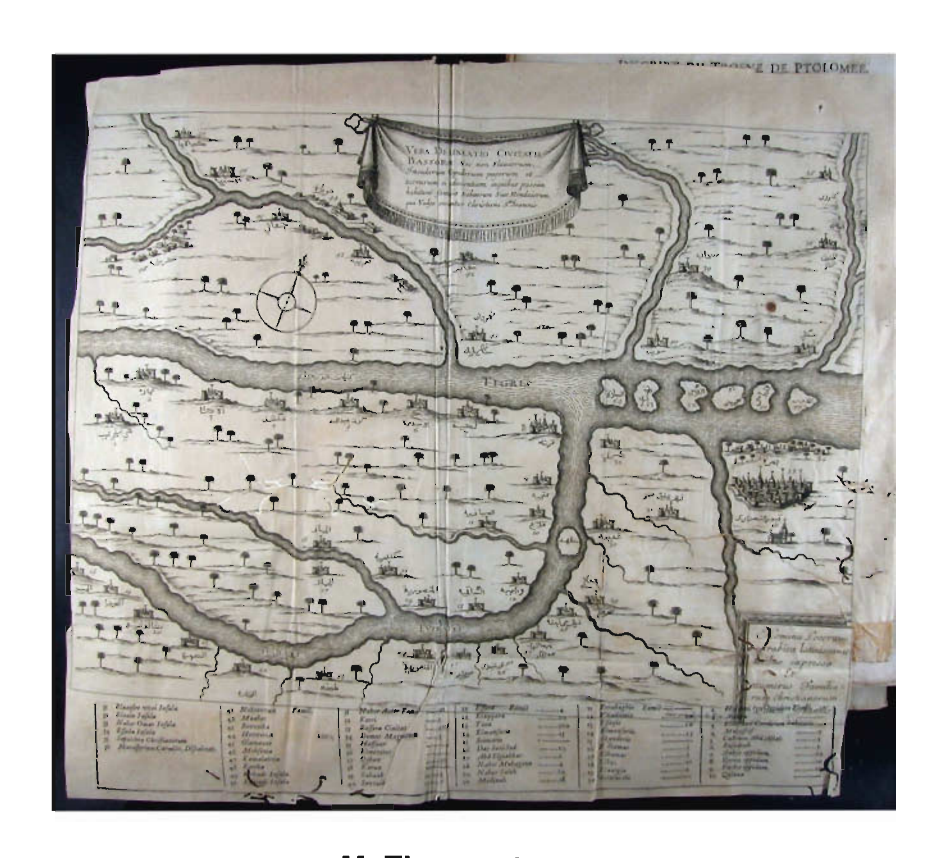
ولكن ما يميز هذا العصر هو بداية انتباه الرحالة والمؤرخين الغربيين لهم، ويمكن تتبع جهود الرحالة والمستشرقين الذين زاروا العراق والأحواز ودوّنوا ما له علاقة بهم مثل ما فعله (ذفنوت) الذي وضع خارطة مفصلة لمواقع العوائل المندائية في جنوب العراق والأحواز.

كذلك يتم تناول جهود العلماء والباحثين الذين طوّروا نظرياتهم من خلال الزيارات الميدانية والإشارة إلى التقارير والبحوث والنظريات التي وضعها الغربيون حول المندائيين وأصلهم والعلماء الذين ذكرناهم في الفقرة السابقة.



ورقتان من مخطوطة مندائية صورها ذفنوت في كتابه

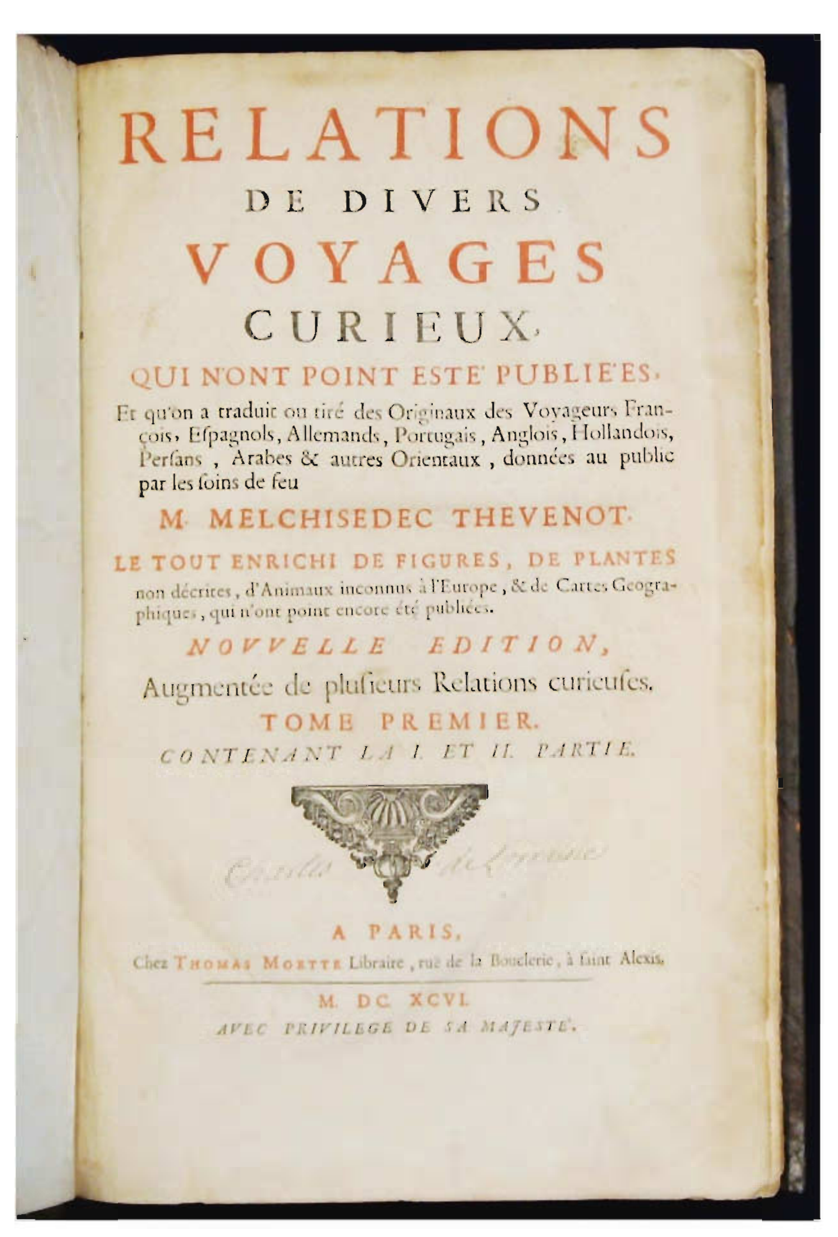
http://blocbibreserva.ub.edu/taq/catalogacio/



خارطة قديمة وضعها م. ذفنوت **M. Thevenot** في القرن السابع عشر

توضح مواقع العوائل المندائية في جنوب العراق والأحواز.

المرجع: **Thevenot, Melchisedech: Relations de diverses voyages,**
Paris 1663, le Partie, No.15: vera Delneatio Civitatis Bassorae.
http://blocbibreserva.ub.edu/tag/catalogacio/


RELATIONS
DE DIVERS
VOYAGES
CURIEUX,
QUI N'ONT POINT ESTE' PUBLIE'ES,
Et qu'on a traduit ou tiré des Originaux des Voyageurs François, Espagnols, Allemands, Portugais, Anglois, Hollandois, Persans, Arabes & autres Orientaux, données au public par les soins de feu
M. MELCHISEDEC THEVENOT.
LE TOUT ENRICHI DE FIGURES, DE PLANTES non décrites, d'Animaux inconnus à l'Europe, & de Cartes Geographiques, qui n'ont point encore été publiées.
NOUVELLE EDITION,
Augmentée de plusieurs Relations curieuses.
TOME PREMIER.
CONTENANT LA I. ET II. PARTIE.
A PARIS,
Chez THOMAS MOETTE Libraire, rue de la Bouclerie, à saint Alexis.
M. DC. XCVI.
AVEC PRIVILEGE DE SA MAJESTE'.

كتاب ذفنوت

http://www.hsrarebooks.com/products/relations-de-divers-voyages-curieux-qui-nont-point-este-publiees/

أحصى المستشرق الألماني بيترمان (عام 1841) المندائيين في جنوب العراق فوجدهم بحدود (560) عائلة، وهو ما يوضح قلة عددهم ووشوكهم على الانقراض بسبب عزلتهم وزواجهم الداخلي من بعضهم وفتك الأمراض بهم.

12. التاريخ المعاصر:

ويبدأ من بداية الحرب العالمية الأولى 1914. وتبدأ معه النظريات الناضجة الكبرى عن المندائيين في الغرب مثل نظريات ليدزبارسكي والليدي دراور وماكوخ ورودولف. أما ميدانياً، في ظلّ نشوء العراق الحديث وإيران الحديثة، بدأ عصرٌ جديد من عصور التاريخ المندائي يمكن تلمّس أحداثه وتدوينها في ظل المملكة العراقية والجمهوريات العراقية المتعاقبة وفي ظل دولة إيران الشاهنشاهية ودولة إيران الإسلامية، وتعقب هجرتهم المعاصرة إلى المنافي الجديدة وأسبابها، وتدوين وترجمة كتبهم.. وكتابة تطور النظريات الغربية حولهم.



الليدي أثل ستيفانا دراور

http://www.mandaeanunion.com/ar/history/item/260-ritual-sabian-isolated-to-oxford





عيد مندائي وتعميد وصورة لمهنة المندائيين الرئيسية في العصر الحديث وهي الصياغة
http://www.eltareekh.com/vb/showthread.php?t=8466

الفصل الثاني

المقارنة بين المعتقدات الناصورائية والسومرية



http://www.deinayurveda.net/wordpress/2010/08/the-ninth-mandaean-camp-niagara-falls/
http://bobsblahblahblogs.blogspot.nl/

لزمن طويل كنا ندرس، بشغف، آثار النيوليت العراقي بمراحله المختلفة وكنا نرى أن التدرج والتطور والنمو في هذه المواقع الحجرية الحديثة لا نظير له في البلدان المجاورة للعراق والتي عثر فيها على آثار مشابهة هنا وهناك. وكان هذا يدفعنا إلى وضع فرضيات جديدة غير تلك التي خرج بها علماء الآثار، فقد خرجنا بقراءة جديدة لآثار العصر الحجري الحديث في شمال وادي الرافدين والتي نعتقد أنها قامت على الكثير من المعطيات الثقافية والفنية والدينية، ورغم غياب الكتابة وجهلنا التام بنوعية اللغة أو اللغات التي كانت تسود بين أقوام النيوليت الرافديني الشمالي لكننا توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي من شأنها أن تكتب تاريخاً جديداً لهذه المرحلة وللمرحلة القادمة ونعني بها مرحلة الكالكوليت (العصر الحجري النحاسي).

توصلنا إلى أن هناك حروفاً أو مقاطع حرفية شكلت ما يشبه الأنوية (جمع نواة) التي دارت حولها الأسماء والأساطير الغاربة لعصر النيوليث، وقد عرضنا استنتاجاتنا هذه لكثير من الاختبارات سواء في هذا العصر أو في العصور اللاحقة فوجدناها صامدةً تماماً.

نرى أن اسم الإلهة الأم **Mother Godess** الذي ساد في هذه العصور هو (م) ويمثل هذا الحرف العنصر الأنثوي الأمومي الذي يختزن طاقة الإخصاب الأنثوي التي كانت محور العبادة في النيوليت. فالإلهة الأم في جرمو وحسونة والصوان وسامراء كانت تسمى (م)، لقد دلتنا القرائن الآثارية والمكتوبة إلى أن حرف/مقطع (م) هو الاسم الحقيقي للإلهة الأم في عصر النيوليت، وقد بقيت في آثاره في اللغات السومرية والأكدية والأمورية

لقد حير العلماء أصل كلمة (مي) أي (النواميس المقدسة) عند السومريين ونحن نرى أن السومريين وضعوا كل معنى الحضارة والنواميس المقدسة في حرف (م) الذي قد يكون مجروراً (مِ) ويدل على الأم التي ظلت في ذاكرتهم عن

أجدادهم محور الحضارة ومحور الخصب ومحور الحياة، والحقيقة أننا في لغتنا العربية ما زلنا أيضاً نحتفظ بهذا المعنى في كلمة (أم) فهي الإلهة الأم ذات يوم.

بعد غروب عصر الإلهة الأم (م) بآلاف السنين ظهر السومريون وكانوا قد تشبعوا بعصر الانقلاب الذكوري الذي سبقهم والذي حصل في الألفين السادس والخامس قبل الميلاد، لكن ذاكرة الإلهة الأم (م) بقيت في ما أطلقوا عليه (مي) أي النواميس المقدسة. وهذا يدل بوضوح على أن فجر البشرية الحق والحضاري ابتدأ مع عصر الزراعة والذي كانت الإلهة الأم رمزاً ساطعاً له. وقد بقيت هذه الحادثة في الراسب الحضاري عند السومريين ولذلك أطلقوا على نواميس الحضارة اسم (مي) أو (مِ).

عند عودتنا إلى أسطورة (مي) السومرية بين الإلهة إنانا والإله إنكي يكون عدد هذه النواميس الحضارية ثمانين ناموساً بالضبط، ويمثل هذا العدد مضاعفات العدد ثمانية الذي هو الرمز العددي للإنوثة السومرية التي تمثلها (إنانا) ورغم أن إنانا تمثل الإلهة العذراء عند السومريين لكنها تحاول الاكتمال في الأسطورة ووصولها رمزياً إلى الإلهة الأم عند حيازتها على النواميس الحضارية (مي). ويشير مضمون الأسطورة إلى انتقال السلطة والملوكية من أريدو (مدينة إله الأرض والماء إنكي) إلى أوروك (مدينة إلهة الحب والزهرة إنانا).. ويتضح من خلال القراءة العميقة للأسطورة أن هذه النوميس الحضارية هي الروح السرية للحضارة ومستودعها وهي شفرتها وأن انتقالها من مكان لآخر يعني انتقال الحضارة فهي (سر الحضارة) وهو ما يؤكد صحة فرضيتنا من أن روح الإلهة الأم (المسببة للحضارة الأولى الزراعية) هي التي ما زالت سارية تحت جعجعة الحضارات الذكورية اللاحقة.

ومن هذه النواميس الحضارية (الكهنوتية العليا، الألوهية، التاج الرفيع، عرش الملوكية، الصولجان السامي، العصا....إلخ).

شعوب سونارتو

كانت الثورة الزراعية التي ظهرت في شمال وادي الرافدين مبكرة، وبعد أن تكون السهل الرسوبي وأصبح صالحاً للسكن بعد عصر الكالكوليت هبطت شعوب مختلفة إليه كان اسمها العام شعوب (سونارتو) والتي نجدها في كلمة مصحّفة نوعاً ما وردت في سفر التكوين العبراني وهي (شنعار) التي أصلها (سونار) و(سونارتو).. وقد فهمت خطأً على أنها قد تدل على سومر. وسنوضح كيفية تكون هذه الكلمة.

كان الابن القوي السماوي القمري يسمى (ن) وهو الذي يختلف عن الابن السماوي الشمسي (س)، ولذلك عندما ارتبط (ن) بالأرض (ر) أصبح (نر) وكان هذا يعني (القمر) أو (النور) و(نار) و(نهر) كل هذه المفردات تجمعها كلمة (نر).

وعندما نُدخل عامل (س) الشمسي عليه وهو الابن أيضاً يكون (سنار) وهو (شنعار) الكلمة الدالة على السهل الرسوبي بين دجلة والفرات، وحين نؤنث هذا السهل نكون أمام مفردة (سونارتو) التي نرى أن معناها هو شعب ما بين النهرين أي السهل الروسبي أو شعب الرافدين أو شعب الإله الابن أو شعب القمر. وفي هذا السهل تكونت عدة شعوب من هذا الشعب الأصلي هي:

<u>سون (سين):</u> أطلقت هذه التسمية على القمر (سين) وربما كان اسماً لشعب سكن في السهل الرسوبي ثم اختفى لكننا نقترح أن مدينة (أشنونا) ربما كانت أحدى مدنه وهي المدينة الواقعة في ديالى والتي أصبحت فيما بعد سومرية حيث يكون شعبها قد ذاب في الحضارة السومرية فقد أظهرت أشنونا كنوزاً آثارية

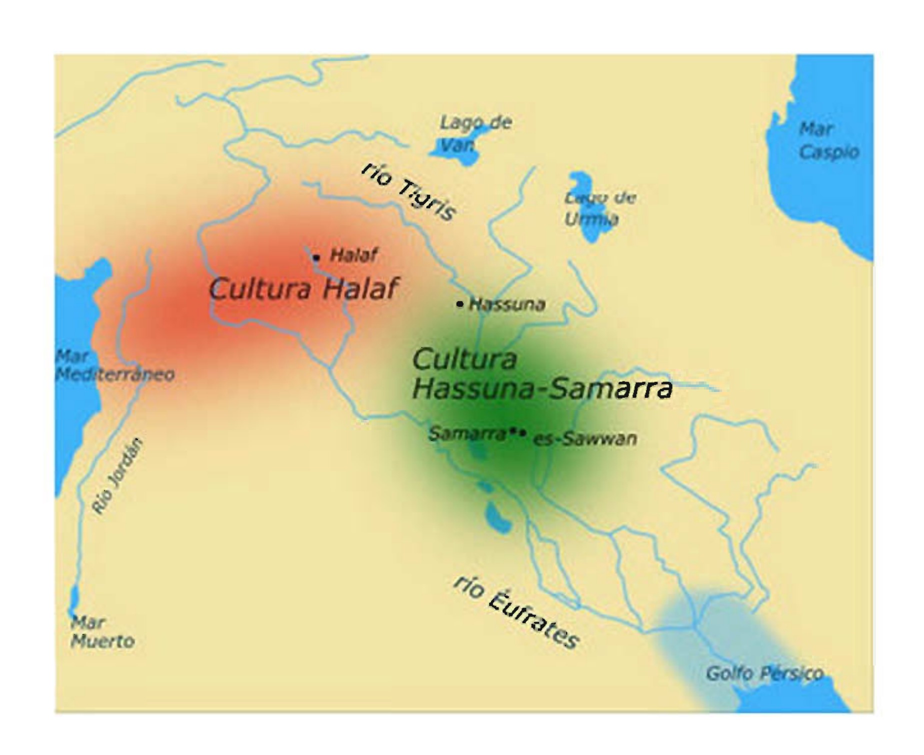
وخصوصاً في معبد آبو وهو إله الخضار السومري. لكنا نرى أن إله القمر (سين) كان هو إلهها الأكبر. رغم أن (ننار) هو إله القمر السومري.

سونر: وهو شعب ربما كان مركز نواة (سونارتو) التي تفرقت منها شعوب في كل الاتجاهات ونعتقد أن هذا الشعب كوّن حضارة نوعية في وادي الرافدين لكنها اندثرت بسبب غياب الكتابة وربما كانت بعض المدن السومرية مهداً لهذا الشعب. وحضارة سونر هي حضارة شنعار.

نارتو: شعب آخر خرج من نواة سونارتو السهلية وساهم في حضارة وادي الرافدين ثم هاجر باتجاه جزيرة العرب وكوّن جزءاً من شعبها وهو شعب (نارو) الذي استقر في شمال الجزيرة العربية على شكل قبائل كثيرة وتفاعل مع شعب (راب) الذي كوّن هو الآخر قبائل العرب المعروفة والتي بدأت بالظهور بوضوح مع بداية الألف الأول قبل الميلاد. وكانت جزيرة العرب تسمى (نارو) في الأزمان القديمة، وكان (نارو) إله هذا الشعب والذي ربما كان إله القمر مع زوجته (نارتو) إلهة القمر.

نسر: ربما كان اسم هذا الشعب (نصّر) أو (نشار) ولا نعرف عنه شيئاً سوى اسمه الذي استنتجناه وربما ظهر منه إله بهذا الاسم كانت له علاقة بالقمر أيضاً وهو شعب الناصورائيين الذي هو أصل المندائيين عبدة الحي العظيم (إيا) وعالم النور.

ين: ين أو يان أو يون وهو شب بمعنى السماء أو القمر ومن تجلياته السمكة التي ربما ظهرت في لجش (نانشة) أو في (نينوى).



شعوب وادي النهرين الأعلى وحضاراته النيوليثية
http://www.google.nl/search

تُعد الديانة السومرية أقدم ديانة على وجه الأرض فهي ذات نظام روحي وكهنوتي وميثولوجي متناسق، وتمثل ظهور أول نظام ديني عميق وواضح إزاء ما قبلها من ديانات ما قبل التاريخ، وتكاد تشكل أصل الديانات التاريخية في العالم كله. فقد انتقلت عناصرها في كل جهات الأرض، فباتجاه الشرق رحلت إلى عيلام وكونت الديانة العيلامية وإلى الهند والصين، وباتجاه الجنوب رحلت إلى دلمون ومكان وكونت ديانات مختلفة هناك، وباتجاه الشمال ذهبت إلى الأناضول والأقوام الهندوأوربية وأوربا وباتجاه الغرب ذهبت إلى الشام وإلى مصر

وأثرت في بدايات الدين المصري، لكن عناصر هذه الديانة ذابت محلياً في الديانات الرافدينية اللاحقة كالأكدية والبابلية والآشورية والآرامية.

وإذا ما عرفنا، أساساً، أنَّ كلمة سومر نفسها قد اختفت من التاريخ منذ الألف الثاني قبل الميلاد.. بل وأنها كلمة أكدية لاسم منطقة وقوم لم يكونوا يسمون أنفسهم بهذا الاسم بل كانوا يطلقون عليهم اسماً آخر من لغتهم هو كي-إين-جي **ki-en-gi** أو كينجي أي (أرض أحراش القصب). ولكن هذا الاسم اختفى، بل واختفى اسم سومر الأكدي بعده.

ولكثير من الأسباب نعتقد أن الدين السومري كان بنظامين أحدهما شعبي نشأ من عقائد الخصب التي انحدرت من ديانة (إيا) أريدو الناصورائي والذي أصبح اسمه عند السومريين هو (إنكي) وكان ابنه هو (ديموزي) الذي ارتبط بالإلهة (إنانا) ملكة السماء ذات المقام الرفيع وظلت عقائد الخصب هذه من نصيب الناس الشعبيين بشكل خاص.

أما النظام الديني السومري الثاني فهو عبادة (إنليل) إله الهواء في سومر الذي كان يقف بالضد من إنكي وعبادته، وكان هذا النظام يمثل الدين الرسمي للحكام ولدولة سومر.

كانت عبادة إنكي/إيا في أريدو التي هيمن عليها السومريون أو في بقية المدن السومرية تشهد اضطهاداً وانحساراً، فإذا ما سقطت

سومر كلها عام 2006ق.م توارت ديانتها كلّها وخصوصاً عبادة إنكي/إيا، ومع مجيء البابليين ارتفعت ديانة الكواكب بدلاً عنها.

هكذا توارت عبادة الماء وإله الماء في الخفاء ولجأت إلى السرية والخفاء وربما حصل هذا نتيجة اضطهاد ديني أو بشكل طبيعي، وربما غاصت هذه الديانة باتجاهات قصية وبعيدة عن الأنظار وفي أطراف يصعب الوصول إليها كمجمعات الأنهار والأهوار. ونشأت أصول جديدة للناصورائية من الأعماق السومرية القصية مع النمو الباطني للسومرية تحت شبكة العقائد الأكدية والبابلية الجديدة.

إن هذا وحده هو الذي يفسر قول المندائيين عن دينهم بأنه أقدم دين ظهر على وجه الأرض. وبعبارة واحدة يمكننا القول إن الدين الناصورائي أعيدت صياغته من خلال ما تبقى من الدين السومري.



يتكون أي دين من ثلاثة مكونات كبرى رئيسية هي (العقيدة، الأسطورة، الطقس). وتشمل العقيدة (اللاهوت النظري والمعتقدات وهي الشكل الفكري للدين)، أما الأسطورة فهي (المثولوجيا والتصور القصصي المقدس للعقيدة والرموز ومجمعات الآلهة والشياطين وغير ذلك، وهي الشكل القصصي الشعري للدين). أما الطقوس فهي (الشعائر والواجبات الدينية المجسدة في الأفعال وهي الشكل العملي للعقيدة).

وإذا ما حاولنا أن نطبق هذه المكونات الثلاثة في دراسة مقارنة بين الدينين السومري والصابئي فإننا سنجد الكثير من الصلات والروابط وأشكال العلاقات الأخرى ومنها علاقة الشفرة بالإشارة.. وهو ما سنراه في كل مكون من هذه المكونات.

لا أظن أننا سنفلح في اشتقاق المعتقدات واللاهوت الناصورائي المندائي من المعتقدات واللاهوت السومري مباشرة، لأن الصياغة الغنوصية المتأخرة للدين المندائي هي الطاغية عليه في نصوصه الحالية، ولا شك أن الديانة السومرية لم تكن ديانة غنوصية ولذلك يصعب عقد مقارنة تقليدية بين اللاهوتين، ولذلك يجب أن نلجأ للمقارنة العميقة التي تقضي بتقصي الجوهر الأساس لهما.

يقوم الدينان السومري والمندائي على ثلاثة عوالم وجودية /لاهوتية وهي جواهر أساسية في الفكر اللاهوتي للدينين ينتج عنها تفاصيل كثيرة ، وهي عوالم (الماء، النور، الظلام).

أولاً: عوالم الوجود واللاهوت

1. عالم الماء

يقوم الدين السومري على جوهر أساس هو (الماء)، الذي ظهر منه هذا الكون والذي هو سبب الحياة والخصب. وتأتي علاقة السومريين بالماء من البيئة المائية التي ظهروا فيها (وهي نفس البيئة التي نشأ وترعرع فيها الدين الصابئي)، فبالإضافة إلى وجودهم في السهل الرسوبي، بين نهرين كبيرين هما دجلة والفرات وفروعهما الكثيرة جدا ، فقد استوطنوا قرب الأهوار وقرب الأنهار المحيطة بها ، وكانوا

خير من تعامل مع هندسة الري وأقاموا أعظم هندسة إروائية في العالم القديم، ولذلك كان الماء عندهم هو كل شيء فهو مصدر الخير والشر والحياة والعالم بل والآلهة.. ولذلك يوصفون بأنهم الساكنون الأنهار والأهوار.

وقد انعكست هذه البيئة المائية في عقائدهم الدينية فأصبح عندهم أول وأقدم إلهة أم هي (نمّو) إلهة الماء الحي القديم الأزلي، ويليها في الأهمية ما تسميه الأساطير أنه ابنها (إنكي) وهو إله الماء العذب أي الأنهار وإله الأرض عموماً. ولا شك أنَّ الانقلاب الذكوري في الأديان الذي حصل في عصر الكالكوليت (الحجري النحاسي) ومن ضمنها الدين السومري همّش الآلهة الأنثوية وجعل للآلهة الذكور أهمية أعلى، وقد احتل الإله (إيا)، الذي أصبح اسمه عند السومريين (إنكي)، أهميةً استثنائية مع حضارة أريدو التي كانت الأولى في أعقاب هذا الانقلاب الذكوري، لكن حضارة العبيد غيرت الموازين فقد رفعت إله الهواء (إنليل) إلى مرتبةٍ أعلى من الإله (إنكي) وورثت سومر هذا الانقلاب الهوائي، إذا صح التعبير، ونال إله الماء درجة ثانية بعد إنليل. وتخبرنا أسطورة سومرية عن هذا الحدث حيث تروي نقل نواميس السلطة من أريدو (مدينة إنكي أو إيا) إلى نيبور (مدينة إنليل).

ترتيله أريدو (رحله إنكي من أريدو إلى نفر):

هذه الأسطورة/ الترتيلة تمنحنا إشارة جديدة مضادة لحقيقة معروفة وهي أنَّ (نفر) سبقت (أريدو) في الوجود . بينما الثابت من خلال ثبت الملوك السومريين أن

أريدو هي أول مدينة هبطت فيها الملوكية وهي أول المدن السومرية الخمس قبل الطوفان.

كما أن الآثار العلمية أثبتت أن أريدو هى أول مدينة مستوطنة فى جنوب العراق (السهل الرسوبى).. ولأنَّ أريدو هى موطن الإله إنكي ونفر هى موطن الإله أنليل . فإنّنا نعتقد أنَّ هذه الأسطورة تشير إلى صراع ديني كهنوتي حاول أنْ يعطي نفر أهمية وأسبقية على أريدو. وفي هذا ما يشير إلى شكل من أشكال الانقلاب الذكورى ومركزيته لأنَّ إنكي لم يكن يمثل طرفا ذكوريا صارما بل كان أنليل يمثل ذلك تماما، بينما إنكي يشير إلى ما تبقى من الإلهة الأم لأنه ابنها وزوجها ووريثها.

تبدأ الأسطورة بمديح الإله إنكي وكيف أنه بنى بيته من الفضة وحجر اللازورد فى مدينته (أريدو) وحلاه بالذهب.

وتحتاج بعد ذلك إلى مباركة الإله الأعظم إله سومر أنليل الموجود فى نفر، ولذلك يهيّئ قاربه للسفر ويخرج هو من مياه الابسو مقره:

حينما ينهض (إنكي). الأسماك.. تنهض

وتقف المياه التي لا يسبر غورها بعجب واستغراب.

المسره تدخل إلى البحر.

الرعب يتسرب إلى الأعماق

الذعر. يسود النهر العظيم الشان.

ريح الجنوب . تحمل أمواج نهر الفرات (كريمر 1971:106)

ويثيرنا كثيرا وصف بيت الغور (اى – انغورا) معبد إنكي حيث يظهر البيت مبنيا من الفضة واللازورد وقد رقشه بكل الزخارف، وكان النور ينبعث منه وهو فى الماء.. وكان مكسوا بالذهب وأسواره عاليه ويبدو أنه قد بني على ساحل اريدو :

لا يقوى أحد على متراسك

قفلك أسد مرعب

عواميد سقفك ثور من السماء! تزيا بشكل وقاد

ستائرك من اللازورد. حلية للعواميد

ثور متوحش، رافع قرنيه.

مدخلك أسد يعترض الناس ..

كساء بابك أسد مسلط على الناس.(فالكنشتاين 187:1951).

وحين يصل الإله إنكي إلى مدينة نفر يجد حفلاً فخماً قد أقامه له الإله انليل ودعا إليه الإلهة (ان . ننتو إلهه الأنونا) بمناسبة إكمال بيت الإله إنكي.. ويتقدم الشراب ويسكر الإلهة. وبعدما يتكلم الإله انليل بهذه المناسبة ويبدو من كلامه أنه أب للإله إنكي حيث يقول (إن ولدي الملك إنكي قد بنى له بيتا) وهذا أمر طبيعي إذ لا بد أنْ يتحول انليل إلى أب لإنكي حتى تتم له السياده المطلقة وحتى تكون نفر أصلا لأريدو وهو ما فعله كهنة نفر:

عندما جعلوا من البيت

عندها غمروا انليل بالفرح

عندها تكلم انليل إلى آلهة إنونا

أيتها الآلهة العظمى . الذين حضرتم هنا.

يا آلهة إنونا . الذين ذهبتم إلى فناء مجلس الشورى

إنّ ولدي الملك إنكي قد بنى له بيتا.

شيد أريدو ورفعها كالجبل الذى يرتفع من الأرض

لقد بنى البيت فى مكان جميل

فى أريدو . المكان . الذى لم يدخله أحد

شيد بيتا من الفضة وطعمه باللازورد

البيت الذي يجذب جميع المعوذين الكهنة .

قد أعطاهم على الرقى والتعاويذ.

وبالترتيلة المقدسة يحافظ البيت دائما على سلامة الأرض.
وبحكمة إنكي وفصله الحسن بين الآجال.
فقد شيد المعبد فوق أبسو لقوى الآلهة الكاملة.
فالحمد للأب إنكي ، (فالكنشتاين190- 189:1951).

وتظهر تسمية الإله (نيراه) وهو (الإله الثعبان) الذي تظهر دائما على الأختام الأسطوانية فى طرف الصورة وخلف الإله إنكي أو خلف زوجته.

ويرى البروفسور فالكنشتاين أنّ هذه الترتيلة تنقسم إلى عدة أقسام حسب موضوعتها: فالقسم الأول يتناول وصف بناء المعبد على يد الإله إنكي ثم إن المعبد وأجزاءه تتكلم معلنة عن الأعمال الخارقة لربها الإله ويتضح من ذلك أنّ التماثيل والأشكال النذرية التي كانت تقدم إلى الإله إنكي وتوضع فى المعبد كانت تصلي إلى الآلهة وتمجدها. فهي في تسبيح مستمر.

أما القسم الثاني فيتكون من خطاب المديح الذي قام به الخازن أسيمو والشبيه بمديح يانوس السومري، فإنّه يختص بالمعبد ووصفه أيضاً. وقد جاء العثور على الأسدين فى أريدو اللذين كانا يحرسان مدخل المعبد مؤيداً لما جاء فى هذه الأسطورة. وينتهي هذا القسم بوصف ضواحي المعبد وحواليه ويتناول الحديث وصف أحراش القصب المجاورة له والأثمار الكثيرة المثقلة بها أشجار جنته. القسم الأخير من الأسطورة يصف الرحلة المائية للإله إنكي إلى مدينة نفر (ويذكرنا برحلة إله القمر نانا إلى نفر لتلقى تبريكات وتقديس والده انليل. وينتهى هذا القسم بالوليمة الإلهية ومدائح إنكي (انظر فالكنشتاين 1951:190- 191).

حافظ سكان أريدو وهم (الناصورائيون) على عبادة الإله (إيا) بل وربما جعلوا الإله الخالق الوحيد وأسموه (حيا) إو (هيا) ومجموعه (حيّي) أو (هيّي) إي حيوات، ويمكننا جمعها في العربية بـ(حيّون) أو (أحياء) أي مجموعة الأحياء فالإله الأول الحي القديم الذي هو (هيي

قدمايي) له صلة بالماء، وتبدو لنا صفة الحي القديم وكأنها تشير إلى الماء ليس هذا فحسب بل إنَّ الجانب المقابل له في عالم الظلام الذي تمثله (الروهة) والتي تطفو على الماء الأسود تشير أيضاً إلى الشكل المظلم للحياة الحية القديمة.

وربما ظهر شكل الإلهة الأم مترادفاً مع الإله المندائي القديم (أور) الذي يمثل ابن (الروهة) وزوجها في الوقت نفسه، لكننا نرى أنَّ جذره أنثوي هو الآخر يكمن في الإلهة السومرية الأم (أورورو) وهي الإلهة الخالقة التي تنجب الكائنات عن طريق خلقها، ولنتذكر أنها خلقت أنكيدو في ملحمة كلكامش.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا أن اسم (أور) الذي يشير إلى المدينة السومرية المعروفة القديمة والتي أصبحت عاصمة السومريين في العصر السومري الحديث حيث حكمت سلالة أور الثالثة. قد تكون هذه المدينة، بالنسبة لسكان أريدو، مدينة الشر والاغتصاب ولذلك تطابقت هذه الصفة مع اسم كائن الظلام العملاق (أور) ابن (روها) فغدت المدينة دالة على الظلام والشر من وجهة نظر الناصورائيين الذين يشعرون أن سيادتهم قد انتهكها السومريون وقبلهم العبيدون الذين بدلوا عبادة الماء بعبادة الهواء (إنليل).

أور هو الأفعى الجبارة أو تنين الأرض السفلي الذي يرتكز عليه العالم المادي (الأرض) وفوقه الأفلاك المادية السبعة، وتحته عوالم الظلام السبعة، له نفس ناري كاللهب، وجوفه حار تارة، ثلجي تارة أخرى، وعلى كلّ الأرواح غير الطاهرة، والتي لا يمكن أن تتطهر

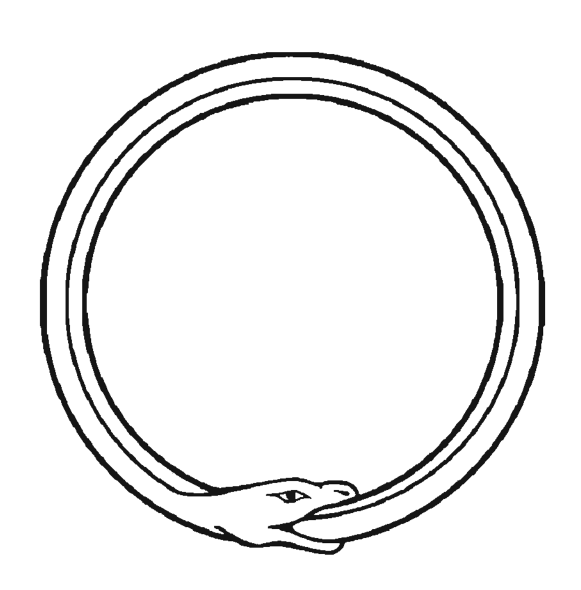
بالمطهر الخفيف، أن تمر من جوفه، وهؤلاء هم غير المؤمنين من الناس.. وهو أفعى بدون يدين أو قدمين وتنين ذو حجم وحشي هائل في داخله نار، وله فم ذو قوة امتصاصية تشبه الدردور، وعلى (السكندولة) يرسم محيطاً بالحيوانات الأخرى. وقد التقى رأسه بذنبه. (دراور **1973: 12- 14**).



السكندولة

ويظهر (أور) محيطاً بالأسد والنحلة والعقرب

http://www.deinayurveda.net/wordpress/2010/08/the-ninth-mandaean-camp-niagara-falls/



الإلهة السومرية الأم (نمّو)

رمزها :أوربوروس

http://ecologywithoutnature.blogspot.nl/2013/03/why-comedy-ouroboros.html

ويعطينا هذا الشكل المائي الأول فكرة عن قدم الماء ومرجعيته الكبرى في الديانتين ولنتأمل في هذا النص المندائي من الكنزا اليمين:

العالم الذي يقف فيه ملك النور عالم لا زوال فيه

عالم الضياء والنور الذي لا ظلام فيه

عالم اللطف الذي لا عصيان فيه

عالم الصلاح، الذي لا اضطراب ولا خلل فيه

عالم اريج، الذي لا رائحة كريهة فيه

عالم الحياة الخالدة، الذي لا موت ولا فناء فيه

عالم الماء الحي، الذي في شذاه يبتهج الملائكة

عالم الطيبة الذي لا خبث فيه

عالم الحق والإيمان، الذي لا إفك ولا بهتان فيه

عالم التقوى والخير. (رودولف 1994 12).

ولنقرأ ما يقابل ذلك في أسطورة دلمون السومرية الشهيرة حيث يعود النص إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد ويعود لحوادث واقعية إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

دلمون بلد مقدس، دلمون بلد طاهر

دلمون بلد مقدس، دلمون بلد منوّر

حين أقام فيه مع قرينته

حين استقر فيه أنكي مع قرينته

أصبحت المنطقة برمتها طاهرة ومنوّرة..

في دلمون قبل ذلك، لم يكن أيّ غراب ينعق

ولم يكن أيّ حجل يغرد

ولم يكن هناك أي أسد يفترس

لم يكن هناك أي ذئب لينقض على الحملان

لم يكن هناك من يشكو مرض عينيه ليقول: عيني تؤلمني

ولا أحد يشكو من ألم الرأس ليعلن: رأسي يوجعني

لم يكن هناك أي عجوز تعترف بعجزها

لم يكن هناك أي رجل شيخ ليعلن: أنا رجل شيخ. (الشوّاف 1996 27- 28).

إن صفات عالم النور (وتوصف دلمون أيضاً أنها بلد منوّر) والذي فيه الحياة الخالدة ولا توجد فيه الأخطاء والشرور، هو نفسه دلمون الخالية من الأمراض والشرور والشيخوخة والموت، والاثنان فيهما الماء الحي خصوصاً أن دلمون هي جزيرة البحرين التي تقع وسط البحر ويغمرها الماء من كل جانب وإلهها هو الإله إنكي الذي هو إله الماء.



الإله إنكي تنبع من كتفيه مياه النهرين
http://bobsblahblahblogs.blogspot.nl/

ربما استطاع الإله إنكي أيضاً أن يوضّح هذا المفهوم، فهو إله الماء والخصب والحكمة والطب والسحر وهو الذي خلق الإنسان وحماه من الطوفان، وهو ابن الإلهة (نمّو) كما تصفه الأساطير السومرية.

وكذلك نرى الجوهر المائي في النظام الإلهي الصابئي في (اليردنا) وهو النهر السماوي أو الإلهي المثالي الأعلى وفي (هقيقي ميّا) الماء الفاصلة بين السماء والأرض وتسمى عالم السلام.

ونرى انعكاس الجوهر المائي في اللاهوتين السومري والصابئي واضحاً على مستوى التطبيق أي في الطقوس والشعائر الدينية، ونرى أنَّ طغيان الماء في هذه الشعائر والطقوس الصابئية يمثل تمسكاً قوياً بأصل ديني بعيد، ظلَّ يفرض نفسه إلى مستوى التعاليم والبيئة.

ومعروف في الدين السومري أنَّ الإله دموزي (تموز)، وهو ابن الإله أنكي بنصيب وافر لا يضارعه فيه إله آخر في أساطير الخصب والماء، وهذا الإله أيضاً إله مائي ومخصب.

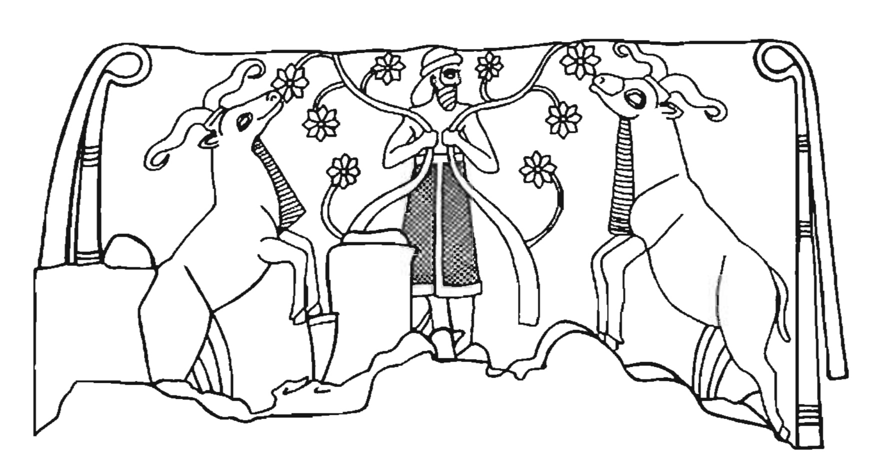
لكن المفاجأة تأتي من (أبسو) الذي هو بمثابة مياه الغمر أو الأعماق التي كان الإله أنكي مسؤولاً عنها، ويوصف (ابسو) بأنه إله المياه العميقة أو الدفينة، أي المياه الجوفية في الديانتين السومرية والبابلية، ونرى أنّه يمثل المياه العذبة (مياه النهار) وهو زوج الإلهة الأم البابلية تيامت التي تمثل المياه المالحة (مياه البحار). وبذلك يناظر الـ(أبسو) السومري (هيي ربي) أو (هيي قدمايي)، وتناظر تيامت الأم المندائية (الروهة).



رمز الإله إنكي

الإناء المقدس يفيض بمياه دجلة والفرات

http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?p=392162



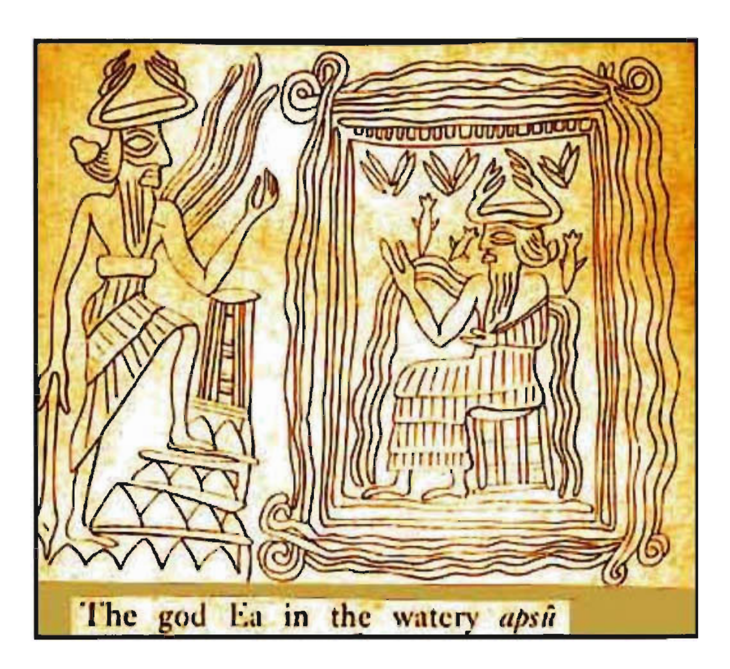
الإله دموزي ورمز الإلهة إنانا

http://www.matrifocus.com/BEL05/spotlight.htm

وترى الليدي دراور أنَّ البركة الطقسية المسماة بـ(ابسو) والتي بحث فيها الأب بوروز في بحثه (مشاكل من أبسو، روما- 1932) لم تكن مبزل سوائل كما اقترح سابقاً، بل لا بد أنه كان حوضاً أو بركة، وأشار إلى أنَّ بعض أسماء شعائر (أبسو) في لكش تشير إلى برك متصلة بقنوات أو ما يشابهها. (دراور 1987 219).

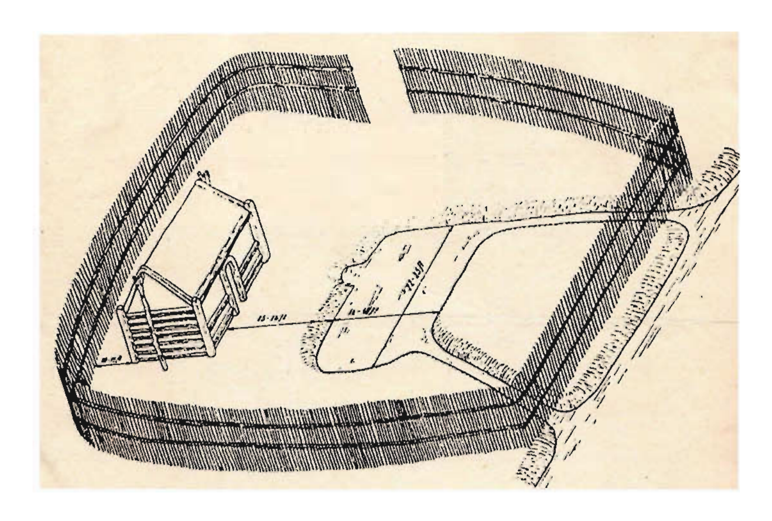
إن اسم معبد الإله أنكي في أريدو هو (إي- ابسو) أي بيت الأعماق الذي تمثله عقائده الدينية عقائد الأعماق والتعاليم السرية، وهو ما نراه في العقيدة الصابئية التي توافق تكوينها مع اسمها اللاحق المندائية لأنَّ (مندا) هو المعرفة العميقة الذوقية، معرفة الأعماق والأسرار وليس المعرفة الخارجية. إنها معرفة الباطن.

لقد دخل أبسو وهو حوض الماء الذي نلاحظه الآن في المندى في طقوس العبادة السومرية، ونحن نرجح بالإضافة على ذلك إن كان مصدر اسم الصابئة أي الذين يمارسون الاغتسال في مياه عذبة مع سرية وباطنية في الطقوس.



الإله إنكي / إيا في مستقره المائي في أبسو

http://earthacupuncture.info/mythology%20of%20ningishzida.htm



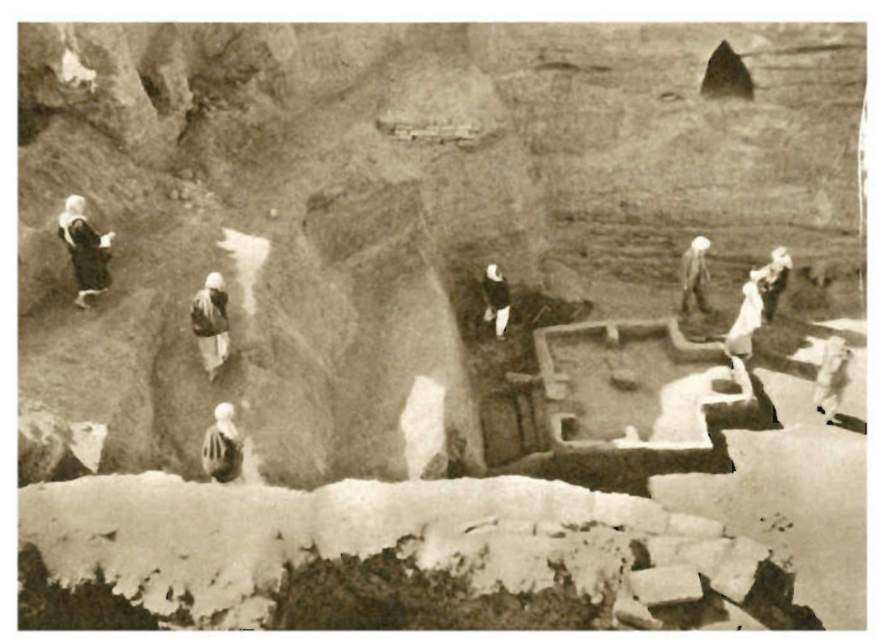
نموذج للمندى يبين سوره المصنوع من القصب أو البردي

وبركة الـ(ابسو) التي تأخذ ماءها من النهر الجاري وهي بركة التعميد



بيت من بيوت (المضيف) الأهوار الحالية في جنوب العراق الذي يشبه المعبد السومري القديم على ضفاف الأنهار والذي يشبه المعبد المندائي التقليدي (المندي).

http://wiki.sjs.org/wiki/index.php/*History_8_Mesopotamia_Vocabulary



بقايا أقدم معبد في أريدو وهو معبد الإله (إيا)

https://imaginandosumer.wordpress.com/page/3/



إنكي يحمل الجرة المقدسة ويفيض منها مياه النهرين

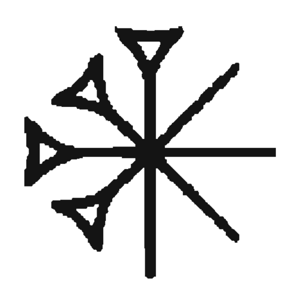
http://beyondpottery.blogspot.nl/2010/04/myth-or-theology.html

2. عالم النور

الجوهر الثاني في الديانتين السومرية والناصورية المندائية معاً هو جوهر النور، حيث الإله الأول في الدين السومري هو الإله (آن) إله السماء التي هي مصدر النور والتي تحتوي على الكواكب والنجوم.

وقد كان هذا الإله يمثل في العصر السومري الشبيه بالكتابي حوالي **3200** ق.م بالشكل الصوري المعروف بالأشعة الثمانية (✳)

وكان هذا الشكل يدل على الاتجاهات الثمانية ويشير في نفس الوقت إلى إشعاع كوكبي، وأصبح منذ فجر السلالات وحتى زوال سومر وتحوله إلى إله بابلي (آنو) يشير لكلمة دنكر **(Dinger)** والتي تعني الإله بصورة عامة. أي إن الفكرة عن الإله كانت تنطوي بالضرورة على كائن نوراني، وقد تم تصور الآلهة جميعاً على أنها كائنات مشعة يصدر عنها الضوء، وهو نفس التصور الذي أبقت عليه الديانات التوحيدية للآلهة في صورة الملائكة.



الأشعة الثمانية - رمز الإله آن

http://en.wikipedia.org/wiki/Anu



الإله آن في مشهد طقسي ورمزه يظهر أمامه

http://www.kemetway.com/Digest/Content/Sumer.html

إنَّ الإله الأعظم في الدين المندائي يوصف بأنه الحي ويدل على أنه ملك عالم النور (آملى دنهورا) ويلقب أحياناً بملك الضوء (ملكي زيوا) الذي يسيطر على قوى النور الاثني عشر وتتحدر عنه الحيوات النورية الأربع ويسيطر على عالم الحياة الأولى.

كان المندائيون يسمون بالناصورائيين لكنهم حملوا اسماً آخر هو الـ(كوشطا) أي أهل الحق أو حرّاس العهد. "وقد عرفوا فيما بعد بـ [ناصورايي اد كوشطا] أي حراس العهد الذين أسسوا بيوت النور والحكمة [أي - كاشونمال] - بيت مندا (بيت المعرفة) فيما بعد - على ضفاف الأنهار في وادي الرافدين لعبادة مار اد ربوثا (الله رب العظمة)، واتخذوا من النجم القطبي (اباثر) الذي دعاه السومريون (نيبورو) قبلة لهم. كما ارتبطت طقوسهم بمياه الرافدين فاعتبروا نهريها ادكلات وبورانون (دجلة والفرات) أنهارا مقدسة تطهر الأرواح والأجساد فاصطبغوا في مياهها كي تنال نفوسهم النقاء والبهاء الذي يغمر آلما د نهورا (عالم النور) الذي إليه يعودون. ومفهوم الاغتسال والتغطيس (التعميد) مفهوم رافديني قديم ورد في العديد من النصوص المسمارية حيث كتب الشاعر السومري في مرثية مدينة أور: ((شعب الرؤوس السوداء ما عادوا يغتسلون من أجل أعيادك، أناشيدك تحولت إلى أنين، مدينة أور مثل طفل في شارع مهدم، يفتش لنفسه عن مكان أمامك" (صباح مال الله: الصابئة المندائيون في العراق القديم، موقع اتحاد الجمعيات المندائية:

http://www.mandaeanunion.com/ar/history/item/269-mandaeans-in-ancient-i.

يتربع خالق الكون على قمة عالم النور، ويتوارى الاسم الحقيقي لهذا الخالق ولا أحد يعرفه رغم أن المندائيين يستخدمون اسماً هو أقرب إلى الصفة وهو حيّ (هيّي) ويضيفون له صفة العظيم (ربّا) فيكون (هيّي ربّا)، ورغم ذلك هناك أسماء قديمة وحديثة له ولكنها أيضا تشير إلى الصفات، ورغم أن نصوص الكنزا تؤكد عدم التمكن من حصر صفاته لكنها تذكر فقط في الكتابين الأول والثاني منها (كنزا اليمين مؤلف من **18** كتاباً وكنز اليسار مؤلف من **3** كتب) أكثر من مائة صفة وتحصر الصفات الرئيسية له بخمسٍ مع وجود صفات كثيرة له. وقد توصلنا إلى أن الجذور الرافدينية لهذا الإله تكمن في إله الماء البابلي (إيا) وهو إله الحياة والخليقة والحكمة والعلوم والفنون. إنه أكثر الآلهة رحمةً ولا تفارقه صفة الخلق والرعاية للكائنات الحية مطلقاً.

إن كلمة (هيّي) تعني (حي) و(حياة) أو(حيوات) في الوقت نفسه، لكن العادة جرت أن نستعمل كلمة (حي) للحديث عن الخالق العظيم الأول، أما (حياة) فهي التي خرجت من اليردنا لتفتح دائرة الخلق الثانية في عالم النور، وهي التي تستخدم في أغلب صفحات الكتب المندائية باعتبارها مسؤولة عن حركة الخلق. وربما جاء ذلك الاستخدام الأنثوي للتمييز أولاً بين (حيٌ) ساكن مترفع منزّه و(حياة) خائضة في عمليات الخلق والوجود، ولأن الكلمة تدل على الولادة والإنجاب فهو ترميز خاص يجد صداه واسعاً في الترجمة العربية بشكل خاص (حياة). ولكننا نرجح سبباً آخر وهو أن كلمة (هيّي) هي جمع لـ(هيّ) أي جمع لـ(حيّ) وبذلك تعني (أحياء) بالعربية، لكنها عندما تضاف للـ(عظيم) لا تتفق معها لأنها ستصبح (الأحياء العظيم) وهو تركيب غير دقيق حيث يجب أن يكون (الأحياء العظيمة) لكنه هنا سيشير إلى مجموعة من الآلهة في حين أن المقصود منه هو إله واحد، ولذلك نقترح ترجمة خاصة وهي (الحيّون) (بتشديد

الياء) ليكون اسمه الكامل (الحيّون العظيم) الذي هو ترجمة دقيقة لـ(هيّي ربّا).

إن احتشاد ملائكة وكائنات النور في عالم النور يعطينا فكرة أساسية هي أنّ هذه الملائكة كانت قبل التوحيد آلهة ولم تتنازل عنها جميع الأديان الموحدة وجعلت منها الملائكة وهي كائنات نورية.

إننا نود الإشارة إلى أنَّ النور يختلف عن الضوء في الديانة الصابئية بالذات، فالنور هو نور القمر ذو المسحة الأنثوية الليلية السرية، أما الضوء فهو ضوء الشمس ذو المسحة الذكرية النهارية العلنية. وكان أغلب مترجمي النصوص المندائية – مع الأسف- يقعون في خطأ الدمج بين النور والضوء وهما مختلفان تماماً.

إن النور مشتق من الرطوبة والماء وإن كلمة (نهورا) لتشير بوضوح إلى النهر أيضاً، ولذلك كان اتصال النور بالماء أساسياً، وبذلك يتحد الجوهران وهو ما نلمحه في الدين السومري حيث النور الإلهي يظهر في الإله إنكي الذي يسمى (عين الماء اللمّاعة) أي عين الماء التي ينعكس فيها الضوء أو النور.

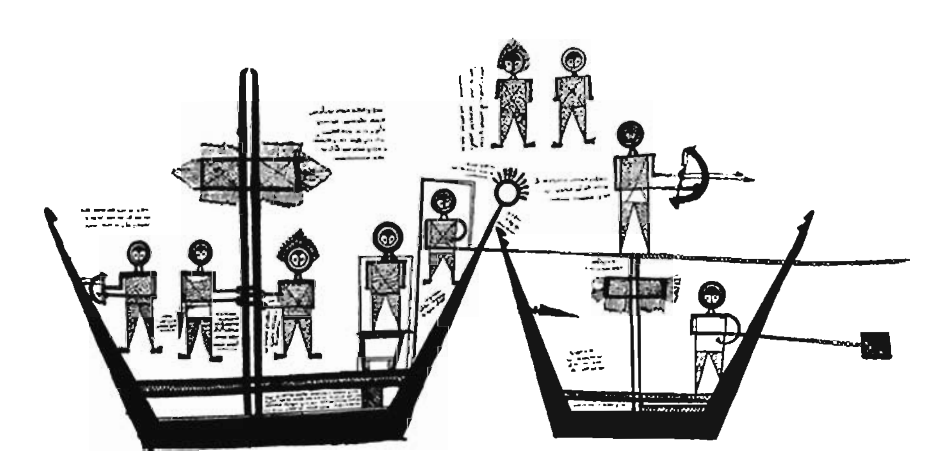
أما الضوء فيتصل بالشمس وبالهواء ويكاد الإله أو الكائن شامش الذي هو (أوتو) بالسومرية و(شمش) بالبابلية يمثله خير تمثيل، ونرى شامش أحد الكائنات النورية المهمة وهو يمتطي مركبه الذي هو كوكب الشمس وفي هذا المركب يوجد علم ينبعث منه نور الله، وهذا العلم هو الدرفش أو الراية الذي أصبح رمز الدين المندائي.



إله الشمس

(أوتو) أو (شمش)

وهو يشرق بين الجبال ماسكاً المنشار ليقص الظلام



مركب الشمس المندائي

وعليه الدرفش

عن (ديوان آباثر)



مركب القمر المندائي وعليه الدرفش

عن (ديوان أباثر)

وفي الحقيقة أنّ مراكب الشمس هذه تشير على علاقة محتملة مع مراكب الشمس المصرية القديمة.



الإله المصري رع في مواجهة ثعبان الظلام أبيب وهو على مركب الشمس

http://www.landofpyramids.org/sun-boat.htm



إله القمر السومري نانا (سين)

http://www.crystalinks.com/sumergods.html

أما الكواكب السبعة والبروج الفلكية الاثنا عشر المندائية فقد ظهرت من الظلام (الروهة) وهي بمثابة أبناء لها ولو تفحصنا في أسماء هذه المراكب النورانية التي تستعملها الكائنات النورانية لوجدنا شيئاً مذهلاً فأغلبها ذات أصول سومرية بالاسم:

1. الشمس كان يسمى أوتو وشمش في سومر وهو شماش بالمندائية ويومه في الديانتين هو يوم الأحد ومنه جاء **Sunday** يوم الشمس.

2. القمر يسمى ننار وسين بالسومرية، وسين بالمندائية ويومه في الديانتين هو الاثنين ومنه جاء **Monday** أي يوم القمر.

3. المريخ يمثله في السومرية الإله نرغال وفي المندائية الكائن نيرغ (وهو لفظ آخر لنرغال) وهو إله العالم الأسفل ويمثله يوم الثلاثاء.

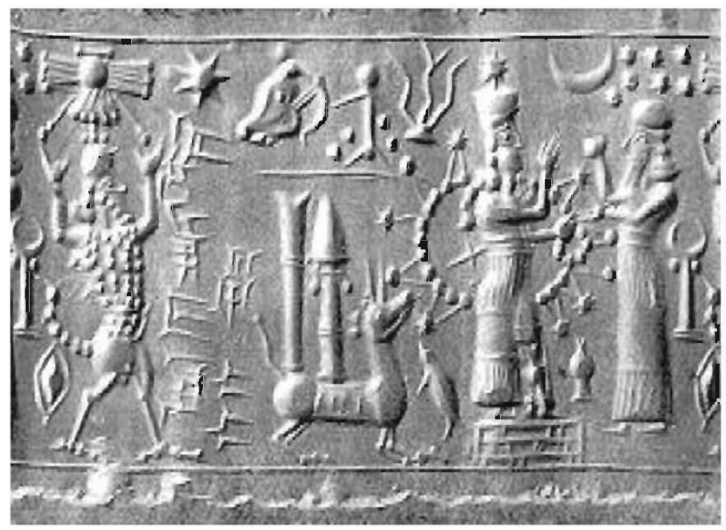
4. عطار الذي يمثله في السومرية أنكي إله المعرفة ونبو وفي المندائية الكائن أنبو ويمثله يوم الأربعاء.

5. المشتري الذي يمثله في السومرية الإله إنليل أو بيل وفي المندائية بيل ويمثله الخميس.

6. الزهرة التي يمثلها في السومرية إنانا وتسمى دلبات وفي المندائية ليبات أو دلبات ويمثلها يوم الجمعة.

7. زحل الذي يمثله في السومرية الإله ستران أو كوردش وفي المندائية كيوان ويمثله السبت.

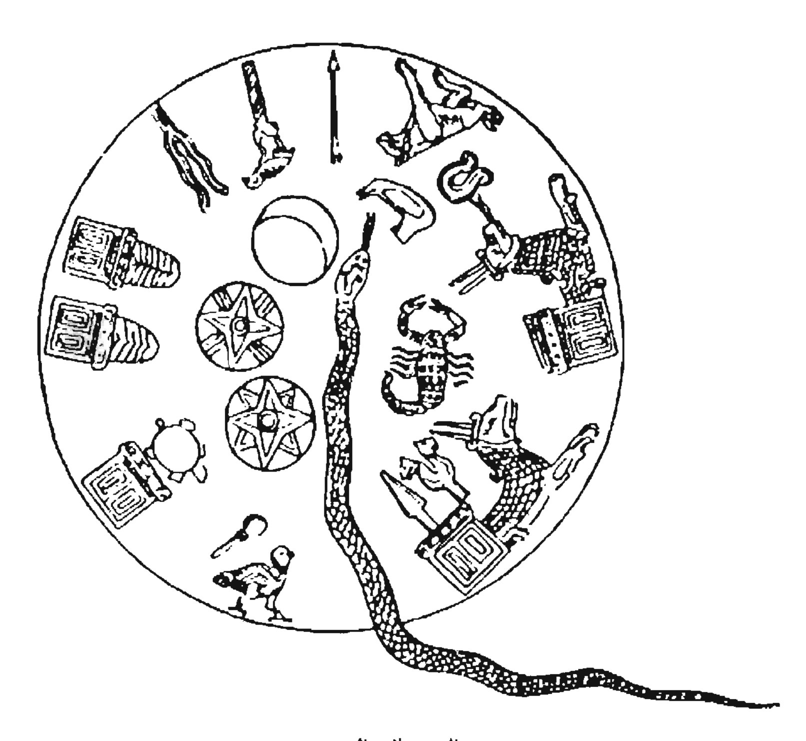




الكواكب السومرية وعلاقتها بالآلهة

http://www.crystalinks.com/sumergods.html
http://bibeltemplet.net/enoch-southpole.html

اليوم	الكوكب	الإله السومري	الإله البابلي	الكائن المندائي
الأحد	الشمس	أوتو	شمش	شماش
الاثنين	القمر	ننار	سين	سين
الثلاثاء	المريخ	نرغال	نرغال	نيرغ
الأربعاء	عطارد	إنكي	نبو	أنبو
الخميس	المشتري	إنليل (بيل)	مردوخ (بعل)	بيل
الجمعة	الزهرة	إنانا (دلبات)	عشتار	ليبات (دلبات)
السبت	زحل	ستران (كوردش)	ننورتا	كيوان

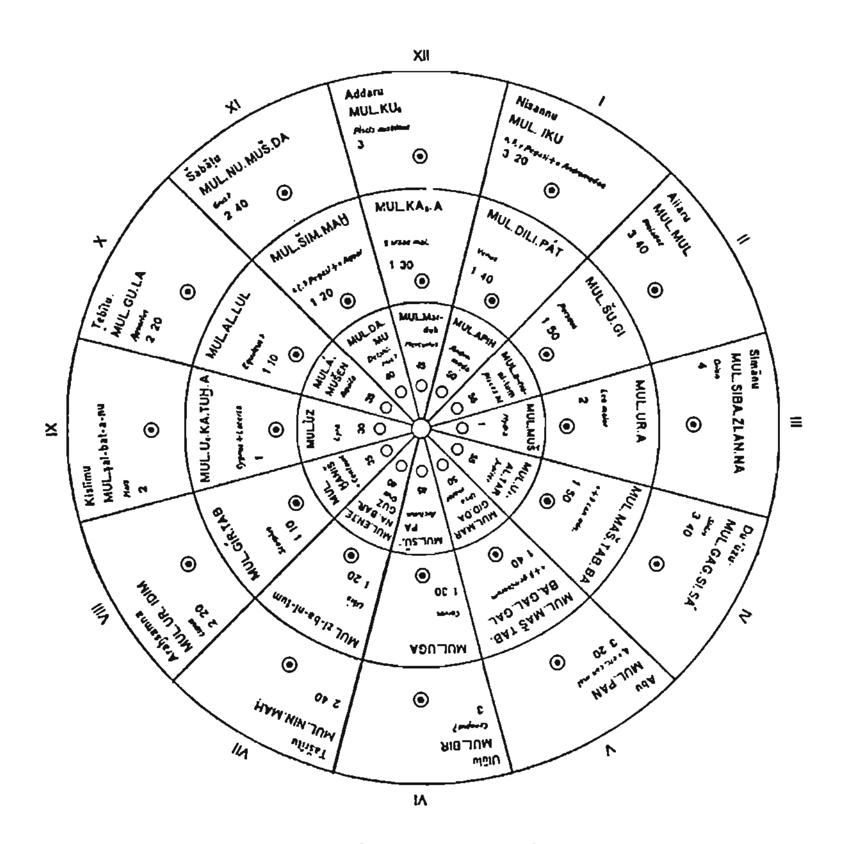


الزودياك السومري

http://www.bibliotecapleyades.net/sitchin/whentimebegan/whentimebegan07.htm

وهناك تشابه كبير بين أسماء الأشهر المندائية والبابلية (ذات الأصل السومري) ومعانيها ، ومن الطبيعي أن تكون ألفاظها أقرب إلى البابلية منها إلى السومرية لأن السومرية انقرضت وورثت البابلية والآشورية تراثها :

التسلسل	الأشهر العربية الحالية	الأشهر المندائية من (1- 12)	الأشهر البابلية	معناها البابلي
1	شباط	شباط	شباتو	الشهر المدمر
2	آذار	أدار	أدارو	الشهر المعتم أو المكتظ بالسحاب
3	نيسان	نيسان	نيسانو	نيسو= يحرك، شهر الحركة أو البركة
4	أيار	أيار	أيارو	أرو=أر=النور=طلوع أراق جديدة شهر الأزهار
5	سيوان	حزيران	سيمانو	شهر القمر
6	تموز	تموز	دؤوزو	الابن البار لمياه المحيط الجوي
7	آب	آب	آبو	شهر الأب، الشمس، الثور الشهر المعادي بسبب حره
8	أيلول	أيلول	أيليلو	الولولة والتهليلة على **تموز**
9	تشرين الأول	تشرين	تشريتو	شهر البداية، الأصل
10	تشرين الثاني	تشروان	أرخا- سمنا	الشهر الثامن
11	كانون الأول	كانون	كسليمو	كانون: التنور لأنه يجب أن يوقد في هذا الشهر
12	كانون الثاني	طابيث	ذابيتو	الشهر العابس أو المظلم



الشهور والأبراج البابلية ذات الأصل السومري

http://members.westnet.com.au/gary-david-thompson/page11-7.html

أما الأبراج التي كان السومريون أول من ابتدعها لأغراض فلكية وعملية تتعلق برصد النجوم والكواكب في قطاعات معينة من السماء فقد تداولها البابليون أيضاً وأطلقوا عليها أسماءها المتعارف عليها اليوم والتي ظهرت بأسماء مقاربة عند المندائيين ويكون البرج منذ **21** من الشهر إلى **20** من الشهر اللاحق وكما يلي:

التسلسل	الشهر المندائي	البرج المندائي	البرج البابلي	معناه المندائي	البرج الحالي
1	شباط	دولا	كوكو أنّا	الدلو	الدلو
2	آذار	نونا	نونو، نون شامي	السمكة	الحوت
3	نيسان	أمبارا	كو، ساريكا، إنسي سار	ثوير،سيد الشهور	الحمل
4	أيار	تورا	تي تي كودان	الثور	الثور
5	حزيران	صلما	تواما	التوأم	الجوزاء
6	تموز	سرطانا	يوموكو، اللول	السرطان	السرطان
7	آب	اريا	أرو، أورماخ، أوركولا	الأسد	الأسد
8	أيلول	شمبلتا	شيرو، ديلكان	السنبلة	العذراء
9	تشرين	قينا	زيبانيتو	القناة، القصبة	الميزان

10	تشروان	أرقبا	اقرابو	العقرب	العقرب
11	كانون	هطيا	با ، بابيل ساك	الحظية	القوس
12	طابيث	جديا	إنزو	الجدي	الجدي

إنَّ جوهر النور يظهر جلياً في تقديس النجم القطبي وهو شمالي عند المندائيين حيث كان السومريون يدفنون موتاهم في الغالب ورؤوسهم باتجاهه. وهكذا فالشمس أو شامش يستمد ضياءه من ملكي زيوا كما تعكس المرآة الصورة.

أما عن النظريات الضعيفة والتي قالت بأن (النور والظلام) في الديانة الصابئية مستمدان من الثنوية الزرادشتية أو المجوسية فإنها تسقط بمجرد البحث في أصل هذه الثنوية في التراث السومري.

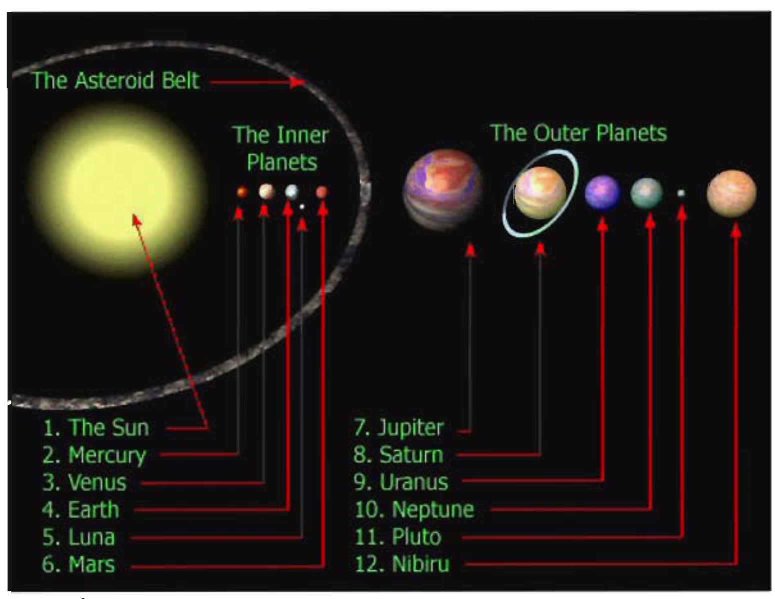
لقد نهلت المندائية من الأصل السومري البابلي أولاً ولما اتصلت بالزرادشتية صقلت هذا المعتقد وهذبته وأغنته وأضفت له وليس العكس، وهذا ما يؤيد نظريتنا من أنَّ الأفكار التنجيمية والفلكية السومرية البابلية موجودة في الديانة المندائية وقضية النور والظلام لا تخرج عن هذه الفرضية.

No. 77,821 (85-4-30, 15).

Month.	Determinative of Star.	Name of the Sign of the Zodiac.	Modern Equivalent.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Goat.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Bull.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Twins.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Crab.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Lion.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Virgin.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Scales.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Scorpion.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Bow.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Capricornus.
[illegible]	[illegible]	[illegible]	Water-bearer
[illegible]	[illegible]	[illegible]	The Fishes.

أسماء الشهور والكواكب أو النجوم والأبرج المقابلة لها بالخط المسماري واللغة السومرية

http://www.ufoshropshire.co.uk/extra-terrestrial-races/the-annunaki/



الكواكب السيّارة الاثنا عشر التي اكتشفها السومريون وأعطوها أسماءً وأعطى المندائيون أسماء سبعةٍ منها

http://www.dottal.org/tale_of_the_sumerians.htm

3. عالم الظلام

العالم الأسفل عند السومريين

العالم الأسفل السومري، ثم البابلي لاحقاً، لم يمثل ما اصطلح عليه بالجحيم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، بل هو عالم له مواصفاته الخاصة، ولذلك لا نفضل مطلقاً إطلاق صفة الجحيم على هذا العالم لما يحمل من مدولات أخرى ولنلاحظ أن أسماء العالم الأسفل لا تدل على شيء اسمه الجحيم. ومن هذه الأسماء السومرية حصراً هي (كي ماخ: الأرض العظيمة) أو (كي كال: الأرض العظيمة) و(أرلي) وقد استعمل مصطلح ابسو ليدل أحيانا على العالم السفلي والأرض (كى – كال دمال) وأرض اللاعودة (كرنوكى) والأرض الحصينة (كى باد).. الخ.

وتسكن الإلهة أرشكيكال فى قصر عظيم يقع خلف الأسوار السبعة التى تحيط بالعالم الأسفل والتي لكل منها باب كبير وهذا القصر مشيد بحجر اللازورد ويسمى بالسومرية (قصر العدالة (إيكال كينا) ويبدو أنَّ هناك قصوراً صغيرة أخرى للملوك والكهان والآلهة الأخرى، أما جو العالم الأسفل فهو جو مليء بالغبار الذى يغطى كل شيء فيه وليس النار (كما هو حال الجحيم) فالغبار الترابي هو جو العالم الأسفل مثلما الماء جو الابسو والهواء جو الأرض.

ويرمز للعالم الأسفل بجبل يبدو كأنه مجموعة من الجبال الصغيرة، أما رمز الإله نركال فقد ظهر متأخراً على شكل كلب مجنح وهو يحمل هراوة إفعوانية مزدوجة.

ونرى أن الصورة الخاصة بالإلهة أرشكيكال هي تلك الصورة التي تظهر فيها امرأة مجنحة عارية تلبس تاجاً مقرناً وتمسك بيدها رمزي السلطة (العصا والحلقة) وتقف على لبوتين بجانبهما بومتان (دلالة الليل) وتحتهم رمز العالم الأسفل على شكل جبال صغيرة.

تتحدث الأساطير القديمة عن إرشكيكال كإلهة من آلهة العالم الأعلى لكن (كور) وهو كائن عتيق من كائنات ووحوش العالم الأسفل اختطف الآلهة

أرشكيكال من العالم الأعلى إلى العالم الأسفل حيث أصبحت هذه الإلهة ملكة هذا العالم الأسفل، وهناك أساطير للكائن (كور) مع الإلهة ويبدو أنه قتل على يد أحد الآلهة (ننورتا) وربما على الأكثر (أنانا) التي تسمى (قاتلة كور) وكلمة (أرش) كلمة أكدية تعني (سيدة أو ملكة) وتقابلها بالسومرية كلمة (نن) أو (كاشان) ولكن اسم (أرشكيكال) إلهة

العالم العظيم هي التي سادت منذ العصور السومرية، والمقصود بالعالم العظيم هو (العالم الأسفل) وهناك عدة ألقاب لهذه الإلهة هي (اللاتو ، أركالا لاز ، ماميتم) وأغلب هذه الألقاب أكدية ولنتأمل في كلمة (اللاتو) التي هي مصدر الآلهة العربية التي سادت منذ عصر الأنباط وهي (اللات)، وهناك ألقاب سومرية لها مثل (ايزكيرا ، ننكراد) (انظر حنون 1986 : 189).

ويبدو أنّ هناك الكثير من الأساطير السومرية المفقودة حول حياة (أرشكيكال) وولادتها وأزواجها وأبنائها.. فعلى سبيل المثال أنها عندما تذكر تحت لقب (ننكراد) كانت تعتبر ابنة للإله إنكي وزوجة للإله (ننازو).



أرشكيكال في العالم الأسفل تحيط بها حيواناتها ورموزها في عالم مظلم
http://www.uned.es/geo-1-historia-antigua-universal/new%20website/IRAK/Tesoros_Irak_17_INANNA.htm

ولكننا فى حقيقة الأمر نعرف أنّها ابنة (نانا) أما (ننازو) الذي هو زوج ارشكيكال عندما ادعت انانا في الأسطورة نزولها إلى العالم الأسفل أنها ذاهبة إلى مأتمه.

إن الزوج الثابت والحقيقي لها هو الإله (نركال) الذي (حسب الأساطير السومرية) ولد من إنليل ونليل بديلاً عن الإله القمر ليعيش فى العالم الأسفل.

وكانت الإلهة أرشكيكال تُعبد أساساً فى مدينة (كوثى) مع زوجها (نركال) فى معبده المسمى (إى – مسلام). وللإلهين أبناء يعدون من آلهة العالم الأسفل وهم على الأكثر ثلاثة (ننازو ، نمتار ، خيندر ساك) ولكنهما محاطان بمجموعة كبيرة من الآلهة الثانوية التي تقوم بواجباتها المقررة لها في العالم الأسفل، وتعتبر هذه الآلهة الثانوية بمثابة الآلهة المسيطرة على عالم كبير من الشياطين والجن التي تسكن العالم الأسفل سنذكرها لاحقا إضافة إلى جيوش من أرواح الموتى المنصفة حسب درجات دفنها ومالها من أبناء على وجه الأرض.



أريشكيجال



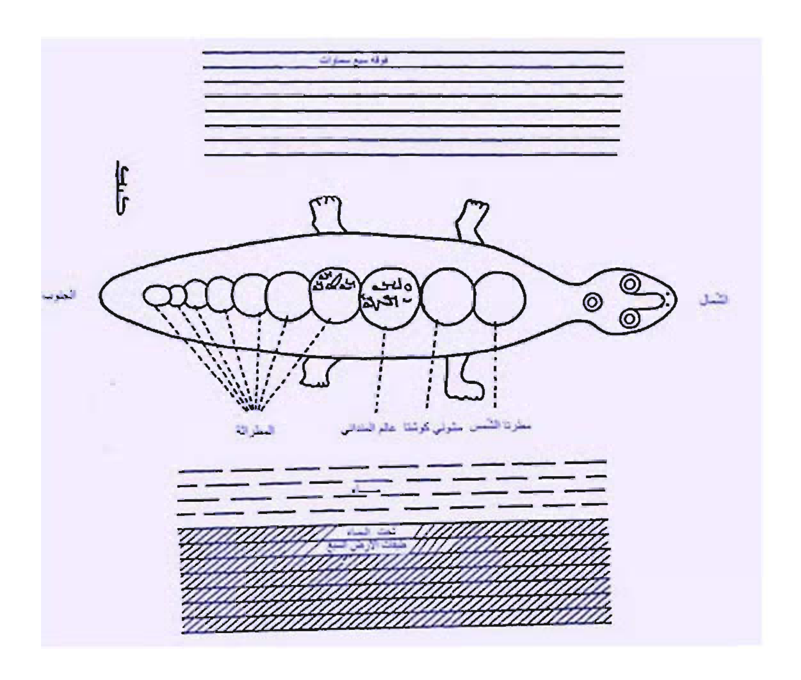
نرجال

http://www.mesopotamia.co.uk/gods/explore/nergal.html
http://www.flickriver.com/photos/tags/ereshkigal/interesting/

عالم الظلام عند المندائيين

يناظر عالم الظلام المندائي العالم الأسفل السومري في طبيعته وكائناته.

ويسمى عالم الظلام في التراث المندائي الأرامي (آلمي دهشوخا) وهو عالم شديد التعقيد والتركيب تسيطر عليه كائنات ظلامية يقف على رأسها (الروهة وأور) ملكا الظلام، وتتناسب هذه الصورة مع **عالم الظلام السومري وهو العالم الأسفل حيث أريشكيكال ملكة الظلام** ونرغال ملك الظلام. لكن جذور التسميات السومرية للكائنات الظلامية المندائية لا تكمن في العالم الأسفل بل في العالم الهيولي المظلم.



أور: ملك الظلام

كما يظهر في كتاب (ديوان أباثر)

فالروهة وأور وهما قريبان من بعضهما في التسمية مشتقتان من أحد أسماء الأم السومرية وهو أوروروا، وكاف مشتق من كي إلهة الأرض وكذلك كن أو قن أم الروهة، أما كرون فمشتق من الآلهة كور وهو الإله الشرير في المثولوجيا السومرية.

نرجّح أن يكون عالم النور ذكرياً وذلك لسيطرة الحي (هيي) بسلالته المريعة عليه، ولذلك نتحفظ عن ترجمة (هيي) بـ(الحياة) ونقترح ترجمتها بـ(الحي) بسبب ذكورية عالم النور.

أما عالم الظلام فهو عالم أنثوي وصمه عالم النور (وكهنة المندائيين) بأبشع الأوصاف وأرذلها، ونرجّح أن في ذلك صدىً للانقلاب الذكوري الذي شهده المؤسسون الأوائل للمندائية منذ (أريدو) في وادي الرافدين.

ونرجّح أن تكون (روها) هي الإلهة الأم القديمة التي دفنها المندائيون في الظلام رغم أنها ظلت حيّة تتناسل وتكون عالماً كاملاً نظيراً لعالم النور هو عالم الظلام، ولذلك كانت مهمتنا في إعادة بناء عالم الظلام وكشف مناظراته لعالم النور على الرغم من تشتيت أسماء كائناته وعدم ذكرها الصريح في النصوص وتحتها وبين السطور.

لقد حاولنا أن نوضّح العوالم الأربعة للظلام رغم عدم وضوحها في النصوص المندائية سعياً منا لإثبات الإيقاع المتناسق بينها وبين عالم النور.

1. الظلمة الأولى (قن)

بدأ علم الظلام بالتكون بعد عالم النور، فقد تكوّن من دخان (تنّا) وظهرت أصول الظلام متكونة من سبع كائنات ظلامية هي:

(نصبتا، إينا، أردا دهشوخا، ساخا، ميّا سياوي، يردان) وهي (أغراس الظلام، العين، أرض الظلام، عمق الظلام، الماء الأسود، نهر الظلام الأول) وعرفنا أن العين تحتوي على المرآة والمرارة والجمرة. وقد كانت لهذه الكائنات

ستة أوعية هي عبارة عن سبعة أنهار للظلام كان يردن أولها وهناك ستة أخرى تحتوي ما تبقى.

وتظهر في هذا العالم الأول للظلمة أم الظلام (قن) وهي روها الأم التي تخرج من ماء يردان نهر سينياويس (نهر القمر) ونرجّح أن يكون نهر دجلة بأعماقه الخفية في باطن الأرض أو شكله السلبي النموذجي.

2. الظلمة الثانية (روها)

تتكون الظلمة الثانية من طبقات عالم الظلام وتتكون هذه الطبقات من ستة أنواع من الذكور المظلمين هم (زرتناي، هاغ، كاف، كاركوم –كيو، شدوم، أناتان) في مقابل ست كائنات مؤنثة مظلمة هي (عماميت، ماغ، كامان، همورثا، ليليث، عشتروت) وهذه الثلاثة الأخيرة أنواع من الكائنات الأنثوية التي رافقت أم الظلام.

أما الظلمة الثانية أو أم الظلام فهي روها وهي روها الحقيقية (البنت) التي تعدّ السمة الكبرى لعالم الظلام كله.

3. لظلمة الثالثة (أور)

هذه الظلمة هي ظلمة الكواكب الاثني عشر المكونة من سبعة كواكب سيارة معروفة ومعها خمسة كواكب لا يُفصح عن اسمها نُرجح أن تكون هي الكواكب السبعة نفسها في صورة جنسية معكوسة مع توزيع الشمس الذكري والقمر الأنثوي في كل طرف.

أي أن الكائنات الستة الأولى هي (شمش، نيرغ، أبنو، بل، دلبات، كيوان) وهي ذكرية الطابع هنا (الشمس، المريخ، عطارد، المشتري، الزهرة، زحل) تقابلها ستة كواكب أنثوية قرينة لها هي (القمر، المريخ، عطار، المشتري، الزهرة، زحل).

والحقيقة أننا نقترح هذا الحل لنخرج من مأزق السبعة والخمسة كواكب التي يشكل مجموعها 12 كوكباً.

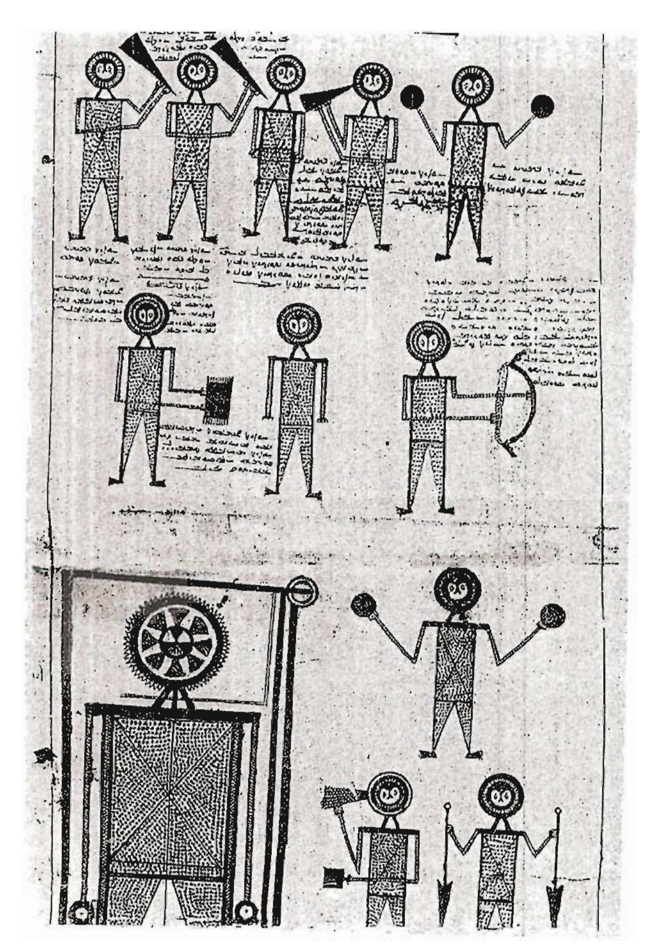
أما سيد الظلمة الثالثة فهو (أور) الذي نراه على أنه الظلمة الابن للظلام الذي جاء من تناسل أمه روها مع والدها كاف.

4. <u>الظلمة الرابعة (زاهرئيل)</u>

هذه الظلمة هي ظلمة الأبراج الاثني عشر التي تحلّ فيها الكواكب الاثني عشر السابقة ولهذه الأبراج أسماءٌ هي نفسها أسماء الأشهر المندائية وهي (دوالا، نونا، أمبرا، تورا، صلميا، سرطانا، أريا، شمبلنا، قاينا، أرقوبا، صاطيا، كاديا) وهي (الدلو، الحوت، الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، العذراء، الميزان، العقرب، القوس، الجدي) أما أشهرها المقابلة فهي (شباط، آذار، نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول، تشرين، مشروان، كانون، طابيت). وقد ذكرناها بدءًا من شباط لأن السنة المندائية تبدأ في شباط الذي يصادف في حدود 21 آذار الحالي عندنا تقريباً، وهو نفس بداية السنة السومرية قديماً.

أما سيدة الظلمة الرابعة فهي شكل من أشكال الروها وهي (زاهرئيل) أو (زُهرائيل) التي هي أخت الروها.

وإذا كان أبناء الظلام أو العالم الأسفل في السومرية يسمون بـ(كالو) فإنّهم يسمَّون (ملاخي) بالمندائية وهم عكس الملائكة كائنات ظلامية وجن وأبالسة. وفي التراثين السومري والمندائي نجد أنَّ الكواكب والظلام يرتبطان بنسب لأبناء الظلام يوازن آلهة الكواكب ويرجعون بنسبهم جميعاً إلى إنليل، بينما في المندائية نرى أنَّ أبناء الظلام هم أبناء الروهة.



كائنات عالم الظلام

إنَّ الصفات التي يوصف بها عالم الظلام المندائي يشابه إلى حد كبير عالم الظلام الأسفل والهيولي السومري وتصف الكتب المندائية هذا العالم كما يلي:

"فسيح وعميق موطن الأشرار.. ومواطنوه لا يمتلكون الإخلاص لموطنهم الذي هو مأواهم إلى الأبد، الموطن الذي هم أقاموه، وأرضه ماء

أسود، ومن الماء الأسود تكون.. وظهر ملك الظلام من طبيعته الشريرة، أصبح كبيراً وقوياً ونادى وانتشرت الآلاف من الأجناس الشريرة وبلا حد وملايين من الذرية قبيحة وبلا عدد" (كنزا اليمين :12).

بعضهم يزحف على بطنه وبعضهم يسبح في الماء وبعضهم يطير، وبعضهم يمتلك أرجلاً متعددة كديدان الأرض يمتلكون في أفواههم أضراساً وقواطع. وطعم أشجارهم كطعم السمّ والمرارة وعصيرهم يشبه النفط والزفت" ويوصف ملك الظلام كما يلي:

"اتخذ هيئة كل أبناء الأرض، رأس الأسد، حجم التنين، أجنحة النسر، ظهر السلحفاة، أيدي وأقدام المارد، يمشي ويزحف، يطير، يصرخ، يتوعد، يزأر، يتأوه... يتصرف بأعضائه كيفما يريد وهو يمتلك خاصيتي الذكر والأنثى" (كنزا اليمين :12).

ويذكرنا هذا العالم بصفات وملكة وملك العالم الأسفل والعالم الهيولي السومري وتقترب صورة ملك الظلام من الإله الهيولي (كور) ويسمى (كوركال) الذي يقترب من اسم (كركوم) المندائي:

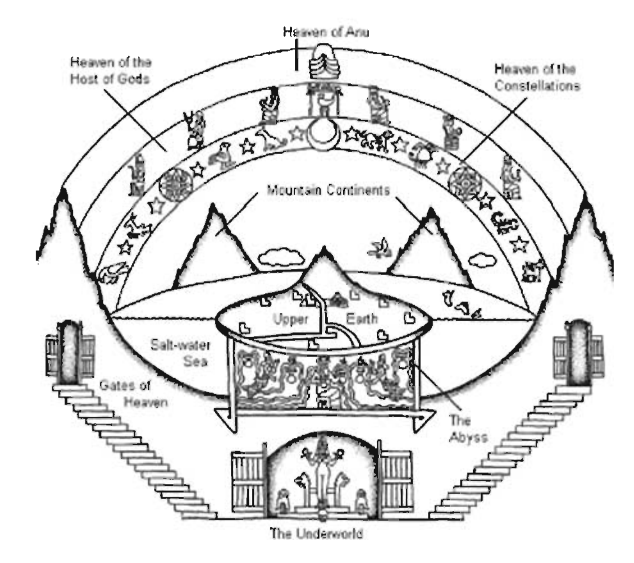
وإذا توخينا الدقة وعدنا إلى الكاهن البابلي برسوس أو برعوشا وهو من الفترة الهيلينية وقرأنا في الشذرات التي تركها من "ألواح الخلق السبعة عن الكائنات الأولى التي بدأ بها الخلق" وهو يتقصى التاريخ السومري القديم وأحداثه فإنه قد اكتشف أساطير مغرقة في قدمها، وصادف موروثات مثبتة خطياً تتحدث عن كائنات نادرة شاذة وذات أشكال غريبة عاشت قبل أن يخلق البشر فقد ظهر رجال مزودون بجناحين كان لبعضهم أربعة أجنحة ووجهان والبعض الآخر جسد واحد

برأسين، رأس امرأة ورأس رجل وأعضاء جنسية مذكرة ومؤنثة في آن معاً، وهناك أيضاً رجال آخرون لهم قوائم وقرون ماعز أحياناً وحوافر فيل أحياناً أخرى.. بعضهم على شكل إنسان في مقدمته وعلى شكل حصان في مؤخرته، وكذلك ترى ثيران برؤوس إنسانية وكلاباً بأربعة أجساد لمؤخراتها ذيول أسماك، كما يوجد أسماك وزواحف وأفاع ومخلوقات أخرى غريبة لها أشكال متبادلة فيما بينهم" (فريشاور **1988 : 219**).

إن هذه الكائنات الممسوخة الخنثوية والظلامية عاشت في الذاكرة السومرية أولاً وانتقلت صورتها إلى العالم الأسفل والمظلم وقد تسربت صورة هذا العالم إلى البابليين فنجد وصفاً مشابهاً للكائنات الهيولية التي كانت تقف في صف وجيش تيامت في أسطورة الخليقة.

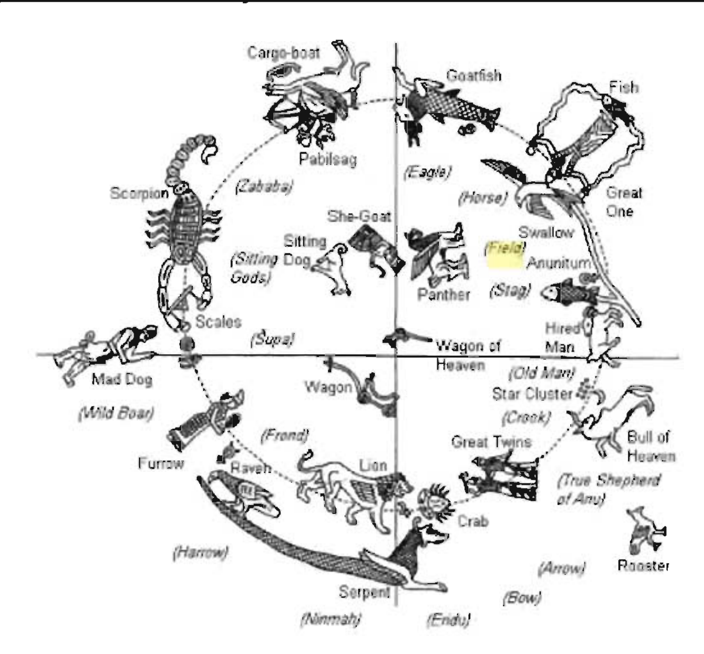
إن عالم الظلام المندائي يتكون من سبع طبقات تنتهي بمقام الروهة وهي تسبح على ماء الظلام وكذلك يتكون العالم الأسفل السومري من سبعة أبواب تنتهي بقصر ملكة الظلام أرشكيكال.

إن العلاقة الخلاقة لجوهر الماء والنور والظلام في الديانتين السومرية والمندائية لافتة للنظر حقاً ولا نجدها في أي عقيدة دينية أخرى بهذا الشكل المتداخل والمتواشج. وهذا يعني أنَّ جوهر العقيدة الدينية لكليهما من أصل واحد قد يمتد إلى ما قبلهما عندما ظهر الإنسان في جنوب العراق في الألف الخامس ق.م في العصر الكالكوليتي (الحجري المعدني) وكون الحضارتين السابقتين للسومرية وهما : أريدو والعبيد.



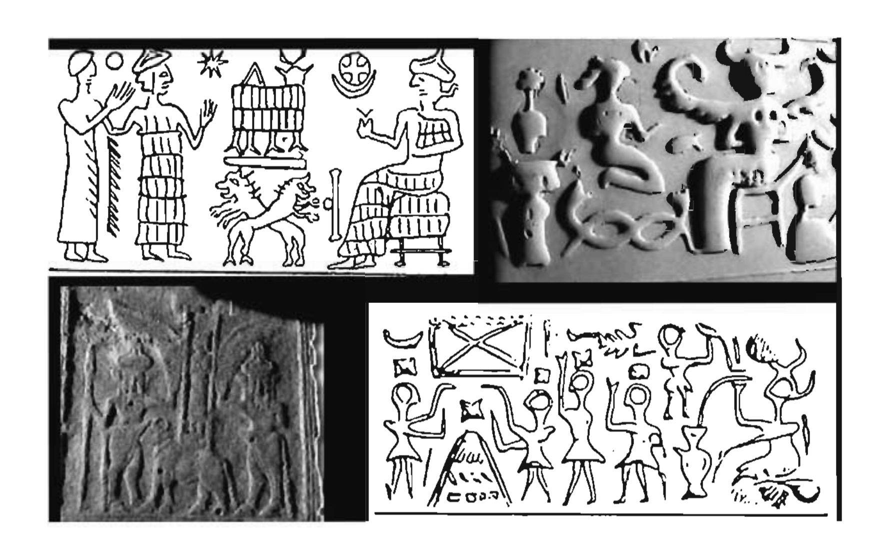
بعض تفاصيل الكون السومري

http://www.abovetopsecret.com/forum/thread833168/pg1



الزودياك (البروج) السومرية

http://www.abovetopsecret.com/forum/thread833168/pg1



إنانا وعلاقتها بالكواكب

الأعلى يساراً :إنانا تسأل ثور السماء من آنو ونجمتها أمامها

الأعلى يميناً:عشتار ذات القرون الجالسة على العرش وقربها الثعبان المزدوج

الأسفل يميناً : عشتار ذات القرون والكواكب أعلى الجبل

www.abovetopsecret.com/forum/thread833168/pg1

ثانياً: الأفكار الدينية الكبرى

1. الله والآلهة

لم يكن التوحيد المندائي، في بداياته، على صورته الحالية اليوم فقد بدأ بسيطاً متمسكاً بمركزية (الحيّ العظيم) الذي كان يسمى في أريدو إله الماء والخلق (إيا) وتدرج من التعدد إلى التفريد إلى التوحيد، ورغم أن نظامه الإلوهي الحالي لا يدلّ على أنَّ اللّه جاء من إله قديم تعاظم دوره شيئاً فشيئاً من مصدر سومري أو بابلي إلاّ أننا نرى أن الإله (إيا) قد يكون وارثاً للتوحيد الأنثوي الذي كانت عليه الألوهة المؤنثة في العصر النيوليثي باعتباره ممثلاً لها لكنه قلب عليها لاحقاً. ويقيناً أن صورة التوحيد المندائي تكاملت مع الزمن وصقلت وتمّ التخلص من كل ما يشوبها من الآلهة حيث تمّ تحويلها إلى ملائكةٍ وهو ما فعلته جميع الأديان الغوصية والظاهرية (السماوية) بل إنَّ المندائية اكتسبت لاحقاً من هذه الأديان الأخيرة صفات وصيغاً جديدة في التوحيد ، وإنه لما يؤكد أنَّ اللّه في الدين المندائي ليس له اسم محدد بل يشار له بصفات هي (الحق/ هيي، القدم/ قدمايي، العظيم/ ربّا، العارف/ مندا) وبذلك بقي مكان اللّه متعالياً وحاولت الصفات الإشارة إليه. وقد يشير هذا إلى تنزيه عظيم للّه حتى من الأسماء والصفات ولكنه قد يشير أيضاً على انقطاع معرفي وضع اللّه

لاحقاً في منظومة إلهية متعددة تحولت إلى منظومة ملائكة وكائنات نورية وبقي الله يطل عليها من علٍ.. وهذا ما نظنه.

لقد أتى التوحيد المندائي بعد النظام الإلهي المتعدد الذي ورثه عن الديانة السومرية فهذبها وحذف منها الكثير من الآلهة وحوّل ما تبقى منها إلى كائنات تمثل قوى النور (نطفتا/ نطفة ماء، مانا/ العقل، نشمتا/ نسمة الهواء، بيرا/ الثمرة، يورا/ النور، غيرا/ الهواء، يردنا/ الماء الجاري، نباط ونبطا/ النبتة، تنا/ الدخان، دموثا/ صورة الحياة) هذه القوى النورية وغيرها سنجدها متناغمة فيما بعد مع الفيوضات الإلهية العشرة من العقل الأول في النظام الغنوصي الهلنستي والإفلوطيني.

وبنفس الطريقة تحولت آلهة وكائنات العالم السفلي السومرية إلى كائنات ظلامية وجنّية وشيطانية هي (قن، الروهة، كاف، هيواث، غروس، أور) ولما جاء التوحيد وضع الله في مكانه العالي. ولكننا بقراءة متأنيةٍ للنصوص المندائية سيتوضح الدور القصيّ لله في كل عمليات الخلق وأدوار العالم. أما الآلهة التفريدية مثل أنليل السومري، مردوخ البابلي، يهوا العبري، أتون المصري، إيل الكنعاني فأنها لعبت دوراً واضحاً في التمهيد للتوحيد لم يلعبه مثلاً هيبل زيوا في الديانة المندائية.

إن وجود الله منفصلاً ومتوجاً على رأس نظام ثيولوجي قديم ليدل على وجود عقيدتين متلاصقتين إحداهما يسود فيها تعدد الآلهة والأخرى تؤمن بإله واحد. وقد كان التوحيد الغنوصي (العرفاني)

مفتاحاً لحل هذه المشكلة، فالله يفيض إلى عوالم وعقول ونفوس حتى يصل إلى الإنسان، وإنه لمما يشجع على ذلك الحل هو ارتباك المثولوجيا المندائية وتخفيها خلف حوادث عرفانية ذهنية تشبه الفيض والحلول. أما الأساطير الموروثة فقد تبقى منها أساطير الخليقة مميزة أما البقية فتبدو وكأنها حكايات شعبية، وهذا يعني أنَّ الأساطير الأصل أو الحقيقية للمندائية قد اختفت أو أزيلت، وإن ما تبقى منها صار على شكل غنوصي عقليّ أو على شكل فولكلوري شعبي.

ليس هناك في تاريخ الأديان على مستوى البحث الأركيولوجي التاريخي العلمي دين اهتدى دفعة واحدة إلى التوحيد، بل أتى على التوحيد متردداً ومر بتاريخ طويل. إن الصورة التي قدمتها لا تحاول أن تثير شكوكاً في التوحيد الصابئي مطلقاً، فهو دين رفيع التوحيد ويؤمن بالله المنزه العظيم ولا تختلف صورة الله فيه عن أي دين سماوي، ولنقرأ هذا المقطع عن الله من كتاب الفلستا "مجيد راسخ، إله الحق، قدرته تسع كل شيء بلا حدود، الشعاع النقي، الضوء الساطع الذي لا انطفاء له، اللطيف الغفور، الرحمن، الرحيم، منقذ المؤمنين، معين الصالحين، القدير، الحكيم، البصير العليم، الواحد، المسيطر، رب عوالم النور العليا والوسطى والدنيا، البهاء الذي لا يدرك، لا شريك له في تاجه، ولا شريك له في سلطانه، ولا يُخزي من اعتمد عليه، ولا يخيب من دعاه وسبّح باسمه بالحق وما ذل من اعتصم به" (عليان 1976: 101).

2. الأنبياء والوحي

"لا يعتقد الصابئة بالنبوة ولا يروا في الأنبياء المفهوم المعروف عند أهل الأديان المنزلة ولا يرون في الرسل بأنهم مرسلون بين الله والإنسان. وإنما هم أناس طهّروا أنفسهم عن دنس الشهوات وأرضوها على الطاعات حتى توصلوا بنوع من الكشف إلى المعارف وتذوقوا تلك المعارف تذوقاً مباشراً، ولذلك يصفونهم في كتبهم المقدسة بأنهم معلّمون معرفيون.. وإذا ما وصفوهم بالأنبياء فإنما يقصرون ذلك أي أنهم يستمدون معارفهم بطريق الكشف والتذوق المباشر لا بطريق الوحي ولا بواسطة الاستنتاج والاستدلال. والتشريعات والكتب التي ينسبها المندائيون إلى هؤلاء المعرفيين لم يدعوا أنها منزلة عليهم من الله وإنما هي من معارفهم بواسطة الكشف والفيض الإلهي ليس غير"(عليان 1976: 104).

وهذا يتطابق في جانب منه مع فكرة عدم ظهور الأنبياء في الديانة السومرية الأم وظهور رجال الدين الذين يصلون إلى رتبة عالية من المعرفة الدينية.

وحتى يحيى الذي عرف بأنه نبي لهم يرون بأنه كان معلماً عظيماً وأنه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن وإن تغيرات دينية معينة تنسب إليه كتقليل أوقات الصلاة وعددها من خمسة إلى ثلاثة يومياً فهو كان بالنسبة لتعاليم الصابئيين "ناصورائياً" أي ضليعاً بالعقيدة ذا معجزات تعالج بصورة رئيسة شفاء أبدان الناس وأرواحهم فهو بفضل

علمه (ناصوروثه) لا يفله الحديد ولا تحرقه النار ولا يغرق في الماء.(دراور 1987 : 42).

إن درجات الريش أمه والرياني والناصورائي وهي أعلى الدرجات الدينية الصابئية تقابلها في الدين السومري في مراحله الأولى مفهوم (الإين) ثم مفهوم الـ(ماخ) الذي يعني حرفياً (الرئيس) وهو الزعيم الروحي، وكان (الإين) والذي يمكن ترجمته بـ(العين مفرد أعيان) يجمع الزعامتين الدينية والدنيوية، فهوالملك أو رئيس الأمة وكانت أحياناً تكتب أمام اسمه علامته الإلوهية وهو ما توحي به كلمة الرياني أيضاً.

إن نفي النبوة يتبعه بالضرورة نفي الوحي فكلما ارتفع مقام رجل الدين استلهم وحيه من عرفانياته وليس من الاتصال بالله عن طريق وسيط وهو ما نسميه بالوحي، ولعل نظرية الفيض الإلهي هي التي تفسر مصدر الدين والمعرفة وهي تقابل مفهوم الوحي، أي أنَّ مفهوم الفيض الإلهي مفهوم غنوصي وليس سومرياً. أما نفي النبوة فتشترك به الغنوصية والسومرية معاً.

3. الموت والعالم الآخر

يعتقد المندائيون أن الإنسان عندما يموت تنتقل روحه إلى العالم الآخر فالجسد فان والروح خالدة، وفي العالم الآخر تحاسب هذه الروح وتوزن أعمالها فإذا كانت الحسنات كثيرة تصعد الروح على عالم الأنوار، وإن كانت السيئات كثيرة فإن الروح تذهب على عالم

المطهر(المطراثا) خارج عالم النور ولكنها ليست في عالم الظلام حيث تذهب في رحلة تمر بها بسبع محطات تسمى (عوالم الحساب) وهي عوالم شريرة تعرقل صعود الروح وتمسك كل روح خاطئة. وكلما كانت الروح قد استوفت مسبقاً مستلزمات الميت من غسل وتكفين وطهارة وما إلى ذلك من شعائر دينية لازمة. ويرافق الروح مخلص (فاروقا) ليحرر هذه الروح التي تخضع لقرار يصدره الملك (أباثر) الموكل بالميزان قبل أن يقودنا دليل عبر المسالك الخطرة ثم الدخول بها إلى عالم النور عبر المسالك الخطرة حيث تتسلم كساءً نورانياً وإكليلاً وبذلك تعود الروح إلى عالم النور.

يبدو لنا شكل الرحلة هذه نموذجاً غنوصياً هرمسياً لرحلة الروح بعد الموت وهذا يشير بصراحة إلى الدور الكبير الذي لعبته العقائد الغنوصية والهرمسية في إعادة صياغة المندائية إعادة جذرية أكثر من أي مؤثر خارجي آخر.

تحت هذه الصورة تكمن البذرة السومرية التي ترى بأن الإنسان عندما يموت تذهب روحه إلى العالم الآخر وتجتاز هذه الروح بوابات العالم الأسفل السبع ثم نهر العالم الأسفل ثم تذهب إلى مستقرها في قاع العالم الأسفل. الأمر الذي لا يشير له الدين السومري هو مسألة الحساب (العقاب والثواب) بسبب أعمال الدنيا، ويعزون مكانة الروح ومصيرها إلى جانب أكدت عليه الديانة المندائية وهو طقوس دفن الميت، فإذا كان الدفن أصولياً فإنَّ الروح سترتاح في عالمها ذاك وإذا كان غير أصولي فإنّها ستكون قلقة وستضطرب وتخرج خارج القبر

وتكون مؤذية لسكان العالم الأعلى وقد اصطلحوا على اسم هذه الروح اسم (Gidim كدم) وهي مشتقة من الكلمة السومرية (آدم Idim) التي تدل على الشقاء وتكتب بالعلامة المسمارية التي تعني أمات أو موت، ويرتبط مع هذه الكلمة في النصوص القديمة ما يشير إلى أنها ترتبط بأشكال حيوانية مثل حمار الوحش أو الجمل أو.. إلخ وهذا أيضاً يتطابق مع الفكرة المندائية عن تدرج الروح الخاطئة في المطهر وتناسخها بأشكال متدنية حيوانية في الغالب حتى وصولها حرة إلى عالم الأنوار.

لا تذهب الروح في الدين السومري إلى الجنة أو النار أو عالم الأنوار أو عالم الظلام بل تبقى حبيسة إلى الأبد في القبر أو العالم الأسفل، وإذا كان الصابئة يذكرون أربعة عوالم أخروية هي (عالم النور – آلمي دنهورا، عالم الظلام- آلمي دهشوخا، عالم المطهر- مطراثا، عالم العهد- مشوني كشطة) وهذا الأخير هو العالم المثالي أو موطن الإنسان السماوي، وفيه مخلوقات وأشياء سماوية تقابل بل تشابه بالضبط ما على الأرض، ويكون موقعها في الشمال من الكون حيث يقع عالم النور. ويشبه هذا العالم ما تحدثت به بعض النظريات العلمية لعالم أسمته العالم المضاد للمادة Antimaterial.

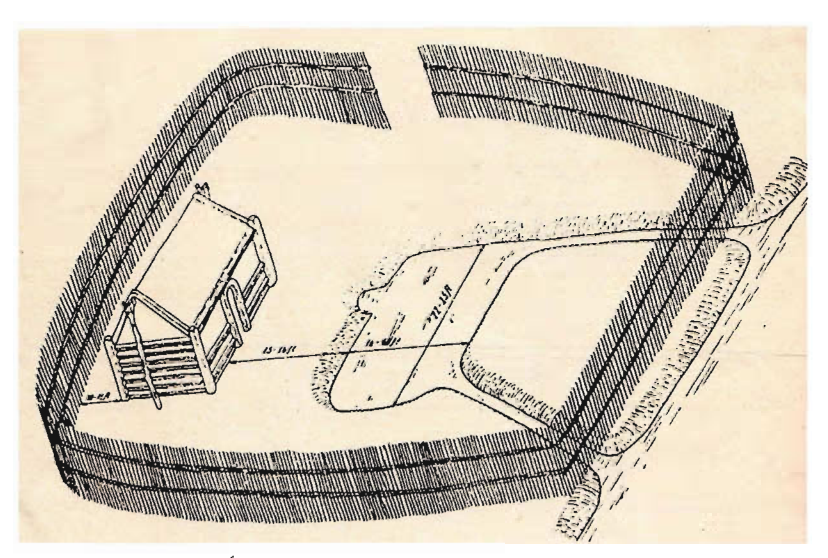
في التراث السومري هناك أيضاً أربعة عوالم هي (عالم الأنوناكي والإيجيجي وهي عوالم إلهية تسكن فيها الآلهة فقط، ودلمون، وهي الجنة السومرية التي فيها الخلود، وأدنو أو أدن وهي أرض السهل الخضراء الجميلة ومنها اشتق العبريون اسم عدن أو جنة عدن، وأخيراً

العالم الأسفل الذي له عدة أسماء منها (كيكال) أي الأرض العظيمة وهي عالم الموت).. والسؤال الذي نطرحه هنا هل أخذت المندائية هذه العوالم الأربعة من السومرية ثم أعطتها وظائف أخرى (خصوصاً الثلاثة الأولى منها) لعل هذه الوظائف أتت من الغنوصية. أيضاً ولا بد أن نشير هنا إلى أنَّ هناك ملامح متشابهة في بعض عقائد ما بعد الموت المندائية والمصرية القديمة خصوصاً العقاب والثواب.

ثالثاً: المؤسسة الدينية

1. المعبد السومري والمعبد المندائي

للمؤسسة الدينية مظهران أساسيان هما مكان العبادة ورجال الدين، **فمكان العبادة المندائية هو المندي (الذي كان يسمى قديما مشكنا أي المسكن) حيث يتكون الشكل القديم للمندي من كوخ** بسيط من القصب والبواري المطلية بالطين.. ونلاحظ بأن صورة أقدم معبد سومري ظهرت على أختام أسطوانية في الوركاء حوالي **3000** **ق.م تشبه بل تطابق تماماً شكل المندي الذي وصفناه والذي كان سائداً إلى بداية هذا القرن.**



نموذج للمندي يبين سوره المصنوع من القصب والبردي وبركة الأبسو التي يوخذ ماؤها من النهر الجاري وهي بركة التعميد

ويدل وجود زورق أمام المعبد السومري على هذا الختم الأسطواني على أنه موجود قرب نهر، وكذلك وجود راية أنانا القصبية ذات الحلقات الست وراء وخلف المعبد، وهي تذكر براية الدرفش التي تنصب في المندي عند إقامة الطقوس. ويحاط المندي بسياج قصبي وطيني وكذلك المعبد السومري.

إن اسم المندي أيضاً يذكر بالاسم السومري (ما-دا) الذي يعني بالسومرية الأرض أو السكن وكذلك يسمى المندي (مشكنه) أي المسكن وهي كلمة سومرية بابلية تدل على نفس المعنى.

وتذكر صورة الإله إنكي وإيا السومرية والبابلية، وهو إله الماء وهو يجلس في كوخه بمياه الأعماق وفروع الأنهار الخارجة منه بشكل المندي ونضيف لذلك كله حوض الأبسو وهو حوض التعميد في الدينين السومري والمندائي.

2. رجال الدين عند السومريين والمندائيين

أما الكهنة فدرجاتهم عند المندائية هي خمس:

1. الحلالي: وهو الكاهن المبتدئ
2. الترميذا: وهو التلميذ الذي عرف أصول الدين ويمارس بعض الطقوس المختصة.
3. الكنزفرا: وهو الأستاذ الذي يعلم أصول الدين والحافظ لكتاب الكنزا.

4. الـ(ريش إمّه) وهو رئيس الأمة. والوصول إلى هذه الدرجة أمر صعب جداً ولا يوجد من يشغل هذه الدرجة في أغلب الأحيان.

5. الرباني: وهو درجة شبه مستحيلة والوصول إليها أمر مثالي.

وهناك ما يشبه هذا التقسيم في السومرية وهو كما يلي:

1. الكهنة العاديون.

2. كهنة الدرجة الثانية المختصون وهم على أنواع منهم المطهّر، والمعزم، والمعمّد (واسمه رامكو) والنادب والمنشد..إلخ

3. كهنة الدرجة الخاصة وهم كهنة طقوس الأسرار المقدسة (البارو أو العراف، الشائيلو أو مفسر الأحلام، الزاكيكو.. وغيرهم).

4. كهنة الدرجة الأولى ومنهم الماخ أو الرئيس والشانكو وهو رئيس الكهنة.

5. الإين: وهو الحبر الأعظم والذي كان يشغل دور الملك أيضاً وقد انقرضت هذه الدرجة وأصبحت أمراً مستحيلاً.

إنَّ هناك تشابهاً واضحاً في النظامين الكهنوتيين السومري والمندائي، وكان الكهنة السومريون في البداية عراة ولكنهم ارتدوا الرداء الأبيض كما هو حال الكهنة المندائيين، ولم تكن الكهنوتية وراثية إلا عند كهنة البارو أو العرافين السومريين وهم الذين يتّصلون بإله الشمس والإله أدد، وكهنة (الكنزفرا) عند الصابئة يتداولون الكهانة بالوراثة أيضاً.

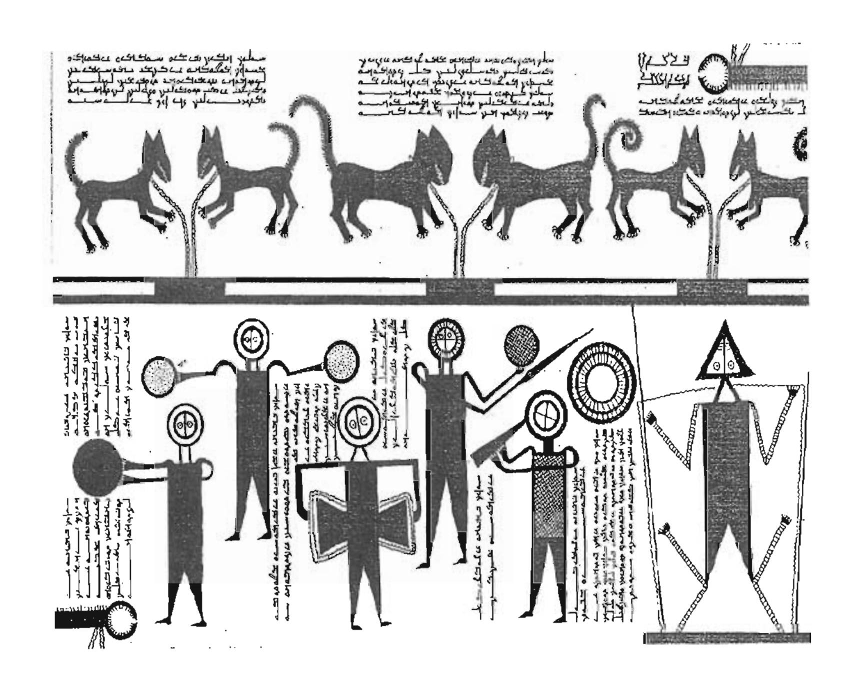
وكان من الكهنة من هو متخصص ببيت الوضوء (بيت رمقي) وهو حوض ماء ووضوء ويسمى كاهنهُ رامكو، وهذا الحوض يشبه التعميد المندائي.

وكان هناك كاهنات في الدين السومري.. ويذكر التاريخ أن في الديانة المندائية كاهنات وصلن إلى درجة الكنزفرا ويذكر كتاب الكنزا كاهنات رغم أن لا وجود لهن حالياً. وهناك الكثير من النقاط المشتركة بين طقوس تكريس وتدرج الكهنة في مراتبهم في الديانتين والتي تسود بها أرقام (36،60) وهي أرقام سومرية كما هو معروف في النظام الستيني وهي ما تحتاج إلى بحث خاص.

وما دمنا في دائرة احتمالات الكشف عن الأصل القديم لكلمة (ص.ب.أ) فنستطيع أن نضيف احتمالاً آخر هنا من خلال المقارنة بين هذه الكلمة واسم نوع من الكهنة عرفوا بالاسم البابلي (أشيبو) ولعلها تعود إلى أصل سومري هو (أصيبو) أو (أسيبو) ولا نستبعد أن تكون هذه الكلمة قد تسربت من البابلية القديمة إلى الآرامية، فهم معزمون وطاردوا أرواح وأطباء روحانيّين وكانوا يمارسون السحر الأبيض وأغلب الظن أنهم شكلوا نِحلة سرية حافظت على أصول الدين القديم، ومما يعزز ذلك أنَّ هؤلاء الكهنة يعتبرون الكهنة الخاصين بالإله أنكي أو ايا إله الماء الذي هو إله السحر والطب والحكمة أيضاً وهو الإله الذي له علاقة بالأبسو الذي تحدثنا عنه.

الفصل الثالث

المقارنة بين الأساطير الناصورائية والسومرية



كائنات من عالم الظلا م من مخطوطة (ديوان أباثر)

الأسطورة هي الحكاية المقدسة والتي يكون مركزها إله أو شبه إله وتتميز موضوعاتها بالجدية والشمولية فهي تدور حول المسائل الكبرى كالخلق والتكوين وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر وغيرها ولا يعرف للأسطورة مؤلف معين بل هي نتاج خيال وتأملات جماعية، وترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتتشابك مع معتقدات ذلك النظام وطقوسه المؤسسة، وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار النظام الذي تنتمي إليه، وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيه بالأسطورة، مثل الحكاية الخرافية والقصة البطو لية، وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية"(السوّاح 1996: 58).

يمكننا القول أن الدين السومري عندما فقد نظامه الروحي وتحول، مع الزمن، إلى أديان أخرى منها المندائية انحلت عناصره الأسطورية وتحولت وأعيد صياغتها في حكايات وخرافات شعبية.. فكيف سنستطيع البحث عن المنظومة المثولوجية السومرية وسط الانهيارات القدسية هذه وتحولها إلى فولكلوريات متداولة؟ لكن عزاءنا أن الأسس المثولوجية ظلت باقية ويمكن التشبث بها.

1. الثيوغونيا

(خلق الآلهة)

يختلف الدين المندائي عن الدين السومري بأنه دين توحيدي ، ولا بد من التأكيد أن شكل هذا التوحيد غنوصيّ ، وهو أقدم أشكال التوحيد ، والتوحيد الغنوصي توحيد باطنيّ يختلف عن التوحيد الظاهري المعروف في أمور كثيرة منها غياب الوحي، وفي أن الإيمان بالله يتم عن طريق المعرفة أو العرفان(الغنوص) وهي الـ (مندا) في المندائية ، أي أن الوصول للتوحيد ينكشف في القلب مثل ومض نوراني سببه هو تعرّف الروح في الجسد البشري على أصلها النوراني الهابط من عالم النور، وهذا شكل نوعيّ للوحي سبق الوحي التقليدي الذي يتم من خلال نزول الملاك على نبيّ معين يوصل رسالة الوحي للمؤمنين المؤمن في المندائية لا يحتاج إلى وسيط يعرفه بأصل الروح بل إن الروح تكشف أصلها القادم من عالم النور عن طريق امتناعها عن المحرمات والغرائز الجسدية وعن طريق التعميد (طماشا) بالماء الجاري الذي له صلة بالخالق وبعالم النور.

كانت هناك نزعة توحيدية (monothesim) في الدين السومري ، رغم كونه ديناً متعدد الآلهة ، حيث تتجلى هذه النزعة في عبادة إله واحد أسموه (لوكال- ديمير- آن- كي-) وترجمته الحرفية هي (ملك آلهة المافوق والماتحت) أي (رب السماوات والأرض).

وكان المندائيون يسمونه (هيّي ربي) أي (الحيّ العظيم). ومن اللافت للانتباه أنَّ السومريين والمندائيين لم يسمّوا هذا الإله باسمٍ وإنما عبروا بذلك عن اسمه بالصفات.

أما النزعة التفريدية (henothesim) وهي جعل أحد الآلهة أهم من غيره من الآلهة فقد تجلت عند السومريين في جعلهم إلههم القومي (إنليل) إله الهواء ملك الآلهة والذي نرجّح أن يكون هو بطل أسطورة الخليقة السومرية المفقودة حاليا كنص متكامل، لكن هناك ما يشير لها في الكثير من مقدمات الأساطير السومرية ، ونرى أنَّ مثل هذا التحديد يتناسب، إلى حد كبير، مع المندائيين في جعل الملاك الكبير (مندإد هيّي) الملاك الأكبر بين الملائكة العظام المسؤولين عن الخليقة بأمر من الحيّ العظيم.

يحتوي مجمع الآلهة السومري (3000- 4000) إلهاً ابتداءً من الإلهة الأولى (نمّو) أم الخليقة. وإذا ما حاولنا توزيع الآلهة في ترتيب كوزمولوجي فسنقول أن هناك متشابهات كثيرة بين الآلهة السومرية والأُثري أو الملائكة المندائية. فالإله (انليل) وهو إله الهواء، يشبه في وظيفته (ايرا) الذي هو الأثير والهواء، والفرات ويقابله (يردنا) وقد خرج أصلاً من مياه الأعماق السومرية (ابسو) التي يقابلها (يوهرا) أو (يورا) و(نطفتا) أي النطفة وهما جوهر المياه والنور.

أما إله الشمس (أوتو) فيقابله (شامش) المندائي، والقمر (ننار) أو (سين) يقابله (سين)، والزهرة (إنانا) تقابلها (دلبات) وهو لقب سومري من ألقاب (إنانا). أما آلهة العالم الأسفل فنجد (نركال) ملك العالم

الأسفل وقد تحول إلى (نركول، نرغول) في المندائية وهو اسم كوكب المريخ. أما (إريشكيكال) ملكة العالم الأسفل فلم نجد لها مقابلاً في التراث المندائي سوى الصورة السلبية لإنانا أو دلبات في المثولوجيا المندائية. أما على صعيد اللفظ فيمكن القول بأن (قيقل) الشرير أو (كيكل) الذي يذكر في كتاب حران كوثيا.

أما شياطين العالم الأسفل فهي كثيرة في المثولوجيا السومرية أشهرهم الـ(كالو) ويقابلهم في المندائية (الملاخي). وهناك تشابهات واضحة جداً بين كائنات مندائية وآلهة وشياطين سومرية سنحاول كشف القرائن اللغوية والمضمونية المشتركة بينها:

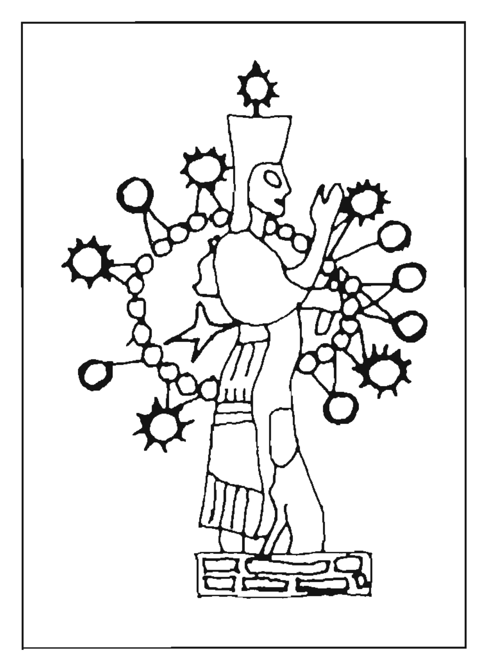
1. الكائنات المزدوجة أو الثنائية النورانية أو الظلامية مثل (أدثان ويدثان، أطرفان ولوفان، شلماي وندباي، ارهوم وياهور، يوفين ويوفانين، هاج وماج، كانفان وكافان، فلفين وفيفين وغيرها) هذه الكائنات هي في معظمها مزدوجات ذكرية وأنثوية ونجد منها الكثير في التراث المندائي ، وجميعها حراس إما في عالم النور أو في عالم الظلام. وحقيقة الأمر أنهم يرجعون إلى آلهة العالم الأسفل. ونشير بشكل خاص إلى إلهين حارسين سومريين نجدهما مرة في العالم العلوي ومرة في العالم السفلي مترافقين وهما الإلهان دموزي وننكشزيدا ، ففي أسطورة (آدابا) نلاحظ وجودهما كحارسين في السماء السابعة حيث الإله آن. وهما دائما الوجود في العالم الأسفل ويمثل ننكشزيدا إله الطب ورمزه الأفعى.

2. آدم المندائي ويقابله ادابا السومري. وكلمة آدم السومرية تعني الرجل الذي سكن السهل. وآدم تعني أيضاً الشقي أو الذي يموت، وسنتحدث مفصلاً عن وجودهما في الديانتين.

3. (هوّا) المندائية ويقابلها حواء العبرية وهي من أصل سومري فهي الإلهة التي تحيي واسمها (تي) الذي يعني الضلع أيضاً ومن هنا جاء الالتباس العبري الذي جعل منشأ حواء من ضلع آدم.

4. (أماميت) المندائية وهي أنثى من عالم الجحيم، هي اسم لـ(دلبات) أي (عشتار) وكنية لـ(الروهة) الروح الانثوية الشريرة وتقابلها بالسومرية الإلهة مامي وهي الإلهة الأم ننخرساج.

5. إنانا المندائية وهي من الكائنات الأنثوية العظيمة وتعني (سحابة، غيمة) وامرأة أو زوجة أو بنت وهي تقابل إنانا السومرية وهي إلهة الحب والجمال وأعظم تعبير عن الآلهة المؤنثة وهي ملكة السماء وتشير إلى كوكب الزهرة ولها صفات حربية أيضاً.



إنانا السومرية (الزُهرة) سيدة الكواكب
http://gnosticanthrop.narod.ru/

6. آنوش في المندائية كائن نوراني سماوي معناه (الرجل الصالح) وهو أحد الملائكة الثلاثة (شيتل، هيبل، انوش) ولم نعثر على مقابل دقيق له في السومرية لكننا عثرنا على معبد للإله ديموزي اسمه (اموش) ودموزي الإله أو الملك أو الإنسان كان علامة مميزة في سومر.

7. جاف (كاف) وهو أحد عمالقة الظلام الساكن في العالم الثالث من عوالم الظلام ويوصف بأنه أب (أور) ورفيقه (كافان) وهما جبارا عالم الظلام. وأرجّح أن أصلهما السومري هو (كور) الساكن في العالم المظلم الأسفل.

8. دموث هيّي: مصطلح أنثوي يلعب دوراً هاماً في عملية التكوين وهو بمعنى (مثيل الحياة) أو (نموذج الحياة) وهناك إشارة إلى أنها انبثقت من السر العظيم وهي (أم كل العوالم) والكائنات الروحية وهي أم (يوشامن: الحي الثاني) واسم ديني (ملواشة) للمرأة بصورة عامة، نموذج الحياة الذي تكون من (ديمة) أو ضباب الحياة. ونلمح في السومرية دامو الحي الذي يمثل إله النسغ الذي يصعد في سيقان النباتات وهو ابن إنانا ودموزي ويوصف بأنه أيضاً ابن الإله ننجشزيدا ونينازيمدا وهو يسكن العالم الأسفل.

9. يوربا: وهو حافظ الأعراف ويوصف بأنه محارب. وفي السومرية هناك الـ(راب) وهو السيد أو الرب.

10. مانا: كائن نوراني مذكر ويأتي كفعل بمعنى لاح، وفي السومرية فان (مين) هو أحد أسماء الشمس (أوتو).

11. سار: كائن أثري يكون زوجاً مع سروان، الاثنان في السحب ومثله سور الذي يعني الجبل الأبيض العظيم. وفي السومرية فأن (سار) هي الدورة الكونية الكبرى ومنها أخذ اليونان فكرة الساروس الفلكية وتأتي بالسومرية أيضاً بمعنى الملك.

12. سمقاق: مؤنث الينبوع، بئر، منطقة في العالم الأسفل وهي ابنة (هيبل وزهرئيل) وتأتي أيضاً كنيةً لـ(قين) أما في السومرية فإن سموقان أو شاكان هو إله الماعز والغزلان والحيوانات البرية وهو إله الصيادين.

13. أور: وهو المارد والأفعى قائد جيوش الظلام ويسمى بالمحارب العملاق، المارد، الأفعى، التنين وهو ابن الروهة التي هي أم جميع الكائنات الشريرة. ونظن أنه مشتق من الإلهة السومرية الأم (أورورو) وربما تكون له صلة بالإله الظلامي (كور).



قتل التنين كور

14. إيل: وهو الإله أو الرب وأصلها السومري هو (دنكر) الذي لفظه الساميون (إيل) وأغلب الظن أن (إيل) السامية أصلها سومري مأخوذ من (ليل) التي تعني الروح أو الهواء أو الحركة.

15. قين (كين): وهي ملكة الظلام، أم الأشرار الشياطين المردة وكذلك هي أم الروهة، زوجها يدعى أناثان وهما جبارا الظلام وتسمى أم جميع عوالم الظلام، ولا شك أنَّ كين هي تحوير عن الآلهة السومرية (كي) التي هي الأرض وهي أم جميع الآلهة وأحد أسمائها أو بناتها هي أورورو أي الروهة في الصابئية.

16. شهرات: اسم سحابة أو غيمة وهذا اسم يدل على (إنانا) وقد وردت في النص المندائي (هديا بشهرات إنانا) وتعني (نبتهج بسحابة شهرات) وفي السومرية تعني شهر أو شار الملكة وهي في الغالب الإلهة انانا أيضاً.

17. شار اسم مخلوق سماوي وهو الكرمة العظيمة الخفية الأولى، وهو يسكن عند منابع الأنهار في مصب المنخفظين، وهناك إشارة أخرى إلى أنه كنية لـ(هيبل). وفي السومرية نجد الشار أي الملكة وكذلك (شارا) إلهة الزواج المرتبطة بالخصوبة وبالإلهة انانا.

18. شدوم: من الكائنات الشريرة وهو حفيد الظلام وأحد أحكام وقوانين العالم الأسفل، وفي السومرية هناك (شيدو) وهو الروح الحارس لأرواح الموتى وكذلك الملاك الحامي. وقد صوره السومريون

أولاً بصفة حيوان مجنح في منحوتات صغيرة ثم وضعه الآشوريون بصفة ثور مجنح برأس بشري ووضعت تماثيله على أبواب المعابد والقصور.

19. أدوناي: وهو ملك الظلام الذي يرافق شامش في مركبه ويكون مسؤولاً عن الضرر الذي تحدثه أشعة الشمس، ومن عينيه تتدلع أشعة تلفح وتحرق ويسبب طلوعه الزوابع الهوائية، وفي السومرية يرد أدون بمعنى السيد وهو اصطلاح دلّ لاحقاً على الإله دموزي الذي سمي أدونيس وأدوناي بالعبرية تأخذ معنى السيد والرب والجندي.

20. تموز: كائن مطراثي في المطهر يذهب إلى بيته سكان هذا العالم المطراثي ويقيمون (28) يوماً يجزون الأغنام ويشربون ويخبزون ويندبون في بيت دلبات، ونلاحظ أنَّ عناصر الحكاية السومرية لدموزي واضحة في هذا التعريف لأنَّ دموزي يسكن نصف حياته في العالم الأعلى ونصفه الآخر في العالم الأسفل وكأنه يبدو معلقاً بينها وهو ما يقابل المطهر أو المطراثي ونجده في السماء حارساً لبوابتها ثم إن الندب عليه في بيت دلبات وهي انانا يشير على أصله السومري.

سأكتفي بهذا القدر من المقارنة بين كائنات المثولوجيا الصابئية والسومرية إضافة إلى ما ذكر سابقاً.



تموز (ديموزي)

ورمزه النخلة ومعه إنانا حبيبته

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Enlil.gif



أرشكيكال(إلهة العالم الأسفل)

http://www.myspace.com/etherealhiphop

2. الكوزموغونيا

(خلق الكون)

لا تسعفنا المدونات السومرية بأسطورة خاصة عن خلق الكون ولكننا نعرف من مقدمات القصائد والأساطير الأخرى أنّ الكون فى نظر السومريين ظهر من الإلهة السومرية الأم الأولى (نمو Nammu) وهى إلهة هيولية تحركت فيها إرادة الخلق وتصارعت الحركة مع السكون ونتج عن ذلك تكون الكون (أن – كى) الذي يعني (السماء – الأرض) وهو جبل كوني يعوم وسط مياه (نمو).

وكان السومريون يسمون الزمان الأول الذي بدأ فيه الخلق أوريا (Uria) وهذا يعنى أن ثلاثي الخلق الأول عند السومريين كان مكملاً لبعضه حيث المادة الأولى (نمو) والزمان الأول (أوريا) والمكان الأول (أن – كى)... وبهذا الثالوث التكوينى يتحرك الوجود كلّه وتصير استعادته الدائمة فى الطقوس والشعائر الدينية محور هذه الطقوس.

إنّ (نمو) تمثل العماء (كاؤس Chaos) أما (أن – كى) فيمثل الكون (كوسموس Cosmose) وزمن الانتقال من العماء إلى الكون هو الزمن الأول (أوريا).

وكانت أعياد رأس السنة السومرية تمثل محاولة لاستعادة الزمن الأول (أوريا) ولذلك كانت هذه الأعياد تتضمن استعادة قصة الخليقة من جديد بل وتتضمن ما يشير إلى الخروج من العماء إلى الكون عن طريق عودة العالم إلى الفوضى ثم تدرجه إلى النظام.

وكذلك كان بناء المعابد وتمثيلها بالجبال الكونية وإطلاق تسمية (صلة بين الأرض والسماء) عليها تعني استعادة خلق المكان الأول. وكانت الزقورات

السومرية إحياء لهذا الجبل الكوني (أن – كى) وقد كان ينظر إليها السومريون على انها مركز العالم وسرة الكون. إن مصطلح (دور – أن – كى) الذي كان يشير إلى زقورات نفر ولارسا وأور وغيرها، كان يمثل هذا التوجه تماما وكانت المعابد تبنى فى الغالب قرب أو فوق المياه تمثلا للحظة الخليقة الأولى واستعادة لها (انظر الياد 1999: 37).

وتستكمل عملية الخلق نفسها عندما يمثل (أن) السماء و(كى) الأرض فى الجبل الكونى (أن – كى) وهما فى وضع مضاجعة والتصاق حيث يكون (أن) العنصر الذكري و(كي) العنصر الانثوي، وينشأ عن ذلك ولدهما (إنليل) ومعناه (سيد الهواء) الذي يولد بينهما ويكبر حتى يقوم بفصلهما تماما حيث يرتفع الإله (أن) إله السماء إلى الأعلى وتنخفض الإلهة (كي) إلهة الأرض إلى الاسفل.

ثم يقوم الإله (آن) بإخصاب الإلهة (كي) من جديد عن طريق المطر الذى يساهم فى تحريكه الهواء. وينتج عن ذلك ولادة الإله (إنكي) وهو إله الماء الذي سيملأ الأرض ويصبح أيضا إله الأرض مع الإلهة (كي).

وبولادة هؤلاء الآلهة الأربعة يكون الكون بمعناه البدئى قد اكتمل حيث تميز الآلهة (أن، كى، إنليل، إنكى) وأصبح كل منهم إلهاً لواحد من أوجه الطبيعة الأربعة (السماء، الأرض، الهواء، الماء) وهي العناصر الأساسية الأربعة للكون كلّه.

وهكذا يستمر انتظام الكون بتفاصيله حيث يظهر الكون السومري في النهاية طافيا أو سابحا فوق بحر هيولي من الماء تمثله الإلهة السومرية الأم (نمو). أما الكون نفسه فيتكون من خمسة أقسام أساسية هي:

1. العالم الأعلى (Anunna) وهو الفضاء الذي يعلو السماء حيث تسكن الإلهة فى مقرها الذى يسمى بـ(أنونا) الذى يعني بالسومرية (بذور الحياة الأميرية) ويصعب تفسيره ولكنه يشير إلى جموع الآلهة في السماء والأرض.

ويعتقد أنَّ هذا الاسم هو أصل تسمية (أنوناكي) الأكدية التي حصرت به آلهة العالم الأراضي، ثم العالم الأسفل و(ايجيجى) الذين يمثلون آلهة السماء. أى أن ال (أنونا) السومري كان يضمهما معا (انظر اذزارد 1987 71).

2. السماء (An) وهى سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض الذي تحتها ويرى السومريون أنها كانت مكونة من مادة القصدير لأنَّ معنى كلمة قصدير بالسومرية هو(معدن السماء) (انظر كريمر ب.ت: 149).

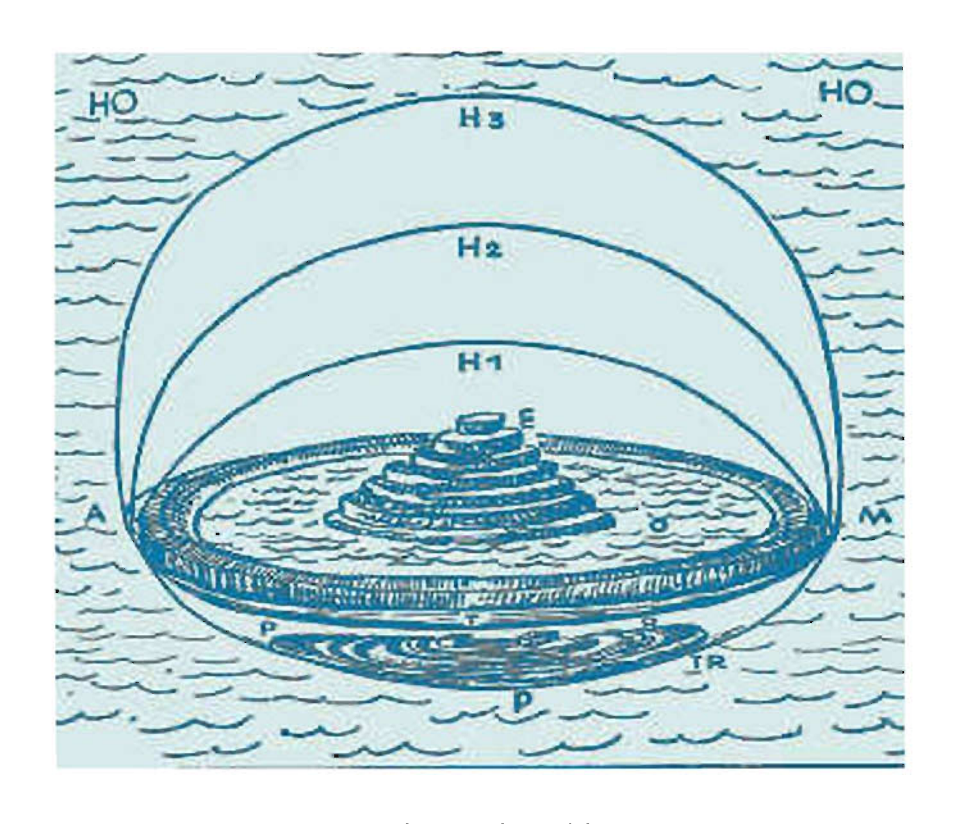
3. الفضاء (ليل Lil) وهو الفراغ بين السماء والأرض والذي يمتلئ بمادة اسمها (ليل) أي الهواء والتي تدل على الظلمة، كما أنّها تدل على النفس والروح. وتسبح في هذه المادة الكواكب والنجوم المكونة من نفس مادة الهواء إلا أنها مشرقة ومضيئة.

4. الأرض (كي Ki) وهي قرص مدور منبسط يطفو على محيط مائي حوله وتحته وكان السومريون يرون أن هذا المحيط المائي يمتد من الشمال مثل قوس مائي ويسمونه البحر الأعلى وهو البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب البحر الأسفل وهو الخليج العربي. أما البحر الذي تحت الأرض فهو البحر العميق ويسمى (أبسو) حيث يسكن الإله إنكى.

5. العالم الأسفل (كور Kur) وهو الفضاء الذي يقع تحت الأرض والابسو وتعيش فيه آلهة العالم السفلى وتسكنه أرواح الموتى من البشر على شكل طيور مترية ويتكون العالم الأسفل من نهر كبير يحيط به اسمه (خبر) ومن بوابات سبع، وهناك فى وسطه قصر الإلهة أريشكيكال والإله نركال.

يبدو شكل الكوزموس (الكون) السومري مثل كرة نصفها الأعلى هو السماء (آن) ونصفها الأسفل هو الأرض (كي)، وقد جعلهم هذا يسمون الكون باسم السماء- الأرض (آن- كي). والأرض عندهم ليست سوى قرص وقد شبهوه بالحصير المدور الملقى في النهر،

وكان هذا القرص محاطاً بمياه البحر الأبيض المتوسط (البحر الأعلى) والخليج العربي (البحر الأسفل).



مخطط للكون عند السومريين

http://www.edybevk.dds.nl/sleepwalkers/sleepwalkers%20tekst.htm

وكان يفصل العالم الأعلى أو السماء عن الأرض مادة سموها (ليل) أي الهواء أو النفس أو الروح، وكان من ميزاتها الحركة أو التمدد. أما السماء فكانت فيها الكواكب السبعة المعروفة وأبراجها الاثنا عشر. وكان العالم الأسفل عالماً مظلماً له سبعة أبواب أو طبقات

محكمة، وكان الماء أيضاً يفصل بين العالم الأسفل والأرض واسمه (ابسو) أي ماء الأعماق وكان كل هذا الكون محاطاً بمياهٍ هيولية أولى اسمها نمو أو نامو.

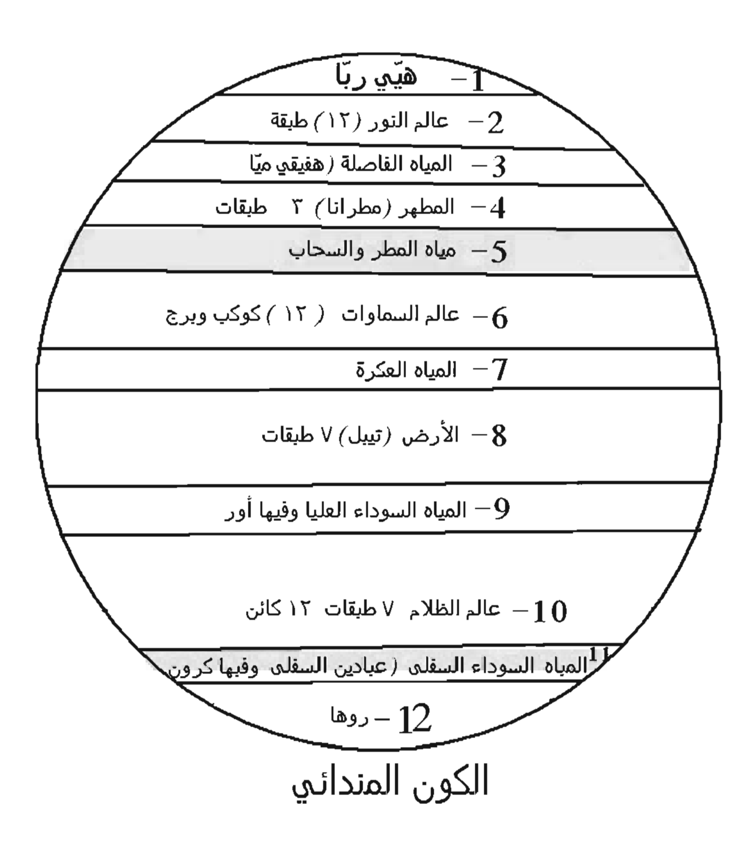
يتكون الكون المندائي من ثلاثة عوالم كبرى هي (عالم النور ، عالم الظلام عالم الأرض) ويتكون كلّ من هذه العوالم من أربعة عوالم أو حيوات أو مراحل، وهذا يعني أن هناك اثني عشر عالماً فرعياً، وقد شرحنا تفصيلياً مكونات كلّ عالم من هذه العوالم الفرعية بالتفصيل في كتابنا (المثولوجيا المندائية).

وفيما يلي مخطط عام للعوالم الرئيسية الثلاثة وللعوالم الفرعية الاثني عشر لها.

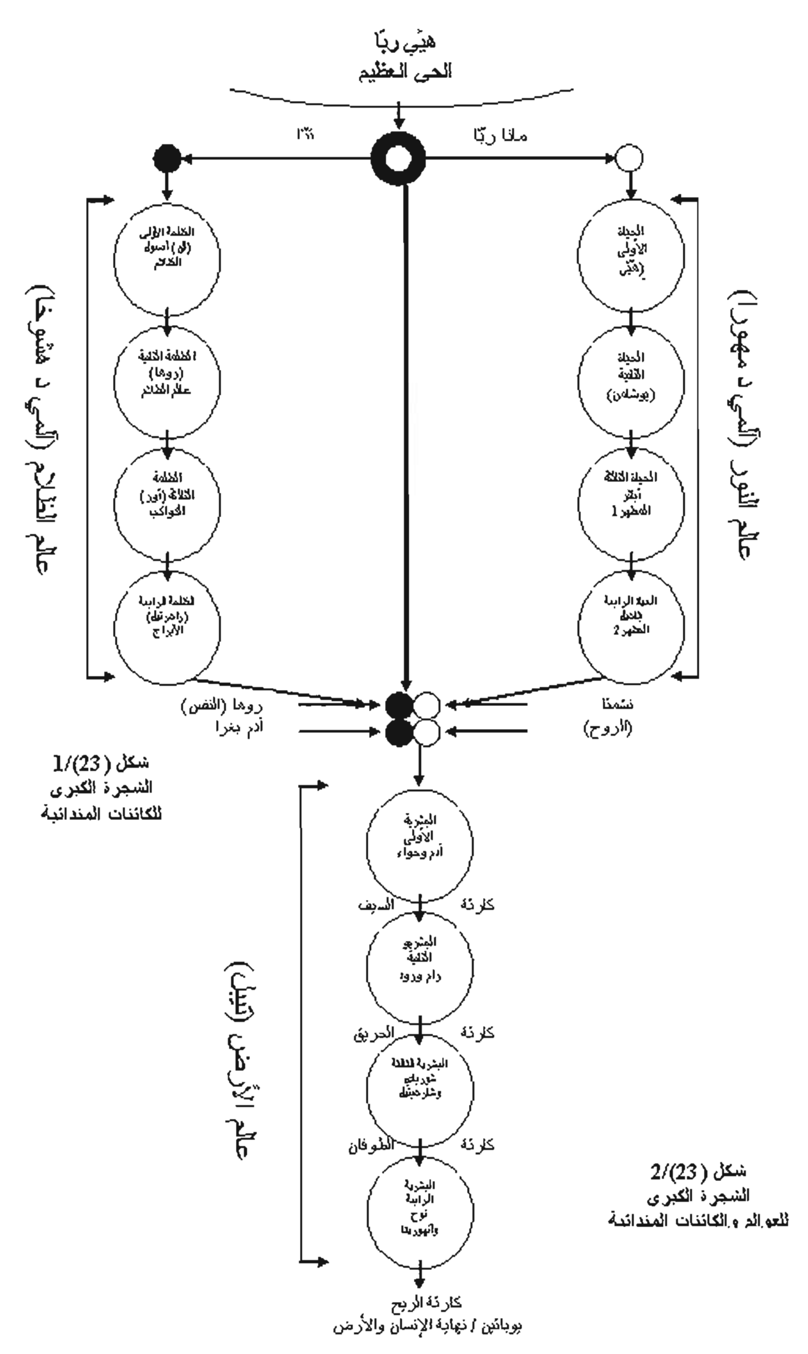
إن خلق عوالم النور والظلام والأرض والمياه في المثولوجيا المندائية لا تختلف في جوهرها عن مثيلاتها في المثولوجيا السومرية رغم وجود اختلاف في التفاصيل المندائية مثل ظهور الحي العظيم كعنصر توحيدي في خلق الكون والعالم وكذلك ظهور المانا وهو مفهوم عقلي غنوصي المنشأ.

الكون المندائي يتكون من نصف كرة العليا منها اسمها (آلمي دنهورا) أي عالم النور، والسفلى منها اسمها (آلمي دهشوخا) أي عالم الظلام والأرض التي تفصل بين العالمين اسمها (تيبل) ويحيط بها بحر الدنيا، وتنفصل الأرض عن العالم الأعلى والعالم الأسفل عن طريق العالم الوسيط (كمصا) وهو عالم الأثير الأبيض ويحتوي الكمصا الذي يفصل بين الأرض على عالم اسمه (هقيقي ميّا) أي المياه الفاصلة

أو عالم السلام. وتوجد في العالم الأعلى الكواكب السبعة والبروج الاثنا عشر، أمّا عالم الظلام فهو عالم مكون من سبع طبقات عالم الماء المسمى بـ(الأبسو) يقع تحت الأرض، بينما وضعته الكوزمولوجيا الصابئية فوق الأرض وأسمته بعالم السلام وأظنه يشير على الغيوم والأمطار.



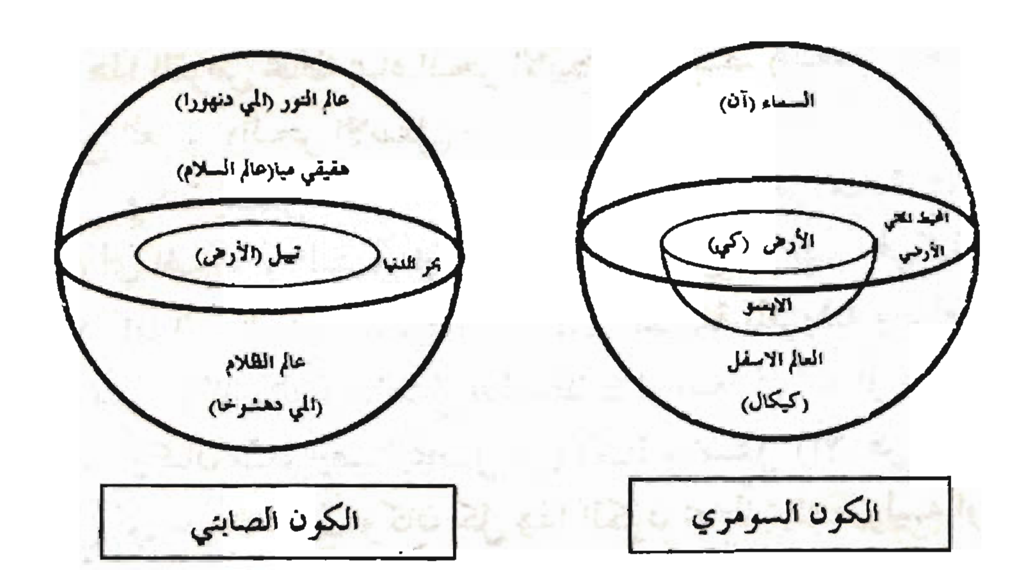
الكون المندائي



شكل (23)/1
الشجرة الكبرى
للكائنات المندائية

شكل (23)/2
الشجرة الكبرى
للعوالم والكائنات المندائية

عوالم النور والظلام والأرض ومكوناتها في الديانة المندائية


السماء (آن)
الأرضي
الأرض (كي)
الابسو
العالم الاسفل
(كيكال)
الكون السومري
عالم النور (المي دنهورا)
هقيقي ميا(عالم السلام)
تيبل (الأرض)
بحر الدنيا
عالم الظلام
(المي دهشوخا)
الكون الصابئي

3. الأنثروبوغونيا

(خلق الإنسان)

خلق الإنسان: هناك جوانب كثيرة مشتركة في الأسطورتين لعل أهمها أنّ الروهة وبثاهيل هما اللذان خلقا جسد آدم، وكذلك في الأسطورة السومرية أورورو وآنكي وقد خلقاه أيضاً في (بيت الحياة)، وقد كان هذا الإنسان الأول يعاني من عاهات ونقوص كثيرة فهو لا يأكل ولا يشرب وعقيم وشيخ.. إلخ وكذلك المثولوجيا المندائية فإن له وجه قرد وينطق نطق الخراف ثم يقوم هيبل زيوا بجلب الروح والنسمة له ويعلمه فنون الحياة.. وهكذا يفعل آنكي الذي يعلمه فنون الحياة ويرعاه بحكمته. وفي المثولوجيا السومرية أيضاً هناك ذكر لتشبيه الإنسان الأول بالحيوان وبأنه كان يشبه الخرفان في حياته وهو ما تؤكد عليه أسطورة (انشان). وكذلك نرى خلق حواء التي تلمح المثولوجيا المندائية إلى مقابلها السماوي وهي (انانا دنهورا) أي (انانا النورانية) وهذا يذكر بالإلهة انانا وكوكبها الزهرة من ناحية، وبالإلهة ننتي (سيدة الضلع) التي هي مصدر حواء العبرية وحواء المندائية.

لم يكن الإنسان، عند المندائيين، بشراً محضاً فهم يعتبرونه حاملاً للنسمة الإلهية (نشمتا) التي هي (مانا) عالم النور التي هبطت لتجعل الأرض من خلال الإنسان مكاناً للنور والحق والصلاح. وقد وضع اللاهوت ومن ثمّ المثولوجيا المندائية رسولاً من رُسل عالم النور (من السلالة الأدمية الأولى) في كلّ عصر من عصور الإنسان، وهو ما يجعلنا ننظّم هذه السلالة الثيوغونية كامتداد مشترك لعالمي النور والظلام على اعتبار أن روح الإنسان مصدرها عالم النور أما جسده (وروحه الضعيفة أو نفسه التي هي روها) فمن عالم الظلام.

لا يمكننا تجاوز هذه الحقيقة ولا يمكننا اعتبار سلسلة الإنسان سلسلة انثروبوغونية (خلق بشرية) فقط بل هي، من حيث السياق، سلسلة ثيوغونية أولاً، لكننا سنتناول أساطير خلقها في مبحث الانثروبوغونيا.

تتكون سلسلة ثيوغونيا الإنسان من أربع دوائر تمثل البشريات الأولى والثانية والثالثة والرابعة، لأن المندائيين يعتقدون أن هناك أربع دورات بشرية ظهرت منذ خلق الإنسان انتهت كلٌ منها بكارثة كبرى أدت إلى فناء الإنسان من على وجه الأرض وهذه الكوارث هي (السيف، الحريق، الطوفان، الريح) والدورة البشرية الأخيرة ما زالت تنتظر كارثة الريح حيث ستكون الأخيرة والأكبر لأنها ستؤدي إلى فناء الإنسان والأرض وبقاء عالمي النور والظلام فقط.

عند السومريين يسكن الجسد البشري (الذي هو من طين) روح هو عبارة عن دم الإله الذي ضحى به في أوزموا في نفّر، والدم هنا نظير الروح فهو الذي يذكره بأصله الإلهي.

المندائيون اختاروا أن يحل النور الإلهي (نشمثا) في جسد الطين الظلامي كحلّ من نوع آخر لكن المبدأ بقي واحداً.

آدم وحواء والأفعى بين الدين السومري والدين المندائي

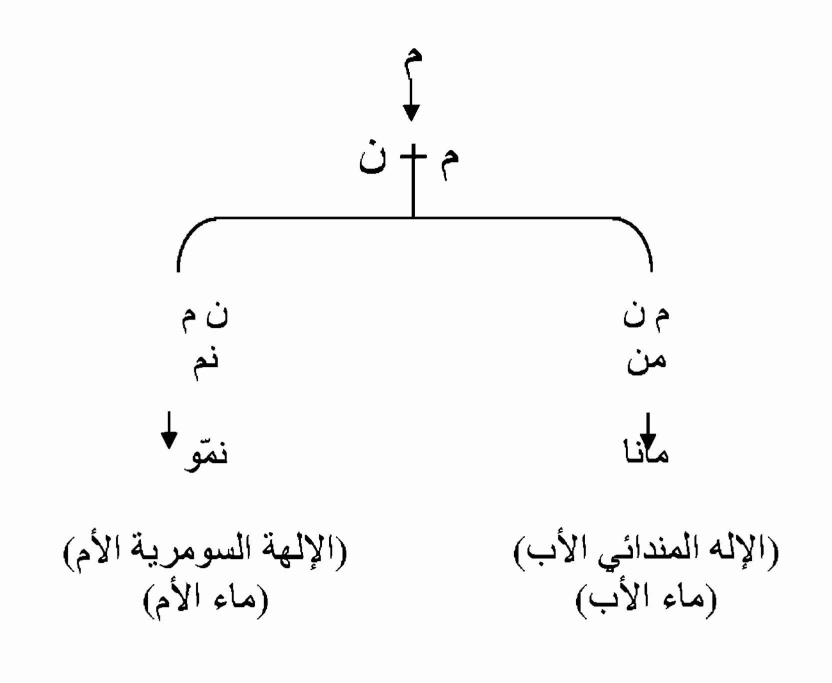
رسم لنا سفر التكوين في التوراة صورة أصبحت وكأنها أبدية عن آدم وحواء وخلق الإنسان أما جذور هذه الصورة وأصلها فقد أهملها الباحثون إما لأسباب دينية تخص قدسية هذه القصة الأسطورية أو لأسباب غير علمية تحاول أن تكرس الصورة التوراتية العبرية اليهودية كأصل واحد لا جذور له لقصة خليقة الإنسان.

الجذور السومرية والمندائية لهذه الأسطورة بادية للعيان ويمكن أن نلمحها بسهولة من خلال معرفتنا العميقة بأساطير هاتين الديانتين وجذرهما المشترك.

نعتقد أولاً أن أسطورة الخليقة البشرية موازية لمثيلتها الإلهية. ولذلك لا بد أن **نتحرى أولاً في الأسطورة الإلهية** وفي سلسلة الأنساب المناسبة لها.

كان الاسم الخفي للإلهة الأم في عصور النيوليث الرافديني هو (م) الذي **يدل على الأم.** وقد ساد هذا الاسم **في ثقافات الرافدين** الشمالية (جرمو، حسونة، الصوان، سامراء) وكان **مرتبطاً** بالخصب والأرض باعتبارهما مادة الزراعة الأولى. ولكن **الانقلاب** الذكوري الذي حصل في العصر الكالكوليتي (الحجري النحاسي) في حدود **5000** ق.م أزاح الإلهة الأم (م) عن مركزيتها

وأصبح عنصر الذكورة هو المركز. وكانت أهم تجليات الذكورة تكمن **في المطر والماء النازل من السماء والذي يتمثل في (ن) لكن هذا لا يعني اختفاءً كلياً لعنصر الأنوثة فقد التحق هذا بعنصر الذكورة وأصبح كما هو موضح في السلالة التي نذكرها هنا:**



تجسّد الانتصار الذكوري واضحاً في جذور الديانة المندائية الناصورائية في ظهور الإله (مانا) الذي يعبر عن الإله المندائي الأب الأول وهو ما سيبقى في هذه الديانة معبراً عن (الروح الكلي) أو روح عالم النور. أما الاحتمال الثاني فقد ظهر في (نمّو) وهي الإلهة السومرية الأم الأولى التي يعني اسمها (ماء الأم) فيما يعني اسم مانا (ماء الأب). وقد يعني ذلك فيما يعنيه رحم الأم وبيضتها ونطفة الأب.

أما التطور اللاحق فقد أظهر من (مانا) الذي هو الماء الهيولي الأول ماءً متميزاً يتكون من إلهين مائيين هما (هيّي) وهو (الحي) و(هيّا) وهو (الحيّة) ويمكن أن يكون اسمها (هيات). وقد جمعهما اسم واحد في المندائية هو (هييّ) وهو جمع حياة المذكر الذي يمكن أن نترجمه إلى (حيوات) أو (حيّون) كما نرى.

ولأن الانتصار الذكوري كان مستمراً في الديانة المندائية فأصبح (هيي) هو (هييّ) وأصبحت (هيا) مندغمة فيه من ناحية لكنها من ناحية أخرى أصبحت ما يعرف بال (صوثا) أو (الشكل الصوري المقابل) وهي الرفيقة أو الصاحبة أو الشريكة المناظرة وهكذا تكون مانا الأنثى (صوثا) وهو تطور لاحق في نظام اللاهوت المندائي في التسمية.

ويشكل هذا الانشطار الجنسي الشكلي لـ(مانا) أول شكل خلقي للذكورة والأنوثة في الدين المندائي والذي سيكون أصل التسمية اللاحقة لخلق البشر بشكل الرجل والمرأة.

لكن إشارة أخرى قد تمنحنا مغزىً كبيراً كنا نظنهُ ، وهو أن (هييّ) اتخذ له صورة النور (وهو النور الأصفر القمري الطابع) فهو سيد عالم النور ويمكن أن تكون قرينته الأنثوية (صوثا) من جهةٍ دالةً على الماء الأنثوي (ربما يكون البحر !) خصوصاً أنه يمثل الماء العذب (ماء النهر) الجاري، لكنها يمكن أن تكون أيضاً (ضوء الشمس) المقابل لنور القمر.. وهو ما سنجده لاحقاً في

الشكل الأنثوي للشمس (شامش) واسم هذا الشكل الأنثوي (دموثا) هو (سيمات هييّ) التي هي (سمة الحياة) أو (كنز الحياة) ومنها ينبثق العالم. وهي المقابلة الأنثوية لـ(يارو زيوا) الكائن النوراني العظيم في عالم النور والذي هو (جوهر الضوء).

وهذا يتطابق كلياً مع فرضية سابقة كنا قد طرحناها وهي أن (آيا) زوجة (شمس) الأكدي قد تمثل المصدر الأنثوي الذي استوحاه المندائيون من الأكديين بسبب التطابق اللفظي أيضاً بين (هيا) و (آيا) وبذلك تكون (الحياة) قد حازت على صفة الضوء والماء معاً. مثلما حاز عليها (الحي) بصفتي النور والماء. وهذا يتطابق مع اللاهوت المندائي.

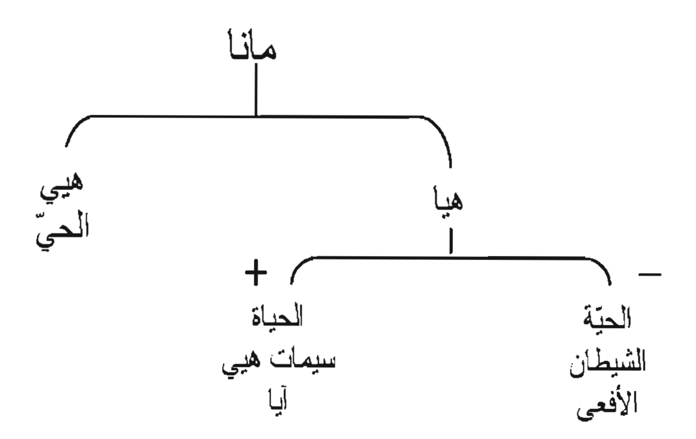
لكننا يجب أن نشير إلى جانب آخر قد يكون مفاجئاً للكثيرين وهو أن الإزاحة الذكورية للأنوثة الخصيبة الأمومية لم يكن شفافاً لهذه الدرجة فقد كان هناك جانب من القسوة سلكته الأديان الذكورية كلها حيال الإلهة الأم وأساطيرها. وكان أكثر أشكال القسوة . في أغلبها. يحيلها إلى الشر وعالم الظلام والعالم الأسفل ويصمها بالقِدم والرذيلة والموت أحياناً.

ولم تكن الديانة المندائية استثناءً من ذلك فإذا كان الجانب الإيجابي الذي رأيناه قد وضع الإلهة الأم (هيا) كصورة أنثوية شكلية قرينة بـ(هيي) فإن الجانب الإيجابي وضعها في عالم الظلام سيدة له وربما كان هناك احتمالات لوضعها هذا. فربما أطلق عليها لقباً جسّد ماضيها القديم كآلهة للأرض (إر) وعندما أصبح إسمها (إر – هيا) وهو الاحتمال الأكبر. وربما نسبت إلى مدينة أور العدوة اللدودة للمندائيين فسميت إلها أور (أور – هيا) وفي كلا الحالين تحول الاسم تدريجياً إلى (روها) التي هي سيدة عالم الظلام الذي سيقابل عالم النور عند المندائيين.

ولأن رمز الإلهة الأم الأكبر كان هو أفعى الأوربوروس الدائرية التي تضع ذيلها في فمها في محيط مائي هيوليّ.. لذلك بقي رمز اللاإعى أو الحيّة (هيا)

راسخاً كرمز لـ (روها) وكترميز لاحق للشيطان الذي يغوي المرأة ويتطابق معها.

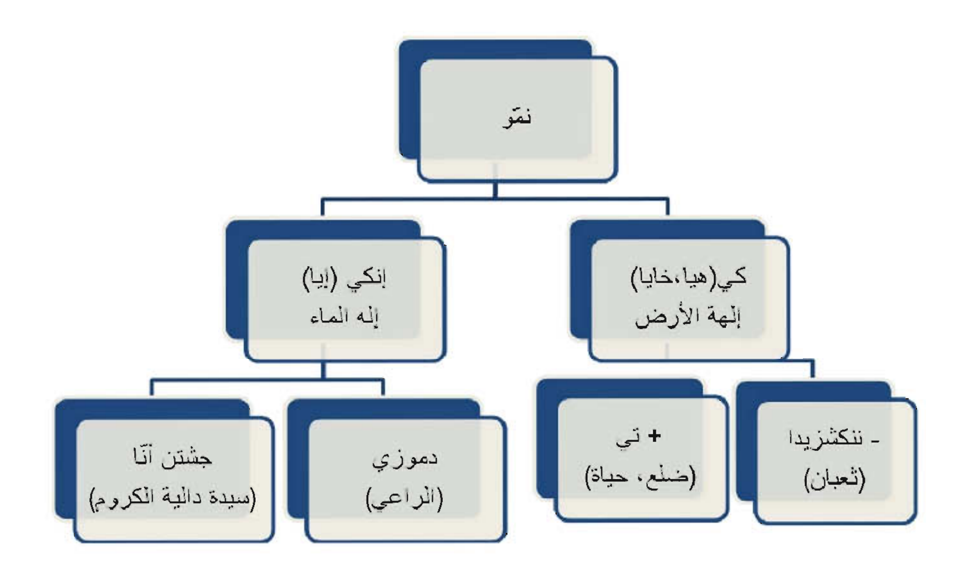
وسيكون هذا الاستنتاج مؤثراً على كلّ الأساطير اللاحقة وآخرها الأسطورة التوراتية كما سنرى.





آدم كاسيا (الخفي، النوراني) عند المندائيين

وفي المثولوجيا السومرية كان الوضع مختلفاً في الأسماء لكنه مطابقٌ في المضمون، فقد عرفنا الكثير عن الإلهة السومرية الأم الأولى (نمّو) وعن بعض أساطيرها وكانت تمثل إلهة البحر ورمزها الأوربوروس (الأفعى الدائرية). وصحيح أن **نمّو أنجبت كلّ نسل الآلهة السومرية الكبيرة لكنها تُذكر كأم لإله الماء والعرفان (إنكي) الذي هو نفسه (إيا) وكانت قرينته هي الإلهة (كي) التي كانت تسمى (هايا) أو (خايا) والتي ظلّ اسمها الأخير في أسطورة بابلية** قصيرةٍ عن الخليقة اسمها (أسطورة دنّو).

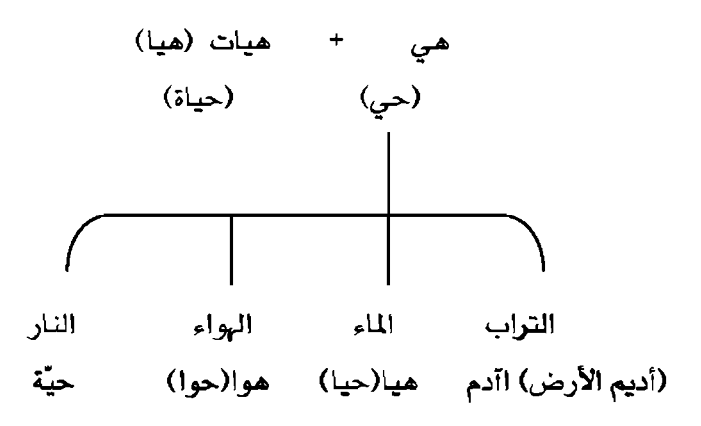


ومن هذين النموذجين المتطابقين تقريباً في الميثولوجيا المندائية والسومرية ظهرت فكرة خلق الإنسان على شكل الآلهة وعلى اسمها الذي هو رب الماء (إيا حي) بحيث تكونا زوجين مناظرين له ولقرينته. وقد صاغت المندائية هذه الصياغة الحاذقة وهي كما يلي:

هييّ + هيات (هيا)

حي حياة

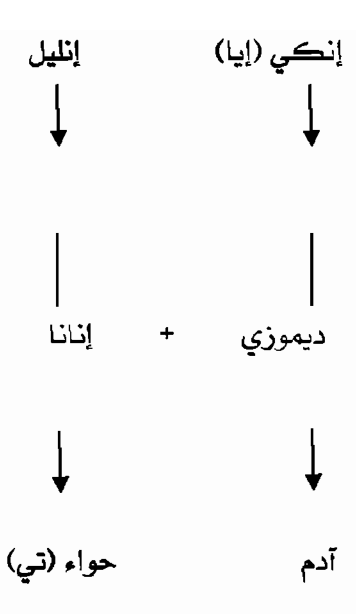
ولكي يميزوا الإنسان عن الخالق أعطوهما اسمين آخرين قريبين وأخذ الرجل صفة مادة الخلق وهي التراب والطين . بينما اقترنت المرأة بعنصرين آخرين مهمين لتكتمل دائرة العناصر الأربعة وهي الماء (هيا هيات) والهواء (هوا) (حوا). أما عنصر النار فأصبح من نصيب الشيطان الذي هو الشكل السلبي للماء والهواء.



يقول سميث 187 بأن بعض زملائه اقترحوا بأن يكون (إيا) هو أوانيس بيرسوس حيث الإلهة المشاركة لآنو هي هيا **Hea** . التي هي إلهة البحر. وهو إله البحر أو الهاوية وربّ الأجيال وكل الجنس البشري وهو يحمل لقب (رب الحكمة). ويفترض أن يكون هو أوانيس بيرسوس (**smith 1876**).

لكننا نعرف أنّ زوجة آن هي (آنتو) وهو لقب أنثوي له . ثم أصبحت إنانا (عشتار). ولنلاحظ أن أوانيس تسمية إغريقية أصلها (أو – آن **U AN**) (أوان . عوان) وربما يشير هذا إلى أنَّ إله السماء رغم أن المعنيّ تحديداً هو (إيا) لكن هذا التماهي بين (آن وإيا) هو دال على المطر فهو الماء النازل من السماء.

وهكذا يمكن أن نحصل أيضاً على نسق آخر من خلال إنكي ونسله وكما يلي:



وهذا يعني أن التمثل البشري لأشهر إلهين سومريين هما (ديموزي وإنانا) اللذين ارتبطا بقصة حب معروفة يكون أيضاً عن طريق آدم وحواء اللذين هما الشكل البشري للإلهين، خصوصاً أن (تي) تعني الحياة والضلع في الوقت نفسه وهو ما يشير إلى بداية ظهور أسطورة الضلع التوراتية. وقد كانت إنانا تسمى في بعض النصوص (سيدة عدن) وهو ما يجعل عناصر الأسطورة قد اكتملت من جذور سومرية ومندائية أصيلة.

وربما كان ذلك يشير أيضاً إلى الاختلاف بين طبيعتي المرأة والرجل؛ لأنّ آدم هو سليل الماء في حين تكون حواء سليلة الهواء (في اسمها ما يشير إلى ذلك) وهذا التعارض يعني اختلافهما في الطباع والتكوين.



رقيم طيني سومري يحتوي على صور لرجل وامرة ربما كانا لآدم وحواء ويلاحظ الأفعى خلف حواء ، وبينهما شجرة مقدسة تحمل ثمراً ربما كانت النخلة

http://www.solvinglight.com/features/SlimeSnakeMonkey.htm

4. الاسكاتولوجيا
(أساطير الموت والآخرة)

عثر على النص السومري للطوفان في مدينة (نفّر) وهو بحالة مهشمة فبعد أسطره السبعة والثلاثين الأولى الممحوة يظهر الإله (إنكي) وهو يريد إنقاذ البشرية من الدمار ثم يتطرق النص إلى خلق الإنسان على يد الإلهين آن وإنليل والإلهة ننخرساج، ثم تأتي فجوة، بعدها يتحدث النص عن نزول الملكية من السماء إلى الأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة ويأتي ترتيب المدن متفقاً مع لائحة الملوك السومرية قبل الطوفان مع ذكر اسم إله المدينة.

ويبدو أن مجلس الآلهة اجتمع لسبب غير واضح وقرر هلاك ذرية الإنسان عن طريق الأعاصير والأمطار التي ستسبب الطوفان وأنه لا بد من إسقاط الملكية التي منحها الآلهة للإنسان. وكانت هذه الملوكية قد استقرت في مدنية شروباك في ذلك الوقت والتي كان يحكمها ملك حكيم اسمه (زيوسدرا Ziusudra) ومعنى اسمه (الذي جعل الحياة طويلة). فيقوم الإله إنكي بالاتصال خفية بزيو سدرا (ربما عن طريق الحلم) ويخبره بقرار الآلهة تدمير الأرض عن طريق الطوفان وينصحه بصناعة سفينة تنقذه مع أهله ومن يحب.

ثم يأتي الطوفان ويدمر كل شيء.

"وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير العواصم

وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليال وجعلت الأعاصير

المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية (وعندما انتهى الطوفان) بزغت

الشمس فأنارت الأرض والسماء

(وعندئذ) فتح زيو سدرا كوة في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك

فركع زيو سدرا أمام إله الشمس

ونحر الملك (زيو سدرا) أعداداً كبيرة من الثيران والأغنام" (علي: 1975: 121)

بعدها يركع زيوسدرا أمام الإلهين آن وإنليل اللذين يقومان بمكافأته وإعطائه الحياة الأبدية أي (الخلود) ويسكنانه في بلد على البحر، في (دلمون) وهو الفردوس الإلهي الذي عرفناه.

إن النسخة البابلية للطوفان تعتمد جوهرياً على قصة الطوفان السومرية هذه لكن تفاصيلها تزداد وتتشعب (وهو حال أغلب الأساطير البابلية المبنية على أصل سومري).

ويفتح هذا النص الباب واسعاً أمام المزيد من العلاقة بين الأدب السومري والأدب المندائي الخاص بنهاية العالم (الإسكاتولوجي) فقد وردت في الأدب المندائي ثلاث نهايات للعالم تشبه هذه النهايات في النص السومري أما النهاية الرابعة التي ننتظرها فهي من خلال الريح والعاصفة وهو أمر طبيعي لأننا في النصين عرفنا أن نهايات العالم الأربع حصلت موازية للعناصر الأربعة ولم يبق سوى كارثة الريح أو العاصفة التي يمثلها عنصر الهواء.

الطوفان إذن هو الجوهر العام للأسطورة الإسكاتولوجية المندائية وبذلك تشبه مثيلتها العبرية التي أخذت عن السومرية لأن (زيوسدرا) السومري هو نوح المندائي والعبري.. وتفاصيل الطوفان نفسها.

أما النزول للعالم الأسفل أو غزو عالم الظلام فتشترك به الرحلات إلى العالم الأسفل وعالم الظلام في الديانتين ببعض السمات فمقتل كور على يد آنكي أو إنانا أو ننورتا في الأساطير السومرية يناظر ربط أور والروهة وسجنها في عالم

الظلام من قبل هيبل زيوا وتشبه تفاصيل الصراع بين هيبل زيوا والروهة ما يقابلها في أسطورة الخليقة البابلية بين مردوخ وتيامت. ولا شك أنّنا يجب أن نثبت أنّ أسطورة هبوط إنانا إلى العالم الأسفل السومرية لا يوجد ما يقابلها في المندائية بل إننا نلمح كسرها وبقايا منها هنا وهناك في هبوط منداد هيّي إلى عالم الظلام.

أما الصعود إلى السماء فنلمحه في عيد الكرصة في صعود الملائكة العظام إلى عالم النور وهذا ما نلمحه في رقيم سومري مرسوم يدور حول صعود إنكي إله الماء إلى السماء، وهناك متشابهات أخرى في المندائي تقابلها أساطير آدابا وايتانا وصعودهما إلى السماء.

5. الرموز الدينية

1. الدرفش:

يشكل الدرفش أهم رمز ديني صابئي، فهو علامة دالة على هذا الدين تخصّه ولا تخصّ غيره، والدرفش هو صليب مغطى برداء كهنوتي ومعقود العودين بغصن من الآس أخضر.

ومعناه راية النور، ويرمز الدرفش إلى عوالم النور ويتكون من: عودين خشبيين (يحبذ من شجر الزيتون والصفصاف) ويُشكلان على شكل متصالب وقطعة قماش بيضاء خالصة (يحبذ من الحرير) تمثل بياض ونقاء وطهارة عوالم النور. تلفّ حول العودين لفة خاصة بحيث تكون الجهة المقابلة ليمين الإنسان مشرشبة. أما اليسرى فتكون مطوية كما في الصورة.

وهناك سبعة أغصان من الآس عند عنق الدرفش. تمثل الكلمات التي خلق بها الرب الكون. والطيب والخير والسلام في عوالم النور.

وتصادفنا في المثولوجيا المندائية صورة شامش وهو يركب في زورقه ومعه ثلاثة من الكائنات أحدهم يمثل الظلام وهو أدوناي والآخران نورانيان وهما (سام مانا) و (سميرنا) ويمسك أحدهما العلم الدرفش المضيء تحيطه ثلاث دوائر ضوئية، إن مصدر الإشعاع في شامش هو الدرفش الذي يرسل أشعة نافعة ويهب النور والحياة.. وقد يفلح ملك الظلام ادوناي بوضع شيء ما أمام هذا العالم وهذا ما يسبب الكسوف (دراور 1987 137).

وظهور الصليب برفقة الشمس ليدل عليه أو يرمز له قضية مطروحة في التراث السومري فالعلامة التي تكتب بها الشمس في اللغة السومرية هي علامة صليب وهي العلامة التي تسمى (بار) والتي ظهرت على ألواح الوركاء من الطبقة الرابعة ثم ما لبثت أنْ أحيطت بقدسية خاصة في عصر (جمدت نصر) (عبد الرحمن **1976 15**).

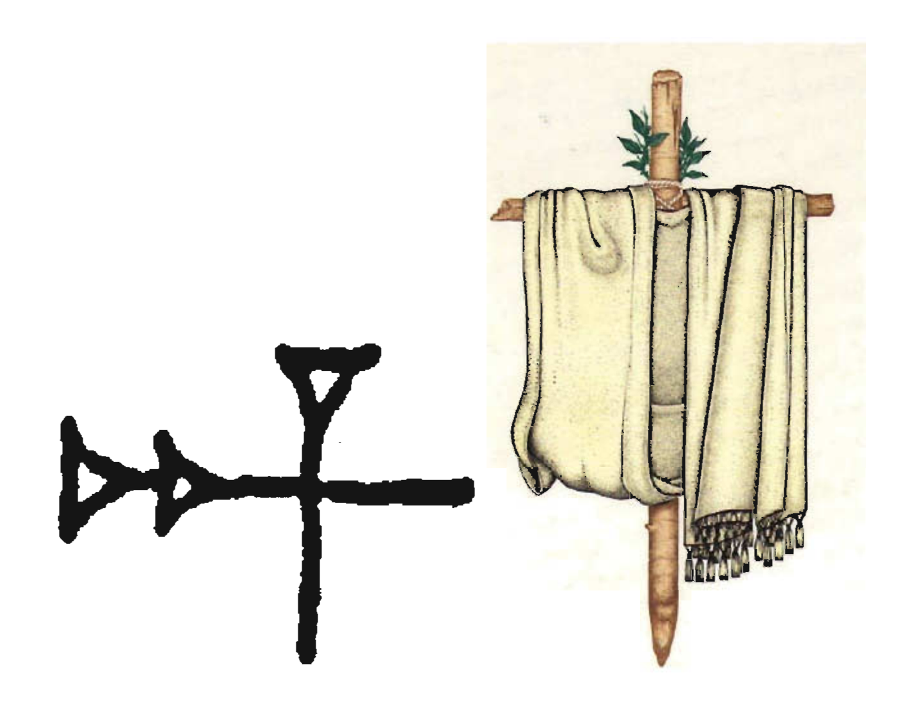
إن (ملكازيوا) لا يعكس ضوءه على البشرية بشكل مباشر بل يعكسها أولاً على راية الدرفش في مركب الشمس (حيث الشمس كوكب معتم لأنه من عالم الظلام) التي تعكسها على الناس وتمنحهم النور والحياة وغالباً ما ترد مع صورة الدرفش خطوط متموجة تدل على نهر الفرات (فرات زيوا)، وهذا يؤكد عليه التراث السومري من أن الفرات نهر الشمس وترد في علامات اسمه المسمارية علامة الشمس.

يزخر التراث الرافديني قبل سومر وبعدها بعلامة الصليب كدلالة على الخصب والحياة فقد ظهرت هذه العلامة منذ دور حسونة في الألف السادس ق.م وظهرت في ثقافة سامراء وحلف والأريجية واريدو والعبيد وجمدت نصر، وفي سومر كان الصليب علامة لإله الشمس وللإله ننورتا الذي أصبح له راية ومن راية ننورتا السومرية الصليبية الشمسية ظهرت راية الحضر الشهيرة وقد تكون راية الدرفش أيضاً. وقد ظهر الصليب يشبه النجمة الرباعية الملتهبة وظهر الصليب بصحبة النجمة والهلال وحتى عند المسيحيين كان الصليب في بدايته رمزاً

للحياة أو الشمس ثم أخذ شكل الآلة التي صُلبَ عليها المسيح (عبد الرحمن 1976 : 168).

وبذلك لا يكون للصليب المندائي (الدرفش) أي علاقة بالصليب المسيحي بل هو صليب عراقي الأصل يمتد إلى الألف الخامس ق.م وربما قبله واستقر مدلوله للتعبير عن الشمس وصنع الحياة.. وهذه بالضبط صورة الدرفش في التراث المندائي.

ويرمز الرداء الكهنوتي (الرستة) للنور أما أغصان الخشب فترمز للماء وهكذا يحوي الدرفش عنصري النور والماء.



والصليب المسماري في الكتابة السومرية

الدرفش (شعار الدين المندائي) ويظهر رداء الكهنوتية معلقاً على صليب خشبي

2. السكندوله (سكين دوله) أو (سكين أد أوله):

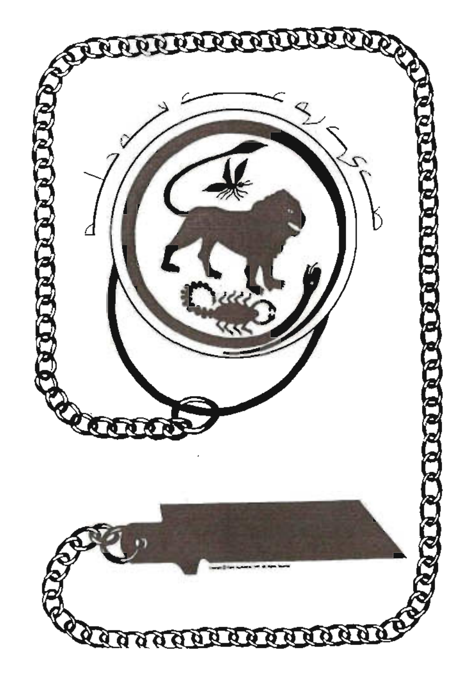
وهو ختم طلسمي يصنع من الحديد ويحمل نقوشاً تمثل أربعة حيوانات هي الأفعى وتشكل دائرة ملتفّة حول الختم وذيلها قريب من فمها وتحيط بباقي الحيوانات، والعقرب تبدو كأنها تزحف على الأرض في الأسفل وفي الوسط الأسد الواقف وفي الأعلى النحلة الطائرة.

ويلبس الختم في التعزيم وحالات الولادة والزواج والوفاة ليدفع الأرواح الشريرة، ومعنى (سكان إد اوله) مسكن الشر لأن هذه الكائنات ظلامية، وقد اخطأت الليدي دراور عندما أرجعت عناصر السكندوله إلى مرجعيات فارسية. فحقيقة الأمر أنّ الأفعى التي يلتقي فمها بذيلها ترمز إلى الأوريوس وهي الأفعى الكونية التي تدل على الكمال أو الإله المدور الذي لا أول له ولا آخر، وهو رمز (نمّم) السومرية، وتدل على الإلهة الأم التي يعود لها كلّ شيء وترمز لعنصر مائي وربما دلت على الروهة أو على أور الذي يرمز له بالأفعى أو التنين المائي. ولا شكّ أنّها ترمز إلى الإلهة السومرية (نمو) لأن الأوربوس مثولوجياً يرمز للإلهة الأم.

أما العقرب فهي رمز عراقي قديم ظهر في ثقافة سامراء في الصحراء والجدب ويشير لعنصر التراب وقد ظهر رمزاً للعقرب والأفعى في أعياد الاكيتو السومرية والبابلية. أما الأسد فقد ظهر كأحد رموز عصر الكالكوليت (الحجري) المعدني في الثقافات العراقية القديمة وكان رمزاً ذكرياً مرافقاً للإلهة أنانا في حالتها الحربية ووجهها الحار ولذلك فهو يدل على النار. أما النحلة فتظهر كثيراً في الأختام الأسطوانية السومرية وتشير إلى الهواء، وبذلك تجمع السكندولة العناصر الأربعة

للطبيعة (الماء والتراب والهواء والنار) وهي رموز سومرية رافدينية أصيلة لا علاقة لها بالمرجعيات الفارسية. ثم إن هذه العناصر تدل على الأبراج الاثني عشر التي هي من بنات الظلام أيضاً ويشير الأسد (اريه) والعقرب (ارقيه) والأفعى (نونه) إلى ثلاثة أبراج مندائية.

ويرى المندائيون أنّ هذه الرموز تشير إلى شياطين عالم الظلام وهم (كرون) و(كاف وكافان) و(هاغ وماغ) و(ساركي وساركاني) وكل منها يشكل ذكراً وأنثى ما عدا كرون. وتظهر النحلة في رقيم سومري كإلهة راعيةٍ للشجرة المقدسة (كشكانو).



السكندوله



الإلهة النحلة في سومر
http://andrewgough.co.uk/bee1_1.html

3. الشوم ياور (اسم الله)

وهو خاتم يصنع من الذهب عليه نقش يشير إلى اسم الإله أو الله، يلبسه رجل الدين المندائي في إصبعه الصغير أثناء ممارسة الطقوس الدينية، **وكلمة (شوم تعني اسم) أما كلمة (ياور) فتعني الضوء** الشديد السطوع أي النور الأعظم وتأتي بمعنى محرك أو موقظ النور. **ونتذكر هنا أنَّ اسم الإله بصورة عامة بالسومرية هو (دنكر) وكان يمثل له بشكل شعاعي كما لو أنه نجمة أو شمس بثمانية أشعة،** وكانت هذه العلامة ترافق كل الطقوس الدينية وكل الأدعية **والصلوات والتعاويذ وترسم قبل ذكر اسم أي إله. وبذلك تكون ال** (دنكر) أصل اسم كل إله والدليل أنَّ اسم (ايلو) أو (الله) بالأكدية **يرسم بنفس شكله السومري. ونرى هذه العلامة في الأختام** الأسطوانية والمسطحة وغيرها.

ولابد من التنويه بأن اسمي (إر) و(ور) قد ورد ذكرهما في المدونات السومرية كآلهة قديمة ارتبط بهما الآموريون.

4. المركنة (الصولجان):

وهي عصا من الخشب يحملها الكاهن وترتبط علاقة بالماء ويقال عنها **(عصا الماء الحي) وتدفن** هذه العصا مع الكاهن عندما يموت، وربما تكون من الصفصاف أو الزيتون أو السدرة. إن الصولجان رمز سومري **وكان** يصنع من الصنوبر أو السدر، وكان كهنة سيبار **الذين هم كهنة إله الشمس (اوتو) يحملون عصا السدر، وكان أيضاً رمز الإله ننكرسو في لجش وهو رمز السلطة أيضاً.**



5. الإكليل (كليله):

وهو إكليل الآس ويكون على أنواع (الخاتم، أكليل الراس، أكليل العصا) وعلى شكل حلقة مختلفة الأحجام يصنع من غصن

طري معرى من الأوراق ثم يشق حتى يصل الشق إلى الطرف المورق ثم يلتف الشقان حول بعضهما بحيث يلف الشق الأيسر مرتين والأيمن ثلاث مرات ويحنى الغصن الملفوف ويطوى حول نفسه وهناك دعاء خاص بالإكليل

'مندا خلقني

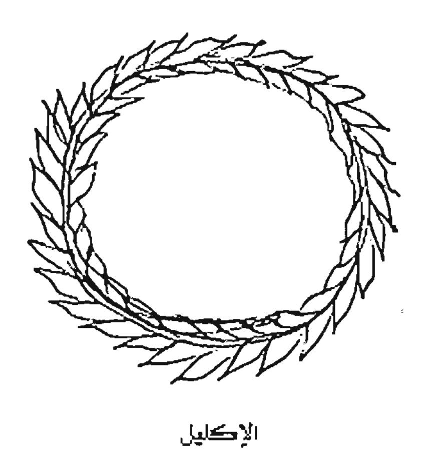
واثري نصبني

ألبسوني الضياء

وغمروني بالنور

هزيان وضع الإكليل فوق الرأس

أنا فلان بن فلانة'.(دراور 1987 : 58).



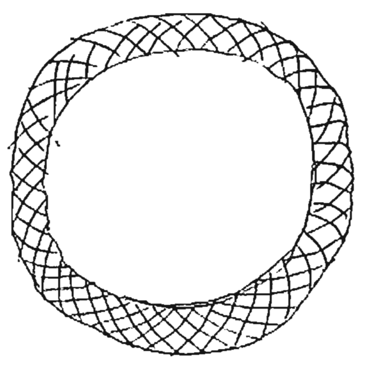
الإكليل

ويلبس إكليل الصولجان إلى أن ينزل الكاهن في الماء وتتوج به العصا وينحدر معها في تيار الماء، ويصنع الإكليل أيضاً مع الدرفش وفي الخبز المقدس وأثناء إجراء الطقوس. ويظهر أنّ الإكليل يدل على

الخضرة والخصب وتشكل دائرته رمزاً لكمال هذا الخصب فأول حرف وآخر حرف في الأبجدية المندائية عبارة عن دائرة تدل على الكمال وأنه لما يلفت النظر حقاً في التراث السومري أنَّ الحلقة التي ترافق الصولجان ويشكلان رمزاً للإله آنكي إله الخصب والماء ورمزاً للسلطة التي بيد الإله أنكي وتمثل الإكليلة عنصر الفضة وتشير أيضاً إلى النور والأم (أنهر نهورا) وتمثل العنصر المستلم أو الخصب.

6. التاغة (التاج):

وهي تاج النور ويصنع من الآس أيضاً ويلبس على الرأس تحت العمامة ويشير إلى الزعامة الدينية، ويستعمل في تكريس الكاهن فإذا وقعت من رأسه أو يده فلا بد أن ينزل درجة وعليه أن يعيد التكريس، وفي كتاب (ألف ترسر شياله) نرى التلازم بين التاغة والكليله فالتاغة كالذهب والضياء والأب، وتمثل العنصر الذكري المخصب (الذهب هو السر النقي للأب والفضة هي سر الأم وإكليل الآس – كليله أد آسه- سر الأم وأنهر نهورا اسمها)، ويرد التاج في المثولوجيا السومرية على أنه رمز من رموز الإلوهية، وأصبح فيما بعد رمزاً من رموز الملكية ولبسه كلكامش ويظهر أصله الذكري واضحاً من خلال القرنين اللذين يدلان على دموزي وعلى الثور واللذين يشكلان إطار التاج ودائرته وشكله.



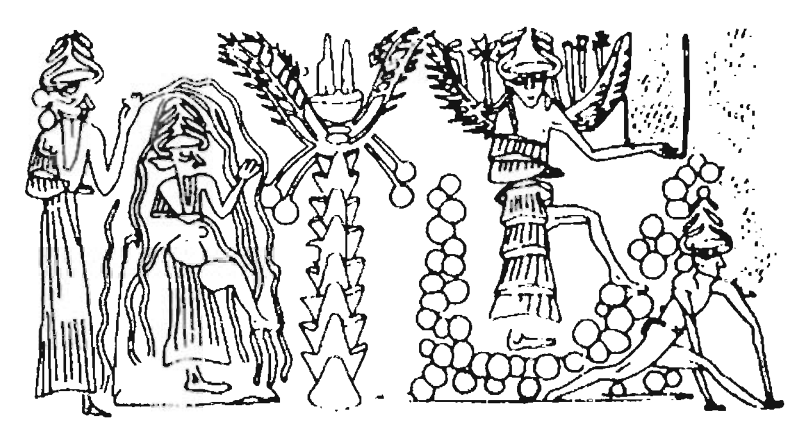
تاج ناغة

7. النخلة:

رمز ديني يدل على الحياة والثمار، وهي في الأساطير المندائية ذكرية، حيث النخل أب (مار أد ربوثا) وخلق بواسطته وهو رب العظمة.. وهو اسم من أسماء الكائن الأعلى الذي انبعثت عنه الحياة الأولى والثانية، وتأتي النخلة دائماً مع عين الماء (الينبوع) وعندها يسكن شيشلام ربا وهو (رب السلام) وهو من أسماء الحياة العظمى.

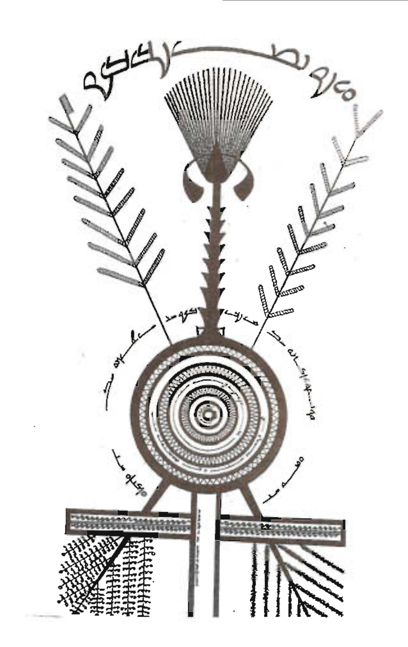
لقد قدس السومريون النخلة كما لم يقدسوا شجرة مثلها وتظهر أقدم صورة للنخلة في رقيم طيني نستنتج منه أنها شجرة الجنة، وهي شجرة معرفة الخير والشر أي (مندا).. وفي هذا الرقيم ما يشير إلى آدم وحواء وهي بينهما، وتقف الحية خلف حواء هامسةً بأذنها لتغويها، وقد رأى الكثير من الباحثين أنَّ هذا الرقيم هو أصل الحكاية التوراتية لآدم وحواء في الجنة.

أما الينبوع أو عين الماء فهو إنكي، وهو المصدر الذي ينبع من دجلة والفرات ويمثله السومريون برمز الكأس الفوّارة وهو أقدم رمز من رموز أنكي.



النخلة السومرية وإنكي

http://enkispeaks.com/category/genetic-engineering/page/2/



النخلة المندائية

الفصل الرابع

المقارنة بين الطقوس الناصورائية و السومرية





طقوس التعميد المندائية والسومرية

تقدم الطقوس والشعائر أكثر من غيرها صورة واضحة عن الاتصال بين الديانتين السومرية والصابئية، فالطقوس أقل من اللاهوت والعقائد والأساطير عرضة للتغيير، فهي ممارسات عملية متوارثة لا يسأل الناس عن أسبابها أو جذورها بل يمارسونها ويقبلونها كما هي رغم انقطاع جذورها، وتبقى ملامحها واضحة حتى لو ضغطت عليها بدائل طقسية وافدة أو أنظمة دينية جديدة تتضمن طقوساً مغايرة.

1. طقوس العبادة التقليدية

وتشمل الوضوء والاغتسال والصلاة والصوم، فالوضوء ويسمى بالمندائية (الرشامة) أي الرسم بالماء طقس سومري ورثته الكثير من الأديان ومنها الدين الصابئي ويشترك الدينان الصابئي والسومري في أنَّ الوضوء كان يمارس بالجلوس على شاطئ النهر، ويتضمن تلاوة عبارات الوضوء. وهذا ما كان يحصل بالضبط في الوضوء السومري حيث يجلس الكاهن أو المصلي على النهر ويغسل قدميه ويديه ووجهه وهو يتمتم بعبارات تجلّ إله الماء أنكي. وهو يلبس ملابس بيضاء وهي ذاتها الملابس التي يلبسها الكاهن المندائي.

أما الاغتسال (الطماشة) أو الطمس في الماء (وهو غير التعميد) فهو طقس مندائي يتضمن الاغتسال بالماء الجاري ثلاث مرات مع ترتيلة مناسبة، ويلجأ لهذا الطقس عند ولادة المرأة والتخلص من النجاسة

والآثام. ولم نجد مقابلاً سومرياً دقيقاً للطماشة ولكن طقوس التطهير السومرية كانت تتضمن الاغتسال بالماء أو المسح بالزيت أو التبخير وكان الكهنة الذين يمارسون طقوس إبطال السحر الأسود أو الضار يستعملون الماء تغطيساً أو رشاً حيث يستنجد بالإله أنكي وهو إله الطب والمضاد للسحر الأسود ويرش المريض أو يغطس بالماء. مع ترتيلة مناسبة ويسمى هذا الطقس بطقس (الفوهو).



التعميد المندائي

أما الصلاة (البراخة) أي التبرك ففي المندائية ثلاث صلوات في اليوم (بعد أن كانت خمسة) وهي (قبل طلوع الشمس)، الشمس في الزوال "الظهيرة" و(قبل غروب الشمس). فالصلاة إذن تتبع حركة الشمس في أوضاعها الثلاثة (الشروق، الذروة، الغروب).

ولا نملك دليلاً سومرياً على انتظام الصلوات اليومية عند الناس أو الكهنة ولكن طقوس عيد الأكيتو تخبرنا بأنها كانت تجرى كل يوم قبل ظهور الشمس صلاة الفجر وكذلك صلاة المغرب، أما صلاة الظهر فتذكر فقط في اليوم الخامس، وهي حرفياً الصلاة التي كانت تجرى بعد ثلاث ساعات من شروق الشمس.

وأغلب ظننا أنَّ الصلاة السومرية كانت دون وقت ثابت ولكنها كانت دائمة يتوجه بها الإنسان أو الكاهن إلى إلهه وقتما يشاء.

أما الصوم فأصوله سومرية وكانت تقضي بتحريم أنواع معينة من اللحوم أو الامتناع عن الطعام أيام محددة من الأسبوع أو الشهر أو السنة، وكان ذلك يرتبط بطقس يخص إلهاً معيناً، ونرى أن الدافع العميق للصوم كان اقتصادياً أكثر منه دينياً لأنَّ تحريم أكل نوع معين من الأسماك أو اللحوم أو الأطعمة كان المقصود منه أساساً وضع حد لزوالها أو نقصانها الواضح، وكان ذلك يرتبط بإرادة إله معين، لذلك صار الطقس اقتصادياً ودينياً في الوقت نفسه، والمندائيون يقرون الصوم ولكن ليس بمعناه المعروف عند المسلمين، أي الامتناع الكامل عن الأكل والشرب طيلة النهار وفي شهر معين، بل إن الصوم المندائي قريب جداً من الصوم السومري وكذلك من

الصوم المسيحي فهناك (32) يوماً متفرقة على طول السنة. ويسمى هذا بالصوم الصغير، أما الصوم الكبير فيتضمن عدداً من المحرمات المعنوية كصوم العيون، الآذان، الفم، القلب، اليد، الجسم، الأرجل، عن الخطايا والمحرمات وتدخل هذه المحرمات ضمن محرمات وأخلاق وشرائع الدين السومري تماماً.

2. طقوس الأضاحي

إنَّ الدارس المتفحص للطقوس المندائية يلاحظ ملاحظة هامة للغاية وهي أن أغلب الأضاحي التي تقدم في طقوس العبادة والموت والولادة والزواج والتعميد هي أضاحي نباتية أو من أصل نباتي مثل أرغفة الخبز بالدرجة الأولى والنباتات مثل اللوز والبندق والرمان والسفرجل والبصل والعنب وغيرها.. وهناك أضاحٍ حيوانية كالسمك. ويستعمل أيضاً شحم الخروف والماعز في لوفاني الدفن والوجبات الطقسية بعد الدفن، ولكن الغالب هو الأضاحي النباتية في الطقوس المندائية. ومن البديهي جداً القول بأن أغلب الأضاحي السومرية كانت نباتية مثل الأرغفة والفواكه، وهناك أيضاً أضاح حيوانية كالجداء والثيران، ويُظهر لنا الكاس النذري السومري في 3000 ق‌م كيف أن المتعبدين يحملون الأضاحي النباتية وهم يتقدمون نحو المعبد.

إنَّ الختان (باعتباره طقس تضحية) غائب في الدين المندائي وهو غائب أيضاً في الدين السومري. ولم يتأثر الدين المندائي بالأديان الموحدة المجاورة له كاليهودية والإسلام حفاظاً على أصله القديم ولكي يبقى التعميد هو الطقس الأساس في المعمودية وليس الختان، ويمتاز السومريون بطقس معمودية آخر ظلّت آثاره الفولكلورية عند أبناء جنوب العراق عامة وهو حلق رأس الشعر على شكل طرة حزناً على ديموزي ولذلك شاعت عن السومريين تسمية ذوي الرؤوس السود

بسبب تميز هذه الطرة السوداء أعلى الرأس، وأنه لمن المؤكد أنَّ اليهود أخذوا عادة وضع القلنسوة السوداء أعلى رؤوسهم من السومريين ليشيروا إلى قضية دينية.



الكأس النذري السومري

http://arthistorypart1.blogspot.nl/2011/01/sumerian-art-warka-vase.html

3. طقس التعميد (مصبتا)

يعتقد المندائيون أن الماء هو الحياة نفسها وأنه أساس كل شيء فالعودة له والتماس معه أساس الطقوس الصابئية. ويرى بعضهم "أن الأرض تشبه امرأة وأنَّ السماء تشبه الرجل لأنه يجعل الأرض خصبة" هذا القول لكاهن مندائي، ويتكرر هذا الرأي عدة مرات في كتابي (ألف ترسر شيالة) و(شرح بغرا) حيث يعتبر الماء نطفة، ونرى بالضبط مثل هذا الاعتقاد في الصورة الجميلة التي ترسمها هذه القصيدة السومرية:

"الأرض الفسيحة المسطحة لبست تألقها
جملت ببهجة جسدها
الأرض العريضة، بالمعدن الثمين واللازورد زينت جسدها
تبرجت بالينع والعقيق الأحمر البراق
زينت السماء رأسها بأوراق الشجر وظهرت كأنها الأميرة
الأرض المقدسة العذراء تبرجت من أجل أسماء المقدسة
السماء، الإله الرائع الجمال، غرس في الأرض العريضة ركبتيه
وسكب في رحمها، بذرة الأبطال، الأشجار والمقاصب
الأرض الطرية، البقرة الخصبة تشبعت بمني السماء الغني
وبالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة.

وبغزارة حملت الأرض هذا التاج الرائع وجعلت الخمر والعسل يسيلان."(الشوّاف 1994 : 21).

ولهذا السبب تمَّ تقديس الماء في الديانتين واستعماله في طقوس العماد. والفلسفة العميقة لهذه الطقوس هو ردّ الشر والنجاسة وكل ما يتعلق بعوالم الظلام، حيث إنَّ الماء يعكس النور ويعتبر شكلاً من أشكال النور، فالشخص المتعمد حديثاً يعتبر مرتدياً حلّة النور، وفكرة أنَّ الفلك مملوء بضياء سائل وأن الماء شكل مكثّف من أشكاله تظهر في الاعتقاد بوجود الزوارق الفلكية. (دراور 1987 : 168).

إنَّ الذي يمارس الطماشة والتعميد يعتبر مثلاً لابس الإكليل المتألق الذي يشير إلى الماء المرشوش فوق الرأس، حيث يشير الماء إلى النور.

لن ندخل في تفاصيل طقس التعميد ولكننا لا بدّ أن نسأل: هل كان السومريون يتعمدون؟

لا نملك دليلاً على أنَّ الأطفال السومريين كانوا يتعمدون أو يغسلون بالماء بطقس ديني، أما الزواج فهناك أدلة على أن الزواج المقدس زواج عيد الأكيتو السومري، كان يجري قرب النهر، وقد كان الأكيتو قديماً يجري في العراء وليس في بيت الأكيتو كما في بابل، ونستطيع أن نؤكد أنَّ مكان احتفالات أكيتو الخاص بمدينة أور كان يقع بالقرب من مجرى ماء لوجود القناة المسماة بقناة أكيتو، وكذلك من ورود المرسى أو الميناء المتين" (النعيمي 1976 : 65).



طقس التعميد المندائي

http://www.pluralism.org/resources/slideshow/slideshow.php?show=jacobs&slide=17

ومعروف أنّ الجذور الأولى لطقس الأكيتو هو استنزال المطر، ثم استعمال الماء بالعيد وكان الماء عماد هذا العيد وطقوسه.

أما الموت فكان الميت يغسل بالماء وكان الكهنة والملوك يمسحون بالزيت ويضمخون بالعطور ولا نعرف ما إذا كان تكريس الكهنة يتضمن طقوس العماد، ولذلك لا نستطيع أن نجزم ونقول بأنّ طقس التعميد كان يجري عند السومريين. بل كانت بعض المظاهر غير

المنظمة واضحة، ولكنها لم تكن تأخذ طابع التعميد كما هو عند المندائيين.

ومن المؤكد أنَّ البيئة المائية التي وجد فيها السومريون كانت حافزاً لنمو وتطور طقوس الاغتسال بالماء إلى طقوس التعميد عند الصابئة وإننا نقف ضدّ كلّ الآراء التي تقول بأن التعميد الصابئي بدأ مع يحيى المعمدان وجاء من الأردن، فالصابئة موجودون قبل يحيى وبيئتهم المائية ألهمتهم التعميد خصوصاً أن له جذوراً بدائية عند أسلافهم السومريين.

4. طقوس الأعياد

لا بدّ من القول أولاً إنَّ العيد الأسبوعي أو عيد نهاية الأسبوع هو عيد سومري في أصله، وكان يسمى بالسومرية (إش. إش Es.Es) وبالأكدية (إشيشو) ويعني اسمه القربان الضحية "وكان يحتفل به في اليوم الأول والسابع والخامس عشر من كل شهر ومكان الاحتفال كان يدعى (أي إش إش أي بيت إش إش) وفي بعض الأحيان كان يضاف يومٌ رابعٌ هو يوم الخامس والعشرين من الشهر كذلك" (النعيمي **1976** : **54**).

وواضح لنا أنَّ هذا العيد الأسبوعي كان يرافق حركة القمر، فاليوم الأول هو ظهوره كهلال واليوم السابع هو اكتمال نصفه واليوم الخامس عشر هو اكتماله بدراً واليوم الخامس والعشرون تحوله إلى محاق، ويشير هذا الأمر إلى عطلة نهاية الأسبوع سواء كانت في يوم الجمعة أو السبت أو الأحد مأخوذة من هذا العيد السومري البعيد في أصوله. ويعتقد أنَّ السومريين كانوا يحتفلون به في يوم الأحد لأنَّ هذا اليوم هو يوم القمر وكذلك المندائيون فإنَّ يوم الأحد هو يوم العيد الأسبوعي أو العطلة.

وللصابئة خمسة أعياد أساسية هي العيد الكبير، عيد الخليقة، عيد السنة الجديدة الصغرى، العيد الصغير، عيد العماد المذهب. ولعل

أقدم وأهم عيدين عندهم هما العيد الكبير وعيد الخليقة وهما ما سنبحث فيهما.

العيد الكبير:

هو عيد رأس السنة ويسمونه (دهورا ربا) ويعرف أيضاً باسم (نوروز ربّا) ويسميه العامة (عيد الكرصة) ومدته ثلاثة أيام، ويصادف تقريباً في 23- 25/ تموز من كل عام. وتمارس فيه طقوس العيد التقليدية من فرح وطعام وغيرها. ويذكّر هذا العيد بعيد الزكمك الثاني في سومر وهو عيد الحصاد الذي يقع في حدود 21/ تموز من تقويمنا، أما في التقويم السومري فيقع في شهر(إيزن ميكيكال) ويمثل الشهر الحادي عشر ويقابله من الأشهر البابلية شباتو، وعندما نفحص التقويم المندائي نجد أنَّ هذا العيد يقع في الأيام الثلاثة الأولى من شهر شباط المندائي. ولنتوقف هنا قليلاً، فشباط بالأكدية معناها يحصد ويدل هذا على مدلول هذا العيد السومري الذي قد يشير إلى كلمة سباتو أو صباتو وهو ما نتوقعه من جذر سومري لاسم الصابئة. فإذا ما بحثنا أكثر وجدنا أنَّ هذه الكلمة تشير في القواميس الآشورية والأكدية والمندائية والهيروغليفية إلى معنيين دائمَين هما (العمق أو الإخفاء في العمق، والحصاد أو الضغط أو الكبر). ونستفيد من معنى اسم هذا الشهر بالسومرية أنه عيد الإلهة (مي) في العالم الأسفل أو أنّه عيد نواميس العالم الأسفل الـ(مي) وهذا صحيح إلى حد بعيد، ففي هذا الشهر (تموز) يرحل الإله دموزي إلى العالم الأسفل ليطبق نواميس

هذا العالم ويقضي ستة أشهر هناك. ولذلك كان السومريون يقيمون الحصاد فيه ويتبعونه بمناحات حول الإله الميت دموزي. فهذا العيد سومري الأصل بلا شكّ، ولكن هذا الوقت ليس وقت بداية السنة السومرية بل منتصفها حيث السنة السومرية لها بدايتان الأولى في 21 آذار والثانية في 21 أيلول الذي يقابل شهر تموز عندهم.

عيد الخليقة:

ويسمى (عيد البنجة) أو (البرونايا) فالسنة المندائية مثل السنة المصرية القديمة مكونة من (360 يوماً) أما الأيام الخمس الزائدة فيحتفلون بها على أنها أيام خارجة عن التقويم وبالفعل فإننا لا نجد لها ذكراً في التقويم المندائي سوى الإشارة إلى أنها أيام البنجة أي الأيام الخمسة الزائدة. ويصادف هذا العيد في 3/20 وهو بالضبط عيد الزكمك الأول وهو عيد البذار أو الربيع، ومن هذا العيد أصبح 3/21 عيد نوروز عند الفرس والأكراد.

إن أهم عيدين سومريين (زكمك الأول وزكمك الثاني) أصبحا أهم عيدين مندائيين (الخليقة والكبير) وهناك الكثير مما هو مشترك بينهما. أما الأعياد الباقية ومنها عيد السنة الصغرى (نورزو زوطة) والعيد الصغير (حنينه) وعيد العماد الذهبي فإنها أعياد أقل أهمية وتمتاز بعدم دقة مواعيدها كما نرجح أنها نشأت في عهود متأخرة.

-	العيد وأسماؤه الأخرى	موعده في التقويم المندائي	موعده في التقويم الميلادي 1997-1998 نموذجاً	المناسبة	الطقوس
1	الكرصة/العيد الكبير(رأس السنة- أدهفا ربّا عيد الأيام الثلاثة	1- 3 شباط	23- 25 تموز	بداية التكوين الأول للخلق العلوي (خلق عالم النور) وهو عيد بداية الخليقة. تغيب فيه الأرواح النورانية عن الأرض لتحتفل في الأعلى وتكون الأرض معرضة للشر لذلك يمنع لمس الماء في اليوم الأول وبعده تعود الروح وتبدأ الاحتفالات والتعميد	اليوم الأول- حرام لمس الماء اليوم الثاني- احتفالات وتعميد

2	شوشيان/ شيشيان عيد الأيام الستة	6- 7 شباط	28- 29 تموز	نهاية التكوين الأول للخلق العلوي الذي استمر سبعة أيام من (1- 7) شباط	عمل أواني طقسية (طريانة) رجال الدين يعملون الأكاليل التي تعلق على أبواب البيوت ليلة القدر المستجابة بين 6- 7 شباط
3	دگ الفل تذكار أو الفل	1 أيار	21 تشرين الأول	هبوط هيبل زيوا (جبرائيل) إلى الأرض ليهيئها ويعمرها لمجيء آدم	أكل طعام (التمر والسمسم) الذي يسمى الفل الذي طعام هيبل زيوا منه
4	دهنا هنيانا العيد الصغير هبة الله الصغير	18 آيار	7 تشرين الثاني	عودة هيبل زيوا (جبرائيل) على السماء بعد تهيئة الأرض والماء وخلق الكائنات الحية	فرح وابتهاج
5	ابو الهريس	1 تموز	20 كانون الأول	بمناسبة قتل 365 ترميذي في أورشليم من قبل اليهود	يعمل اللوفاني وهو طعام من الهريس والخاثر والسمك والفاكهة

6	البرونايا/ اكتمال الخليقة/ البنجة/ (عيد الأيام الخمسة	1- 5 تشرين	20- 24 آذار	عيد اكتمال الخليقة بخلق البشر واحتفال السماء والأرض بذلك وهو عيد الأيام الخمسة الزائدة في التقويم وهذه الأيام لا يفصلها ليل حيث تبدو كيوم مضيء واحد والسماء تتصل بالأرض	أيام فرح ويجوز في الليل نحر الذبائح وعمل جميع الطقوس الدينية ما عدا عقد الزواج
7	دهفا إد دايما (عيد التعميد الذهبي)	1 كانون	24 آيار	تعميد الملاك هيبل زيوا ثم آدم ثم يهيا يهانا ويعادل 70 تعميد عادي	تعميد في مياه النهر الجاري صغاراً وكباراً
8	كنشي وزهلي الاجتماع والتطهير	30 طابيت	22 تموز	آخر أيام السنة المندائية (نهار ليلة الكرصة)	الصباغة في الماء الجاري (تعادل 70 صباغة) لبس الملابس الجديدة جمع الأواني والطعام لأيام الكرصة الثلاثة



رجال الدين المندائيين يؤدون طقوس عيد الخليقة في مكان قريب من نهر دجلة في بغداد الجمعة 2010/3/19 تصوير خالد محمد
http://newshopper.sulekha.com/iraq-sabean-mandaeans_photo_1224125.htm

إن تسلسل الأعياد المندائية يُخفي فلسفة عميقة لا نجدها في مقابلها السومري أو البابلي، لأن الأعياد المندائية تبدأ بالاحتفال بعيد الكرصة (العيد الكبير) وهو عيد رأس السنة المندائية التي تبدأ في 1 شباط المندائي من كل سنة مندائية (الذي غالباً ما يقع في شهر تموز الميلادي. ففي سنة 1997 وقع في 23 تموز) ويرون أنها وجدت قبل أن يُخلق العالم المادي أصلاً. في حين أنَّ أعياد رأس السنة السومرية والبابلية تمثل خلق الكون والأرض والإنسان وتقع في الربيع.

إنَّ جدول الأعياد المندائية يوضح بطريقة لا لبس فيها أنها قائمة على تسلسل الخلق الذي يبدأ بعالم النور في (عيد رأس السنة) والذي يستمر لمدة سبعة أيام ثم هبوط رسول الضوء (جبرائيل) إلى الأرض لتعمير الأرض وتهيئتها (تذكار أبو الفل) في 1 أيار ثم صعوده إلى عالم النور بعد 18 يوماً بعد إكمال مهمته. وفي 1 تشرين يحل عيد اكتمال الخليقة (برونايا) (البنجة) حيث يتم خلق الإنسان وتصبح الأيام والليالي الخمسة وكأنها يوم مضيء واحد. وأخيراً عيد التعميد الذهبي في 1 كانون حيث يتم تعميد الملاك (جبرائيل) أو (هيبل زيوا) بعد أن أكمل مهامه ويصادف هذا اليوم تعميد آدم وتعميد يحيى أيضاً. وفي آخر ايام السنة يكون الاجتماع والتطهير (كنشي وزهلي) نهاراً للتحضير لعيد رأس السنة القادم وهكذا.

إن هذا التماسك الشديد في تسلسل الأعياد المندائية وميلها لعالم النور أكثر من عالم الأرض أو الظلام أو الكواكب هو الذي يميزها تماماً عن الأعياد السومرية والبابلية.

لكن اللافت للانتباه أن أكبر عيدين مندائيين وهما رأس السنة (الكرصة) والبرونايا (اكتمال الخليقة) يحصلان في توازٍ مع عيدي الزكمك الأول الذي هو عيد رأس السنة السومري الربيعي حيث الأفراح بحصاد الزرع وزواج دموزي وإنانا وهو يقابل عيد (الكرصة) المندائي الذي هو بداية خليقة عالم النور وهو يقابل أيضاً عيد الأكيتو البابلي الذي يستمر لمدة (12) يوماً. في حين يستمر الكرصة (7) أيام

من (1- 7) شباط مندائي وبضمنها عيد شوشيان وعيد الزكمك (3) أيام.

أما العيد الثاني فهو الزكمك الثاني الذي يبدأ في الخريف (21 أيلول) وهو عيد عزاء بسبب رحيل دموزي إلى العالم الأسفل الذي يوازي عيد البرونايا (اكتمال الخليقة) أو البنجة الذي هو عيد أفراح عند الصابئة.

إنَّ توازي عيدين كبيرين مثل الزكمك الأول والثاني عند السومريين مع عيدين كبيرين مثل الكرصة والبنجة عند المندائيين قد يعطينا دالةً على تشابه قليل رغم أنَّ مضمون العيدين يختلف بينهما.

الملواشة:

الملواشة تقليد ديني يتضمن إطلاق اسم ديني سري على المندائي بالإضافة إلى اسمه الدنيوي المعلن. ويستعمل هذا الاسم في طقس التعميد ومناسبات الزواج أو الوفاة والتعاويذ وكشف الطالع والأمور السحرية. والحقيقة أنَّ هذا التقليد هو تقليد ديني سومري في أصله، وقد كان يطلق على أسماء رجال الدين من الكهنة حصراً والذين يمارسون السحر والعرافة وسبب إطلاق الاسم السري هو الاعتقاد بأن ممارسة السحر الأسود أو الضار كان يسري على الاسم الديني وليس على الاسم المعلن، وكان الكهنة يتحاشون الكشف عن أسمائهم الدينية لكي لا يتعرضوا إلى أخطار السحرة والأعداء. وقد كان الاسم الديني يتضمن اسم الشخص واسم أمه، وهذا تقليد سومري أو عراقي قديم جداً يقضي بنسب الشخص إلى أمه انحدر من عصر الأمومة في بداية النيوليت.

ثم إن اتخاذ الأسماء السرية أو الدينية أو الفلكية يجعل من المستحيل إجراء السحر وإلحاق الضرر على أشخاص ما زالت أسماؤهم سرية غير معلنة. وهناك إجراء لا شعوري جمعي ذو فائدة عميقة وهو أنَّ أسماء الملواشة أسماء محدودة

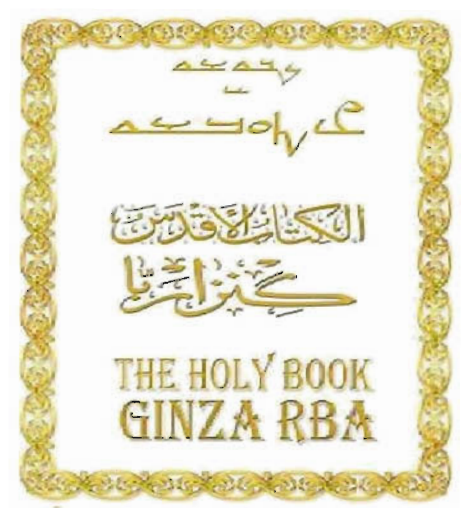
ستجمع من خلالها جميع أبناء الطائفة في وحدة اسمية تضفي عليهم روح الأخوة الدينية، وهذا السبب معقول أيضاً لوجود الملواشة.

لقد كان السومريون والبابليون يقيمون شعيرة جنائزية تتعلق بالاسم يسمونه (شومازكارو) أي (ذكر الاسم) المقصود منه إحياء ذكر الميت في عالم الأحياء، ومن الواضح أنَّ غاية هذا النوع من الشعائر الجنائزية تطمين الشخص باستمرار ذكره بين الأحياء أو بالأحرى تمكينه من الحصول على (الخلود الممكن) الذي يتمثل في بقاء ذكر الإنسان بعد موته. (حنون 1986 281).

والملواشة تتضمن هذا الخلود الممكن لأن الأسماء الدينية ستبقى محدودة وثابتة رغم تبدل الأزمان والأسماء الخاصة بكل عصر، ثم إنّه عندما يموت شخص ما فإن اسمه الديني يبقى ويكون قد أطلق على مئات بل آلاف الناس وهكذا.. وهذا يعني بقاء الإنسان وخلوده من خلال الاسم وهو نوع من الخلود الذي رأى فيه السومريون حلاً لمشكلة الموت بالإضافة لخلود الذكر وخلود الأعمال الحسنة والخلود عبر النسل. إن فلسفة الـ(شوما زكارو) السومرية تتجسد واضحة في الملواشة المندائية.

الفصل الخامس

مدخل إلى التراث المندائي





1. مقدمة في الغنوصية والمندائية

الغنوصية طريقة نظر وفهم خاصة للعالم والمعرفة والدين. والغنوصية كظاهرة تمتد إلى أعماق أديان الشرق القديم أما كجهاز معرفي وكفلسفة ورؤيا متكاملة فهي من نتاج العصر الهيلنستي (وهو العصر الذي يبدأ بوفاة الاسكندر المقدوني وينتهي بسقوط دولة البطالمة في مصر على يد الرومان 323- 30ق.م ويمتد أثره مع الرومان لغاية ظهور الدولة البيزنطية في 323م) وقد ظهرت الغنوصية قبل المسيحية وأثرت بقوة في الأديان الموحدة، وكذلك في الفلسفات والعلوم منذ العصر الهيلنستي ثم العصر الوسيط. الغنوصية (Gnosticisme) أي العرفانية مشتقة من الغنوص (gnose) وهي كلمة يونانية الأصل (gnosis) معناها المعرفة وقد استعملت أيضا بمعنى العلم والحكمة وتترجم إلى العربية بصيغة (العرفان). الفرق بين العرفان والعرفانية هو أن العرفان حالة خاصة بصفوة معينة من الناس تعني معرفة الأسرار الإلهية، أما العرفانية (الغنوصية) فهي المذاهب الدينية التي ظهرت في القرن الثاني للميلاد تحديدا والتي تدعي أنها مشيدة على نوع من المعرفة فوق المعرفة العقلية وأسمى منها، معرفة باطنية، ليس بأمور الدين وحسب، بل أيضا بكل ما هو سري وخفي كالسحر والتنجيم والكيمياء....الخ (الجابري 1993 :354).

جوهر الغنوصية يقوم على أسطورة الخلاص من الخطيئة عن طريق المعرفة، فالتطهر يتم بواسطة معرفة النفس أنها من أصل إلهي وتدبرها لطريق الخلاص والعودة إلى ذلك الأصل الإلهي، وهذا ما يسمى بالعرفان وتكون هذه الخاصية (معرفة النفس لأصلها) طريق الوصول للخلاص من الخطيئة. ولا يتم هذا عن

طريق قراءة الكتب بل عن طريق كشف مضيء في قلب الإنسان يهديه إلى طريق الخلاص .

ورغم أن الغنوصية أثرت في الديانات والمذاهب جميعها الوثنية واليهودية والمسيحية والإسلام، وتدخلت في الفلسفة وصبغتها بلونها وظهرت علوم غنوصية كثيرة إلا أن هناك خمس ديانات غنوصية ظهرت كلها في العراق القديم (وادي الرافدين)، فقد كان العراق القديم بعد سقوط بابل مرجلا هائلا تغلي وتتخمر فيه عقائد وأديان الغنوص والهرمسيات، ولو أن التاريخ قيض للعراق آنذاك مدرسة كبرى (مثل الاسكندرية في مصر) لكانت عقائد وأديان العراق والشرق المدفونة في طيات الزمن قد ظهرت وتفاعلت وكونت أعظم تيارات الثقافة والمعرفة. ورغم ذلك.. ورغم تمزق الهوية الدينية والروحية بل والقومية للعراق القديم لكنه أظهر لنا خمس ديانات غنوصية متميزة أربعاً منها ظهرت قبل المسيحية وواحدة بعدها وهي (المندائية، الشيثية، الحرانية، الإيزيدية، المانوية) .

لم تكن الديانة المندائية وليدة العصر الهيلنستي بل هي ذات جذور أبعد من هذا العصر، فهي ترتبط بوشائج عميقة مع ديانة الأسرار السومرية خصوصا بعد أن اختفت الديانة السومرية، وقد بحثنا هذا في الفصول السابقة ، لكن الديانة المندائية العريقة في القدم تعرضت لضغط الكثير من العقائد الدينية التي ظهرت في العراق القديم مثل الديانة البابلية والآشورية، ونرى أن إعادة صياغة شاملة لها تمت بعد سقوط بابل على يد عناصر كلدانية وآرامية وعلى أساس العرفانية النبونائيدية (نبونائيد آخر ملك بابلي) التي ظهرت بعد منتصف القرن السادس قبل الميلاد، ولأن هذه الصياغة تمت باللغة الآرامية وبإحدى لهجاتها التي هي (المندائية)، فقد أطلق على هذه الديانة المندائية أو الصابئة المندائية وربما كانت العقيدة الدينية هي السبب في إطلاق تسمية المندائية لأنّ كلمة (مندا) باللغة الآرامية تعني (العارف) ولذلك يكون المندائيون هم العارفين أي العرفانيين على

وجه الدقة وها نحن نجد مصطلحا آراميا عربيا دقيقا للغنوصية ظهر قبل ظهور مصطلح الغنوصية وهو مصطلح (المندائية). إنّ المندائية هي الغنوصية وهي العرفانية بأدق وأكمل أشكالها وإنه لمن حسن حظ الأديان والثقافات البشرية أنّ هذه الديانة المندائية العريقة ما زالت حتى يومنا هذا تمارس عقائدها وطقوسها وتعاليمها في جنوب العراق والأحواز بشكل خاص.

المندائية تحتوي، في طياتها، على أقدم عقائد الغنوصية ممثلة بالنبض السومري فيها وعلى الصياغة الغنوصية النوعية لنبونائيد ممثلة بالمندائية الآرامية وكذلك ما أخذته من الغنوصية الهيلنستية. ولذلك فهي دين عرفاني خالص يمكن مشاهدته حيا اليوم ودراسته عن كثب والخروج منه بنتائج في غاية الأهمية عن أصل التوحيد وعن الديانات العراقية القديمة وعن المذاهب الهيلنسية التي خاض بحورها حتى عبر بعدها لجج الأديان اللاحقة وصولاً إلى العصر الحديث .

لكن الغنوصية بصيغتها الهيلنستية تختلف عن الغنوصية المندائية لأن مرجعياتها الفلسفية تختلف عن المرجعية الدينية للمندائية رغم أنهما يشتركان في عمود فقري واحد لهما هو (الهرمسية).

والهرمسية (تعاليم هرمس أو إدريس) تشكل أساس الغنوصية الإغريقية حيث تشكل المدونة الهرمسية النص المرجع بالنسبة لها "فإذا ما أخذ المرء بالحسبان أن الهرمسية قد وضعت في الأساس لتخاطب عقول الإغريق، وأنها خلت إلى حد بعيد من الصور الأسطورية واختير في صوغها الطرائق والصيغ الاصطلاحية الهيلنستية، فيما توجه التعاليم المندائية إلى ذهن شرقي اعتاد أن يتعامل مع المعتقدات من خلال المثيولوجيا المشحونة بالتشخيصات والمبالغة والفانتازيا يمكننا حينئذ أن نتبين صلة القرابة بين أفكار الجماعتين. ويتضح السبب الذي يحمل المندائيين على تمجيد هرمس واعتباره معلمهم (سباهي 1996 :170).

الغنوصية ذات شقين هما الغنوصية الشرقية التي ظهرت في وادي الرافدين وكان اكتمالها في الغنوصية المندائية التي مثلتها خير تمثيل والغنوصية الغربية التي ظهرت في وادي النيل والتي أعادت صياغتها وفق إطار فلسفي أدبيات العصر الهيلنستي التي كتبها مرقيون وبار ديصان وغيرها. والحقيقة أنّ المندائية لم تضع نفسها بمواجهة الغنوصية الغربية، بل تورطت المسيحية في سجال طويل مع الغنوصية الهيلنستية الغربية رغم أنّ المسيحية ذات طبيعة غنوصية في أساسها .

لقد قدمت الغنوصية المندائية صورة مشرقة للغنوصية الشرقية يمكن من خلالها تلمس الجذور القوية للمندائية في تربة وادي الرافدين وتتجسد هذه الصورة في معراج صعود الروح إلى خالقها وفي ثنائية النور والظلام والخير والشر التي يمثلها (عالم الظلام، آلمي دهشوخا) و(عالم النور، آلمي دنهورا) وتمثل هذه التناظرات أساسا هاماً في المندائية .

إن قراءة مفصلة في الأسس الغنوصية للمندائية توضح لنا تماما نقاط الاتصال والانفصال عن الغنوصية الهيلنستية والهرمسية الإغريقية التي ظلت ركنا أساسا من أركان الفلسفة في ذلك الوقت، أما الغنوصية بشكلها العفوي الشرقي فما زالت هناك تكمن في صلب الديانة المندائية .

2. تصنيف التراث المندائي

ظل رجال الدين من المندائيين، زمناً طويلاً، الأمناء الكبار على تراث المندائية الروحي والأدبي، فقد أنقذوا المخطوطات والمدونات المندائية من أحداث الزمان الطويل الذي مرّوا فيه. فمن حوادث الحريق والغرق والاندثار إلى تعصب الأديان الأخرى المحيطة بها وما ينجم عنها من أخطار وتدمير لهذا التراث استطاع هؤلاء الرجال أن يحملوا في خزائنهم تلك المدونات ويوصلوها إلى عصرنا هذا بكل بسالة وأمانة.

ومن ناحية أخرى منعوا حتى المندائيين من العامة الاطلاع عليها وكانوا يلقنونهم التعاليم الدينية شفاهياً، أما ما هو مكتوب فقد كان حكراً على رجال الدين وحسب درجاتهم.

كان الأدب المندائي روحياً بالكامل.. ويعتبر واحداً من أندر نفائس التراث البشري لأنه يمثل تراث مرحلة نادرة في تاريخ البشرية الروحي وهي (الغنوصية) التي كانت الجسر بين الأديان القديمة والأديان التوحيدية. ولعل التوحيد يعود لها أولاً بكل نقائه وصفائه الحقيقي المعتمد على (العرفان) و(المعرفة الروحية الباطنية)، وهو التراث الغنوصي الأقدم والأعرق فقد سبق ما كشف حالياً من مدونات غنوصية قرب البحر الميت في فلسطين أو في نجع حمادي في مصر.

وبسبب من كون الأدب المندائي دينياً بالكامل فقد اخترنا طريقاً سليماً في تصنيفه يكون بحسب مكونات الدين (أي دين) وهي المكونات الأساسية (معتقد، أسطورة، طقس) والمكونات الثانوية (أخلاق وتشريعات وغيرها). وفيما يلي تصنيفنا الخاص للتراث المندائي:

1. كتب المعتقدات: وهي الكتب التي تتناول المعتقدات والأفكار الدينية واللاهوت وربما تشوبها مسحة أسطورية لكنها تظل الكتب الأساسية في العقيدة، وتنقسم إلى

أ. الكتاب المقدس: وهو (كنزا ربا، الكنز العظيم) ويسمى أيضاً (سدرا ربّا، الكتاب العظيم).

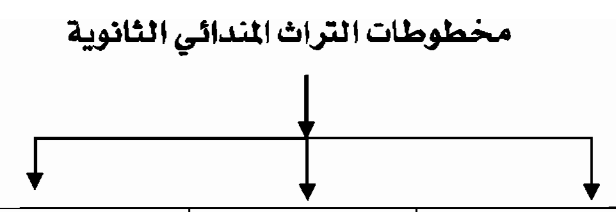
ب. الكتب شبه المقدسة: ومثالها هنا (يهيا د دراشا) وهو (درس يحيى) أو كتاب / تعاليم يحيى.

جـ. كتب الكهنوت: وهي الكتب الخاصة برجال الدين وهي نصوص سرية مدونة على شكل لفائف تسمى بـ(ديوان) ومزودة برسوم تعتبر اليوم ميزة خاصة بالفن المندائي، ولا تكشف هذه الكتب إلاّ لرجال الدين وحسب درجاتهم الدينية حيث يحظى من هم في درجات عليا بفرصة أكبر للحصول على أكثر الكتب سريّة، وهي (ألف واثنا عشر سؤالاً)، (العالم الأول الكبير والعالم الأول الصغير) و (ديوان الملكوت)، وقد نظمنا هذين الجدولين المبسطين في تصنيف التراث المندائي:

مخطوطات التراث المندائي الأساسية

الكتب العقائدية	الكتب الأسطورية	الكتب الطقسية
أ. المقدسة: كنزا ربّا	1. دموث كوشطا (مثال الصدق))	10 مخطوطات
ب. شبه مقدسة دراشا إد يهيا	2. ديوان أباثر	1. شرح طراسة دتاغة دشـشلام ربّا (شرح تتويج شيشيلام العظيم)

ج. كتب الكهنوت:	3. ديوان نهرواثا (ديوان النهر)	2. شرح قايين شيشيلام ربّا (شرح زوج شيشيلام العظيم)
1. الف ترسل شياله (1012 سؤال)	**4. سيدرا إد نشمثا** (كتاب الأرواح)	**3. 3شرح د بروانايا** (شرح الأيام الخمسة)
2. آلما رشيايا ربّا آلما رشيايا زوطا (العالم الأول الكبير والعالم الأول الصغير)		**4. شرح د دخرانا د لهيدايا زدقا** (شرح ذكرى الأوحد بعدله)
3. ديوان ملكوتا إليتا (ديوان الملكوت الأعلى) أو(ديوان المملكة العليا)		**5. ديوان مصبتا د هيبل زيوا (ديوان تعميد هيبل زيوا)**
		6. ديوان قداها ربّا (ديوان الصلاة الكبرى)
		7. **قلستا** (الزواج)
		8. **نياني** (أناشيد الأزواج الموتى)
		9. مسقثا (صعود الروح)
		10. 1تفسير بغرا (تفسير الجسد)



الكتب السحرية	كتب العرافة	الكتب التاريخية
1. قماها وزرستي (الحجاب والوقاية)	1. أسفر ملواشا (سفر البروج)	1. حرّان كويثا (حرّان السفلى)
2. كداوا كدفيانا (كتاب التعاويذ)	2. شبابي شابي (ساعات النهار)	2. الديونان (سيّر الروحانيين)
3. قماها ذ هيبل زيوا (حجاب هيبل زيوا) 200 سطر		

وهذا جردٌ كاملٌ بالمخطوطات المندائية الأصلية التي تشكل التراث الروحي المندائي وقد ترجم بعضها إلى اللغات الأجنبية والعربية وكانت جزءاً من مصادرنا في هذا الكتاب (وهي مرتبة حسب الحروف الأبجدية بعناوينها المندائية) والمصادر المطبوعة بالحروف السوداء تحوي رسوماً ظهر بعضها في كتابنا هذا وأصبحت جزءاً من مصادرنا. أما على مستوى النصوص فقد اعتمدنا على المخطوطات المترجمة الى الإنجليزية أو العربية:

1. ألف ترسر شياله (ألف واثنا عشر سؤالاً). ترجمته الليدي دراور إلى الإنكليزية:

The Alf Trisar Suialia (The Thousand and Twelve Questions),in: TRAS 1941, s.101. London. E.S.Drower

2. آلما ريشايا ربّا (العالم الرئيس الكبير) وآلما ريشايا زوطا (العالم الرئيس الصغير): ترجمتها ليدي دراور:

Apair of Nasoraen Commentaries (The Great 'First world' and the lesser 'First world) translated with notes by E.s. Drower, leiden, Brill,1963

3. أسفر ملواشا (سفر البروج). ترجمة ليدي دراور:

The Book of the zodiac (sfar Malwasia), the Royal Asiatic Society, London, 1949

4. دموث كوشطا (مثال الصدق) غير مترجم

5. ديوان حرّان كوثيا: ترجمته ليدي دراور:

The Haran Gawaita, E.s. Drower, Citta del Vaticano Biblioteca Apostolica Vatican,1953

وترجمه غضبان الرومي إلى العربية.

6. ديوان أباثر: ترجمته الليدي دراور:

Diwan Abather, E.S Drower, Rome 1950

7. ديوان قداها ربا: (الصلاة الكبرى) غير مترجم

8. ديوان مصبتا د هيبل زيوا: (تعميد هيبل زيوا) وقد نشرته دراور مع كتاب حران كوثيا:

Baptixm of Hibil-Ziwa, E.s. Drower, Vatican 1953

9. ديوان ملكوتا إليتا (المملكة العليا) غير مترجم

10. ديوان نهرواثا (النهر) غير مترجم

11. ديوان تفسير بغرا (تفسير الجسد) غير مترجم

12. سيدرا إد نشماثا (كتاب الأرواح) ترجمة عن العبرية والألمانية كارلوس جلبرت إلى العربية عام 2000 ونشره في سدني/ استراليا منشورات الماء الحي.

13. شرح طراسة د تاغه د شيشلام ربّا (تتويج شيشلام العظيم). ترجمته ليدي دراور:

The Coronatio of the Great Sislam, Translated with notes by E.s. Drower, Leiden, Brill, 1962

14. شرح د برونايا : (عيد الأيام الخمسة) غير مترجم.

15. شرح د ذخرانا لهدايا زدقا (ذكرى الأوحد بعدله) غير مترجم.

16. شرح د قابين شيشلام بّا (زواج شيشلام العظيم). ترجمة ليدي دراور :

The Marige of the Great Sislan, Translated with Notes by E.s. Drower, Rome, 1950

17. شباني شايي (ساعات النهار) غير مترجم

18. قلستا (كتاب الصلوات الأصولي). ترجمته إلى الانكليزية ليدي دراور 1959، وترجم إلى العربية في بغداد :

The Canonical Prayerbook of the Mandaeans, Translated with notes by E.S.Drower, Leiden, Brill, 1950

19. قماهي وزرستي (التقميط والوقاية). غير مترجم

20. نياني (الأناشيد) وهو جزءٌ من (قلستا) الذي يخص الصلوات على أرواح الموتى/ مترجم

21. مسقثا (الصعود والارتقاء) ترجمه وشرحه وعلّق عليه الربي رافد عبد الله نجم السبتي ونشره في هولندا/ 2004

وبهذا نكون قد أحصينا أغلب المخطوطات المندائية.

وقد تكون هناك بضع مخطوطات أخرى لم يُفصَح عنها بعد. ولا يمكننا تناول كل هذا التراث هنا وقد نفرد لذلك كتاباً خاصاً، لكننا سنتناول أهم هذه المخطوطات وهي (كنزا ربّا) الذي هو الكتاب المقدس للمندائيين.

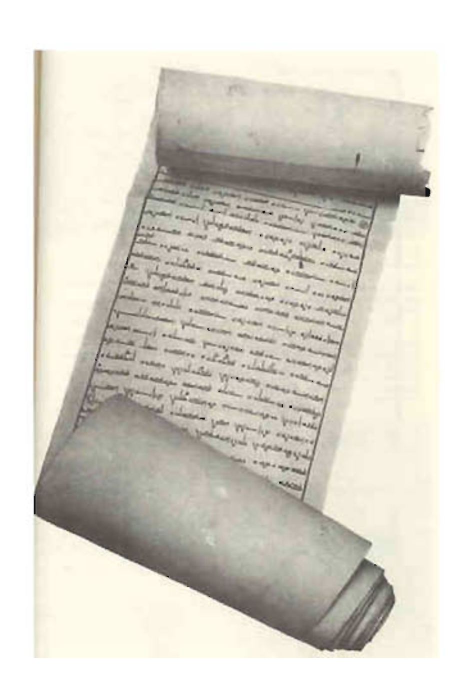
3. كنزا ربّا

يعتبر الكتاب المقدس للمندائيين (كنزا ربّا) أي (الكنز العظيم) كنزاً دينياً وأدبياً حقيقياً ، وتمثل نصوصه، من وجهة نظرنا، أعظم الصفحات المشرقة المتأخرة لحضارات وادي الرافدين، رغم أنه يمتد في أصوله الى أولها. ولكن كتابته باللغة المندائية (وهي لهجة آرامية) جعل هذه النصوص تظهر في السياق التاريخي للمرحلة التي تلت نهاية الدولة البابلية الحديثة، أي بعد سقوط بابل عام **539** ق.م.

يسمى كتاب الكنزا أيضاً باسم (سدرا ربّا) أي (الكتاب العظيم) ويسمى أحياناً باسم (كتاب آدم).

تعني كلمة (كنزا **Ginza, Genza,Genzo**) المندائية الـ(كنز) وهو الشيء الغالي والنادر والثمين المخبأ في مكان بعيد، وعندما نقرأ كتاب الكنزا نفهم منه بأن هذا الكنز هو الروح أو الأرواح (نشمثا أو مانا). وهناك مكان مخصص لحفظ هذه الأرواح في عالم النور يسمى دار الكنز. وهناك حارس إلهي يحرس هذه الدار هو مندا إد هيي (ويظهر أحياناً هيبل زيوا) ويسمى (كنزاوري) أي (أمين الكنز)، ومنه اشتقت كلمة (كنزورا) أو (كنزبرا)أو (كنزفرا) وهي درجة دينية كهنوتية. ولهذا الكنز حراس يحرسونه من الأثري (وهم ملائكة عالم النور). وقد تكون كلمة (كنزا) مشتقة من (جنيزا)، أو (كنيزا) العبرية، التي تعني الملفوفة الورقية المثبتة بمسندين في أعلاها وفي أسفلها، وهي الطريقة التي كانت تحفظ فيها المخطوطات اليهودية عادة.

يتكون كتاب الكنزا ربا من جزئين كبيرين هما : كنزا اليمين وكنزا اليسار



مخطوطة مندائية

كنزا اليمين

هو القسم الأكبر حجماً وهو الأكثر ثراءً من ناحية احتوائه على القصص والأساطير والمواعظ وتاريخ البشريات الأربع التي ظهر على الأرض بعد خلق آدم ، **كما أن فيه كتاب آدم وسيرته. وقد انقسم إلى كتب انقسمت بدورها إلى** أجزاء، ويتناول أغلبه قصة الخليقة المندائية لعوالم النور والظلام والأرض **والإنسان في عصوره الأربعة، والصراع بين عالمي النور والظلام، وسيكون من** اليسير معرفة مضامين هذه الكتب من معرفة عناوينها، وهي كما يلي:

1. دين آدم: توحيد الخالق (الحي العظيم: هيِّي ربّا) والوصايا الروحية والأخلاقية.

2. كتاب الرب العظيم.
   1. الوصايا والتحذيرات من المستقبل.
   2. كتاب النهر.
   3. كتاب تبشير رسول النور.
   4. كتاب توجيهات الحياة الزوجية المشتركة.
3. كتاب الدين الحي الأول: وهو كتاب الخليقة لعوالم النور والظلام والأرض وآدم وحواء هيبل وشيتل وأنّوش.
4. كتاب نزول رسول النور إلى عالم الظلام.
5. كتاب هيبل زيوا
   1. نزول هيبل زيوا إلى عالم الظلام.
   2. كتاب قلب نظام آلهة العالم كلها.
   3. كتاب عروج الأرواح إلى المطراثا.
   4. اقوال يهيا يهانا.
   5. شلمي رب المنزل.
6. كتاب دنانوخت
7. كتاب يحيى بن زكريا
8. كتاب تحذيرات وتوجيهات مندا إد هيّي
9. قلب نظام النجوم السبعة
   1. قلب نظام النجوم السبعة
   2. الوحيد العادل الكبير
10. الكتاب عن البهاء المتأجّج في البهثا: رواية ثانية للخليقة.
11. السرّ الكبير وكتاب أنّوش الكبير.
12. الكتاب الثاني عشر.
   1. توضيحات انّوش.
   2. الكوشطا
   3. في الأثير انا

4. اللؤلؤة الطاهرة
5. عارياً غادر عريق الأصل
6. ملك الظلام
7. الرياح

13. صلاة الترميذي إلى المؤمنين والأتقياء في الطائفة
14. الكتاب عن نباط الكبير
15. الكتاب الخامس عشر

1. أنا كلمة
2. أنا كرم لين
3. في بداية نشوء الماء الحي
4. عندما أُزيح النور
5. إن نداء سام زيوا الطاهر
6. أنا هو يوخابر كوشطا
7. من شكينة الحياة العظمى
8. بقوة البهاء والسندركا
9. أنا هو العبير الطيب من الأثري
10. إني أتحدث مع هيئتي قائلاً
11. عندما جئت أنا أنوّش أثرا
12. في رأس الإكليل الطاهر
13. عندما تكونت أنا بثاهيل
14. التلاميذ يسألون الرجل
15. عندما غادر الطاهر المختار مكانه
16. خلقتني الحياة من علٍ
17. لقد غُرست ثم جئت أنا الصالح

كنزا اليسار

3. صعود حواء
4. صعود نشمثا

2. الكتاب الثاني : 28 جزء حول صعود الروح
3. الكتاب الثالث :62 جزء حول صعود الروح

وهكذا يكون العدد الإجمالي للكتب المكوّنة للكنزا ربا (سيدرا ربا) هي 21 كتاباً بواقع 165 جزءاً.

وإذا كان السرد القصصي يغلب على كنزا اليمين فإنّ الشعر هو الذي يغلب على كنزا اليسار، رغم أن الاثنين يتمتعان بلغة أدبية عالية صاغتها العبقريات المندائية، وعكف على تدوينها وتشذيبها شعراء روحانيون كبار.

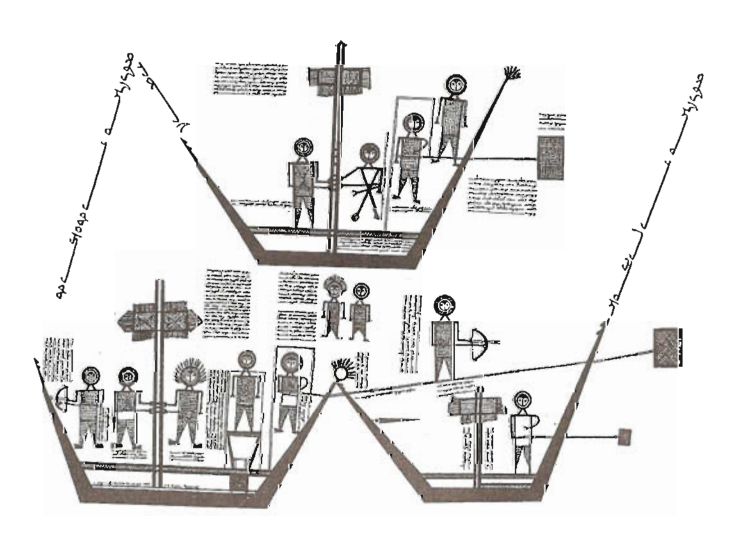
يميل المندائيون للاعتقاد بأنّ كتابهم المقدس منزّل من السماء على آدم بشكل خاص، ليس بالطريقة التقليدية في نزول كتاب مقدس من السماء عن طريق الوحي، بل هو موجود أصلاً في الروح (نشمثا)، وهي نسمة النور التي نزلت على آدم من عالم النور. ولأنهم من الغنوصيين (العرفانيين) الذين يرون بأن المعرفة الإلهية (العرفان) لا تنزل على الإنسان على شكل كتبٍ مقدسة، أو وحيٍ إلهي، بل تكون هذه المعرفة موجودة ضمناً في الروح (نيشمثا أو مانا) التي تحلّ في جسد الإنسان. أما الكتب أو النصوص المقدسة فلا يكتبها أو ينطقها الأنبياء أو الرسل بل آدم وحده، الذي هو رأس الذرية البشرية، كتب هذه المعرفة التي سكنت في روحه وربما استقى بعضاً منها من رسول النور (مندا إد هيي).

إن الإنسان يكتشف الله عن طريق المعرفة، وليس عن طريق الوحي، هذا ما يقرره المندائيون والغنوصيون بشكل عام. ولذلك يكون العرفان (الغنوص) في اليونانية ومندا في (الآرامية) هو السبيل إلى كشف الإله الواحد الأحد والاتصال به أو حتى الوصول إليه أثناء الحياة أو بعدها.

فالوصول أثناء الحياة يتم عند بعض الغنوصيين، والمتصوفة بشكل خاص، في لحظة النشوة الصوفية التي هي لحظة المعرفة الكبرى حيث ترتقي روح المتصوف إلى الخالق وتتصل بها فتحدث النشوة الروحية. أما الوصول إلى الخالق بعد الموت فيصير عندما تغادر الروح جسد الإنسان وتصعد إلى خالقها وتذوب فيه.

المندائيون يتفقون مع الحالة الثانية التي هي حالة ارتقاء الروح، ولكنهم لا يرون في الزهد أو التصوف سبيلاً إلى الوصول للخالق أثناء الحياة، بل يرون ضرورة إبقاء الروح عارفةً بالخالق عن طريق التعميد والإيمان والناصورائية التي هي أسلحة الروح ضد النسيان والخطيئة.

يأتي كتاب الكنزا ليشرح كل هذه الأمور، وليؤكد على الخليقة النورانية للإنسان من خلال نزول الـ(مانا) في جسد الإنسان من عالم النور لتكون وسيلةً لربط الإنسان بهذا العالم من جهةٍ ولاكتساح ظلام الجسد والأرض والعالم من حولها من جهةٍ أخرى.



مراكب الشمس والقمر وهي تعكس ضوء عالم النور / من مخطوطة (ديوان أباثر)

تاريخ كتابة الكنزا

يرى كوندوز أن الكنزا ربما يكون قد جُمع في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي (كوندوز1996: 72) .

ويرى ليدزبارسكي أن نشأة كتاب الكنزا بشكله الحالي تمت بعد ظهور الإسلام حيث بدأ المندائيون بجمعه في كتاب واحد ليكون الكتاب المقدس لهم أسوة بـ(أهل الكتاب)، من يهود ومسيحيين، والذين كان الإسلام يعترف بتوحيدهم وبكونهم أصحاب أديان موحّدة معروفة (ليدزبارسكي 2000: 687).

وتبرز مجموعة من كبار رجال الدين من الناصورائيين العظام الذين ساهموا بتدوين الكنزا عبر العصور بعدما ظلّ الكتاب مجموعاً ومكتوباً بالأرامية المندائية حتى ترجم لأول مرة على يد السويدي ماثيس نوربيرج في مستهل القرن التاسع عشر ترجمة غير دقيقة، ثم ترجمه بيترمان سنة 1867م ترجمة غير دقيقة هي الأخرى، أما ليدزبارسكي فقد ترجمه إلى الألمانية 1925ترجمة دقيقة تعدّ اليوم الأفضل في كل الترجمات.

أما الترجمات العربية للكتاب فقد ظهرت حتى الآن ترجمتان في عام 2000 كانت الأولى عن المندائية في بغداد من قبل الأستاذ الدكتور يوسف متي قوزي والأستاذ الدكتور صبيح مدلول السهيري. لكن، إعادة صياغتها الأدبية من قبل الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ذهبت بترجمتها الحرفية الدقيقة وحذفت منها الكثير ولذلك نعدها، ترجمةً وصياغة، غير دقيقة ولا يمكن لأي باحث علمي أن يأخذ بها.

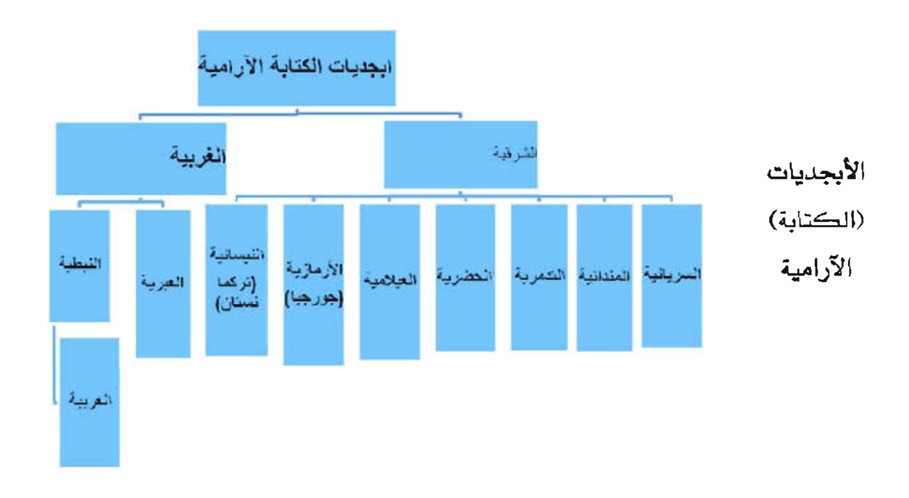
أما الترجمة الثانية فكانت في سدني/استراليا من قبل كارلوس جلبرت (خالد عبد الرزاق) وكانت عن الترجمة الألمانية لمارك ليدزبارسكي وقد حفلت بأغلب التفاصيل دون تحوير ويبدو أن هناك القليل من الأصل المندائي لم تطاله الترجمة.

كنزٌ رافديني روحيّ

إن الميزة المدهشة لنصوص الكنزا هي في أسلوبها القريب من النصوص الرافدينية، فقد أشرنا في أكثر من مكان إلى التناظر الكبير بين بعض نصوص الكنزا مع نصوص رافدينية من حيث الأسلوب وطريقة الكتابة والبلاغة والتكرار وغير ذلك. وهو ما يعزز رأينا في أن هذه النصوص هي امتداد للنصوص الرافدينية فهي الطبقة الآرامية المندائية لها النابضة من أعمق طبقاتها إلى سطح تحولاتها الكبرى.

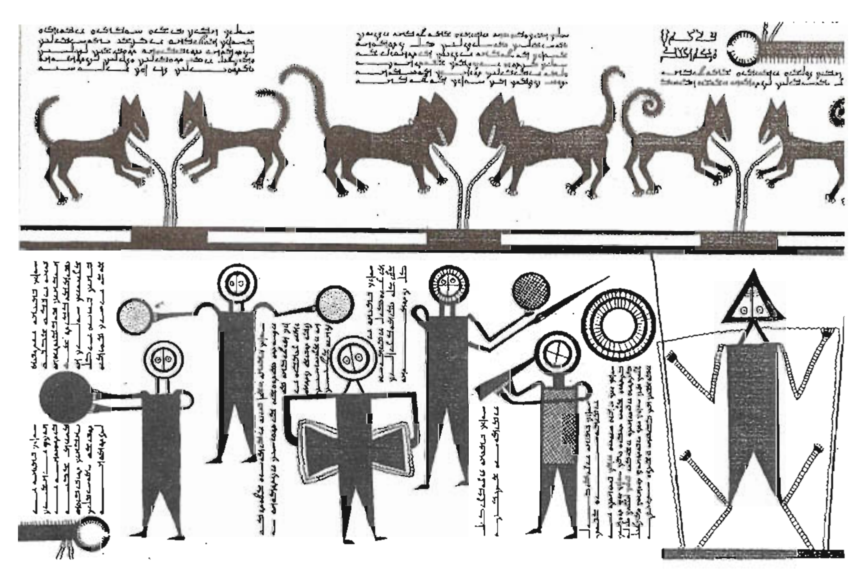
لقد حملت هذه النصوص خميرة الروح الرافديني وشكّلت في الوقت نفسه، المنطقة الحرجة للتحول من القصّ المقدس إلى النص المقدس. هذه المنطقة التي جرت فيها أعظم التحولات من أساطير الأديان متعددة الآلهة إلى الكتب المقدسة للأديان الموحّدة (السماوية).

تنقسم الأبجديات الآرامية (الكتابة الآرامية) إلى مجموعتين أساسيتين هما الشرقية والغربية. (Naveh 1922 : , 125-126) وتنقسم كلٌّ منهما إلى أبجديات فرعية كما هي هذا الجدول المبسط:



وصلتنا الأبجدية المندائية من خلال قنوات مختلفة، أقدمها ما نقش على نقود مسكوكة في الكرخة (ميسان). ومنقوشة على رقىً أو عوذ (حروز) كما تدعى بالعامية العراقية أيضاً أو (قماهي) كما تسمى بالمندائية وكانت من الرصاص، ومخطوطة على أوانٍ فخارية وأخيراً مخطوطة على الورق في الكتب الدينية المندائية. وباستثناء الكتب الدينية المحفوظة لدى المندائيين أو لدى بعض المتاحف والمكتبات في أوروبا وأمريكا والمتحف العراقي، وأقدمها استنسخ في القرن السادس عشر من مخطوطات أقدم لم يعثر عليها إلى الآن، ولا يثير استنساخها على هذا النحو خلافاً بين الباحثين، فإن تحديد تاريخ الأخريات أثار جدلاً لم يحسم تماماً. (سباهي 1996 182)

في الكنزا اليسار نفحات شعرية وروحية تبوح بها الروح وهي تدخل في معراج هبوطها من عالم النور إلى الأرض ثم صعودها من الجسد إلى عالم النور في دورة المبدأ والمعاد الغنوصية المعروفة، وتنضح من هذه الرحلة الدائرية قصائد روحانية قلّ نظيرها في الأدب القديم.



كائنات من عالم الظلام
من مخطزطة (ديوان أباثر)

الحياة الكبرى، التي هي بمثابة قبس من الحي العظيم، تشتكي للروح الكبرى (مانا) من الحرارة الآكلة غير الخلاقة في عالم الأرض والجسد وتوضح له أن حرارة هذا العالم أصبحت شديدة، الاضطرام، وتتلظى مستعرةً وتتوهج بالجمر، ويرد المانا على الحياة الكبرى ويطلب منها أن توضِّح أي نوع من الأعمال تطلب منه أن ينجزها فتقول:

"ارتحل ذاهبا، اهبط إلى العالم نازلاً

وخُذ أنت جسماً يكون لك رداءً

اذهب واجعل لك من الجسم كساءً

ذلك الجسم الذي أمرك المرء بأن تتحلى به

امضِ وترعرع تحت أجواء الأسرار

بحيث إنَّ الأسرار تمسي مضيئةً وتتلألأ بواسطتكَ

يتعين عليك أنتَ أن تنال وتنير الأسرار

وينبغي أن تنال سلالتك حظاً من القوة والثبات

إن سلالتك ينبغي أن تصعد عالياً إلى مكانها

وينبغي أن يمسي كأس العالم مترعاً

إن كأس العالم يصبح فائضاً بعد أن يبلغ السيلُ الزُبى

وينبغي أن يقوم بحراسته مصباحان

إن مصباحين يقومان على حراسته

وعلى هذا ينشأ بهاءٌ لا حدود أو نهاية له

بواسطة بهائك سوف يكون البيت محمياً

وبك سوف ينهض العالم ويقوم

ينبغي أن يكلأك خفراءٌ نقيون برعايتهم

وجذر أصلك يتسلق مرتفعاً إلى ما فوق ويصعد شامخاً

ليصعد النصرُ عالياً

الذي ناولته (وزّعته) أنا بنفسي في مكانك (كنزا ربا اليسار :2: 16 ص509).

في هذا المقطع الواضح والصريح تطلب الحياة الكبرى من الروح أن تذهب لكي تتخذ الجسمَ رداءً لها. وتكتسب مسألة ارتداء الرداء أهمية كبرى في الأدب الديني المندائي، لأنَّ الشروع بأي عمل يفرض على الأثري الذي سيقوم به أن يتعمد أولاً ثم يرتدي الرداء ليشع ويزداد ضياءً، وكذلك ليتّضح، لأنَّ ارتداء الرداء يعني الخروج من حالة الكمون إلى حالة الظهور.

وتتضح في هذا المقطع تلك اللغة التي نعرفها في الأساطير الرافدينية المعروفة.

وفي المقطع التالي تتضح تقنية التكرار المعروفة والتي هي إحدى أهم التقنيات في القصائد السومرية والبابلية.

"إني أنا مانا الحياة الكبرى

إني كنتُ في دار الكنزا المستترة

في دار الكنز المستترة كنت أنا

بين أمناء الكنز الكرماء

لم أكن قد رأيت الكنز بعد

الذي فتحه خالقي وأُعجب به إعجاباً شديداً

لم أكن قد رأيت الكنز بعد

ولم أهتف في تنويري بعد

لم أكن قد رأيت الكنز بعد

فما كان منهم إلاّ أن جلبوني وبعثوا بي إلى هذا العالم

كم هو جميل ما كنتُ أنا قد رأيته

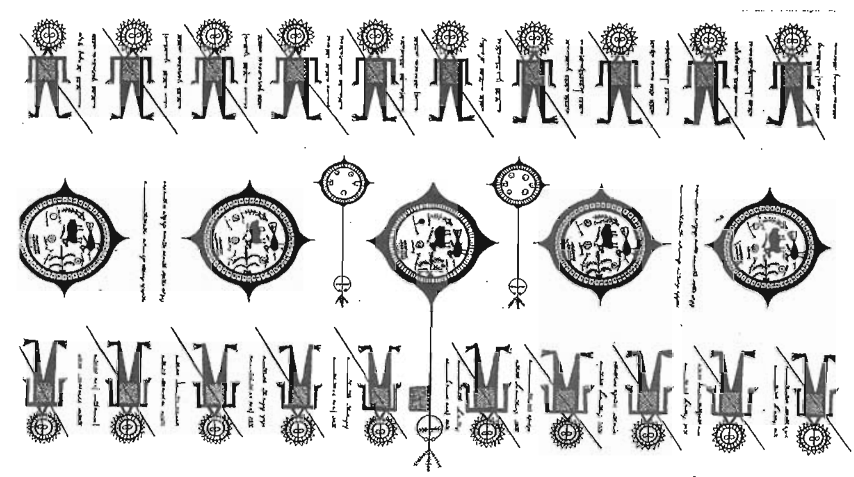
وكم هو بغيضٌ ما عرضتم أنتم عليّ للمشاهدة

متى يتهيأ لي أن أفر هارباً

من الظلمات التي عرضتم أنتم إياها عليّ للرؤية؟

متى يتهيأ لي أن أفرَّ هارباً

حتى أذهب إلى هناك وأرى ما كنتُ أنا قد رأيته على الجانب الآخر؟ (كنزا ربا اليسار: 2: 22 ص :552)



الأُثري (ملائكة عالم النور) وهم يستعدون لتعميد هيبل زيوا

من مخطوطة (مصبتّا هيبل زيوا)

وهناك أيضا الحواريات وتقنيات المناظرة، ففي كنزا اليسار حوار بين الروها ونشمتا (النفس والروح) تطلب فيه الروها من نشمتا الصاعدة إلى أعلى أن تأخذها معها وتخاطبها بكملة (يا أختي) وتبدأ المقطوعة لتقول بأن هناك صدىً يُسمع من صوتين اثنين:

"الصدى الصدى من الصدى

إنني أسمعُ صوتين اثنين

اللذين يجلسان معاً ويتبادلان الأفكار

إن صوت الروها وصوت الروح (نيشمتا)

هما اللذان يجلسان معاً ويعلّمان أحدهما الآخر

الروها تتكلم إلى الروح (نيشمتا)

إن الروها تتكلم إلى الروح (نيشمتا) قائلةً:

(وحياتك، يا أختي

خذيني معكِ إذا انطلقتِ أنتِ خارجةً)

كيف تريدين مني آخذكِ معي

ولستِ أنت إلاّ روها كاذبة؟

إنكِ لستِ إلا روها كاذبة

تنتحلين ما لم تكوني قد رأيتِ أنتِ بأُمِّ عينيكِ

كيف تريدين مني أن آخذكِ معي، أيتها الأخت،

والرجل ذو الميزان يقف حارساً هناكَ؟

إن الرجل ذا الميزان يقفُ منتصباً هناك

وهو يزن الأعمال والأجر

ويوحِّد جامعاً ما بين الروح (نيشمتا) والروها

إذا وضعَ هو أحداً في الميزان وأثبت هذا أنه مستوفٍ للشروط

فسوف يرفعه المرؤ عالياً ويمنح إياه دعامةً في الحياة

أما إذا وضَعَ هو أحداً في الميزان وأثبتَ هذا أنه غير مستوفٍ للشروط

فسوف يجري له المرء على الفور محاكمةً. (كنزا ربا اليسار: 3: 28 ص627).

لكن الغريب في الأمر أن ما يجري على الميزان يوحِّد أخيراً بين روها ونيشمتا وهو ما يشير، من وجهة نظرنا، إلى أن الأصل الواحد لهما والذي أثبتته عبر توحد روها ومانا في التناظرات الثيوغونية حتى بديا وكأنهما قطبان (سالب وموجب) لقطعة واحدة خلقها (الحي العظيم). ومن الجدير بالذكر أن فكرة الميزان (ميزان أباثر) ووزن الأرواح تظهر واضحةً في الديانة المصرية عندما تحين ساعة الحساب في الآخرة ويقوم أوزوريس بوزن الأرواح:

"خذيني معكِ إلى الخارج

إلى ذلك الحدّ حيث يوجد الميزان
دعيهم يضعوني على الميزان
ويطلبوا مني الأعمال والأجر
إذا وجدوا هم أنني مستوفٍ للشروط
فما عليهم إلاّ أن يوحِّدوا ما بين الروح (نيشمتا) والروها
أما إذا ودوا هم أنني ناقص وغير مستوفٍ للشروط
فينبغي عليهم أن يقطعوني منك ويخلفوني وراءك
ما أحلاك أنتِ، أختي، أيتها الروح (نيشمتا)
إذ إنّك تأخذينني معكِ عندما ترحلين
إلى ذلك الحدِّ حيثُ يقوم الميزان منتصباً
ذلك الذي يزن الأعمال والأجر
إنهم وجدوا عند الوزن أنني مستوفٍ للشروط
لذا جلبوا هم الروح (نيشمتا) مع الروها معاً.
كم فرحت الروح (نيشمتا) وابتهجت
لأنهم وحّدوا ما بين الروح (نيشمتا) والروها.
إن الحياة أسندت الحياة
والحياة وجدت نفسها
والحياة منتصرة. (كنزا ربا اليسار: 2: 5 ص478).

الروح هي التي تطيرُ عالياً وتخرج مسرعة إلى العالم الأعلى وقد تأخذ معها النفس (غير المثقلة بالذنوب) وترفعها إلى بيت أباثر (وازن الأرواح) وهناك توزن الروح أولاً ثم توزن النفس وإذا وجدتا خفيفتين (مستوفيتين للشروط) فإنهم سيوحِّدون بينهما وتعود الروح الكاملة (نيشمتا وروها) إلى عالم النور.

إن العلاقة بين الروح والنفس داخل الجسد هي علاقة تكامل حيث تضيء الروح الجسد باتجاه الأعالي، أما النفس فتلبي حاجاته الدنيوية. الروح تذكّر

بالمرجع النوراني بينما النفس تمنح الجسد طاقة الحب والغريزة والانفعال والحيوية.

فهرس المراجع

- **المراجع العربية:**

1. كنزا ربّا (كنز الربّ العظيم): كتاب المندائيين الكبير نقله عن الألمانية إلى اللغة العربية المعاصرة **Carlos Gelbert**، منشورات الماء الحي، سدني- استراليا. الطبعة الثانية/**2000 December**

.اذزارد ،.وجماعته : <u>قاموس الآلهة الأساطير</u> ، ترجمة محمد وحيد خياطة. مكتبة سومر، حلب – السلمانية.**1987**

2. **الجابري، محمد عابد: بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي،** ط**3**، بيروت، (**1993**).

3. حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت. ط**2**، دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد (**1986**).

4. دراور، ليدي أساطير وحكايات شعبية صابئية، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، (**1973**).

5. دراور، ليدي: الصابئة المندائيون (الكتاب الأول)، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، ط**2**، مطبعة الديواني، بغداد (**1987**).

6. رودولف، كورت: النشوء والخلق في النصوص المندائية، إعداد وترجمة الدكتور صبيح مدلول السهيري، جامعة بغداد، بغداد (**1994**).

7. سباهي، عزيز: أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، منشورات دار المندى، دمشق (**1996**).

8. سباهي، عزيز: إلى أي قومٍ ينتمي الصابئة المندائيون، انترنيت: اتحاد الجمعيات المندائية: الرابط: **www.mandaeanunion.org**

9. السواح، فراس: دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني) منشورات علاء الدين، دمشق (**1994**).

10. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الأول أناشيد الحب السومرية ، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت (1996).

11. عبد الرحمن، عبد الملك: عبادة الإله شمش في وادي الرافدين. رسالة ماجستير. كلية الآداب. قسم الآثار. (1976).

12. علي، فاضل عبد الواحد :الطوفان. جامعة بغداد ، بغداد (1975).

13. عليان، رشدي: الصابئون حرانيين ومندائيين – (مقطع من القلستا)، جامعة بغداد، مطبعة دار السلام. بغداد (1976).

14. فالنكشتاين أ. ترتيلة أريدو، مجلة سومر، الجزء الثاني، المجلد السابع، مديرية الآثار العامة، بغداد (1951).

15. فريشاور، بول: الجنس في العالم القديم. دار الكندي للترجمة والتوزيع والنشر 1988.

16. كريمر صموئيل نوح ب.ت: السومريون ترجمة د.فيصل الوائلى منشورات وكالة المطبوعات الكويت.

17. كوندوز، س: معرفة الحياة، ترجمة الدكتور سعدي السعدي، مركز الحرف العربي، غوتنبرغ. السويد، (1996).

18. ليدزبارسكي، مارك: كنزا ربا (كلمة عن الدين المندائي)، ترجمة كارلوس جلبرت، منشورات الماء الحي، سدني/ استراليا (2000).

19.مال الله، صباح: الصابئة المندائيون في العراق القديم، موقع اتحاد الجمعيات

المندائية-http://www.mandaeanunion.com/ar/history/item/269-mandaeans-in-ancient-i).

20. النعيمي، راجحة خضر عباس: الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين. رسالة ماجستير. كلية الآداب. جامعة بغداد. قسم الآثار. (1976).

21. نغرين، جيو وليد: ماني والمانوية، ترجمة د. سهيل زكار، دار حسّان للطباعة والنشر، دمشق، (د.ت).

- **المراجع الأجنبية**

1.De Morgan, Jean. Mission scientifique en Perse, tome V (études linguistiques), (deuxième partie: textes mandaïtes. Paris: Imprimerie Nationale, 1904).

2.Doresse, Jean, The secret Books of Egyptian Gnostics, The Viking Press, New York(1970).

3.Yamauchi,Edwin M, Gnostic Ethics and Mandaean Origins, Cambridge, Harvard Vniversity Press (1970).

- **المراجع الإلكترونية**

http://mandaean_world.blogspot.nl/2004/06/inner-harran.html

http://blocbibreserva.ub.edu/tag/catalogacio/

http://www.hsrarebooks.com/products/relations-de-divers-voyages-curieux-qui-nont-point-este-publiees/



فهرس كتب المؤلف

أولاً: في علوم الحضارات والأديان والمثولوجيا

1) علم وتاريخ الأديان

1. أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ - دار الشروق – عمان 1997.
2. جذور الديانة المندائية - مكتبة المنصور. بغداد 1997.
3. الدين السومري – دار الشروق. عمان 1997.
4. متون سومر (التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس) الدار الأهلية عمان 1998.
5. الدين المصري – دار الشروق. عمان 1999
6. المعتقدات الآرامية – دار الشروق.عمان 2001.
7. المعتقدات الكنعانية – دار الشروق. عمان 2001.
8. المعتقدات الآمورية – دار الشروق.عمان 2002 .
9. المعتقدات الإغريقية – دار الشروق. عمان 2004.
10. المعتقدات الرومانية – دار الشروق. عمان 2006.

2) علم وتاريخ الحضارات

1. الفلك عبر التاريخ - دار أسامة. عمان 2001.
2. تاريخ القدس القديم – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 2005
3. كنوز ليبيا القديمة – دار زهران للنشر والتوزيع –عمان .2008
4. سحر البدايات – دار النايا للنشر والتوزيع - دمشق 2010.
5. الأنباط (التاريخ، المثولوجيا، الفنون) دار النايا ودارمحاكاة للدراسات والنشر، دمشق2012.

3) المثولوجيا

1. سفر سومر – دار عشتار. بغداد 1990
2. حكايات سومرية – وزارة الإعلام بغداد 1995
3. ميثولوجيا الأردن القديم - وزارة السياحة والآثار. عمان 1997
4. بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين) – الدار الأهلية. عمان 1998
5. إنجيل سومر – الدار الأهلية عمان 1998
6. إنجيل بابل – الدار الأهلية. عمان 1998
7. الآلهة الكنعانية – دار أزمنة , عمان 1999
8. أدب الكالا.. أدب النار – المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت 2002.
9. ميثولوجيا الخلود – الدار الأهلية. عمان .2002
10. المثولوجيا المندائية – دار نينوى للدراسات والنشر – دمشق.2010
11. العَود الأبدي (العودة إلى الأصول وصراع الأسطورة والتاريخ)- الدار العربية للموسوعات – بيروت 2011.

ثانيا : في حقل الشعر

1) المجاميع الشعرية

1- يقظة دلمون - وزارة الإعلام. بغداد 1980
2- أناشيد إسرافيل – وزارة الإعلام. بغداد 1984
3- خزائيل 1و2 – وزارة الإعلام. بغداد 1989
4- عكازة رامبو – دار الأمد. بغداد 1993
5- فيزياء مضادة – مكتبة المنصور. بغداد 1997.
6- حية ودرج - مكتبة المنصور. بغداد. 2006 / أدب فن. القاهرة 2008

7- فلم طويل جدا - منشورات بابل. زيورخ- بغداد 2009.

8. أحزان السنة العراقية - دار الغاوون للنشر، بيروت .2010

9- ربما..من يدري!؟ - دار ميزوبوتاميا للنشر - بغداد 2013

10شوغات – دار ميزوبوتاميا – بغداد 2013.

2) الأعمال الشعرية

المجلد الأول صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 2001ويحتوي 6 مجموعات شعرية:

المجلد الثاني صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت 2005 ويحتوي على 7 مجموعات شعرية.

المجلد الثالث صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت 2008 ويحتوي على 6 مجموعات شعرية.

المجلد الرابع صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت 2012 بعنوان (خزائيل) ويحتوي على 12 كتاباً.

المجلد الخامس صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت 2013 بعنوان (كتاب الإيروس) ويحتوي على 7 مجموعات شعرية.

ثالثاً : في حقل النظرية الشعرية

1- العقل الشعري – الكتاب الأول (العقل الشعري الخالص والمحيط الناطق) دار الشؤون الثقافية. بغداد 2004.

2- العقل الشعري - الكتاب الثاني (العقل الشعري العملي والظاهر والباطن) دار الشؤون الثقافية. بغداد 2004.

وصدر العقل الشعري كاملاً عن دار النايا للدراسات والنشر. دمشق 2011.

رابعًا: في حقل المسرح :

1) **المسرحيات المعروضة**

1. عزلة في الكريستال - إخراج الدكتور صلاح القصب- بغداد 1990
2. حفلة الماس - إخراج الدكتور صلاح القصب- بغداد 1991
3. هاملت بلا هاملت

- خراج ناجي عبد الأمير- بغداد 1992ودمشق 1995.
- إخراج جابر الحراصي \جماعة المسرح \المهرجان الجامعي الرابع لجامعة

4. السلطان قابوس \مسقطفي 9\4\2005.

- إخراج هيثم عبدالرزاق \باريس2007.
- إخراج ميشيل سيردا بترجمة فرنسية –باريس2007
- إخراج كمال عطوش بعنوان"صرخة اوفيليا"- الجزائر 2008.

5. قمر من دم –إخراج الدكتور فاضل خليل- بغداد 1992
6. الغراب – إخراج نصير عبد الستار- بغداد 1992
7. تموز في الأعالي- إخراج محسن العلي- بغداد 1993
8. مسرحيات قصيرة جداً – إخراج جبار المشهداني- بغداد 1993
9. قيامة شهرزاد – إخراج غانم حميد- بغداد 1994
10. نزول عشتار إلى ملجأ العامرية- إخراج جبار المشهداني- بغداد 1994
11. أكيتو (الليالي البابلية) إخراج غانم حميد- بابل 1995
12. مفتاح بغداد – إخراج غانم حميد وحيدر منعثر- بغداد 1996
13. أنيما – إخراج حنين مانع- بغداد 1997.
14. سيدرا

- إخراج الدكتور فاضل خليل – بغداد وقرطاج 1999 والقاهرة وعمان 2000

- إخراج عبد الكريم الجراح- عمان2001.
- إخراج هاشم غزال بعنوان "الطوفان"- طرطوس 2008 و2009و2011
15. موسيقا صفراء
- إخراج علاء النعيمي- الشارقة 2008

2) الكتب المسرحية

1. هاملت بلا هاملت وسيدرا - دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان .2001
2. الأعمال المسرحية ج1 - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت 2011.





